

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

الجزء الرابع

ح عبد المحسن بن محمد القاسم ١٤٣٤هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد المحسن بن محمد

الخطب المنبرية: (الجزء الرابع). / عبد المحسن بن محمد القاسم.

ط١ الرياض، ١٤٣٤هـ. ٢٩٢ ص ١٧ x ٢٤سم

ردمك: ٦-٢٦٢٨-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١ـ الخطب المنبرية ٢- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٣٤/٦٨١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٦٨١٣

ردمك: ٦-٢٦٢٨-٠١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ ـ ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد:

فهذه «**المجموعة الرَّابعة**» من الخطب، ألقيتُها في المسجد النَّبوي. أسألُ اللهَ أن ينفع بها، وأن يجعلها ذخراً لنا في الآخرة.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعين.



ثمراتُ التَّوحيد

إنّ الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتّقوا الله ـ عبادَ الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فتقوى الله طريقُ الهدى، ومخالفتُها سبيلُ الشّقا.

أيُّها المسلمون:

تفرَّد اللهُ بالوحدانيَّةِ ونزّه نفسَه سبحانه عن الشَّريكِ والمثيلِ والنَّظير، وأمرَ عبادَه أن يعبدُوه وحدَه ونوَّع لهم العبادات، وجعل إفرادَه بالعبادةِ أصلَ الدِّين وأساسَه وأوَّلَ أركانه، وهو جماعُ الخيرِ ولا تُقْبَلُ حسنةٌ إلا به، والعملُ القليلُ معه مضاعَفٌ وبدونهِ الأعمالُ الصَّالحةُ حابطةٌ ـ وإن كانت أمثالَ الجبال ـ وهو أوَّلُ دعوةِ الرُّسل، وخلاصتُها، ومن أجْلِه بُعِثُوا، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وكُلُّ آيةٍ في كتابِ الله صريحةٌ فيه أو دالَّةٌ عليه، أو في واجباتِهِ أو

ثوابِهِ أو في ضدِّه، وأولُ أمرٍ في كتابِ الله الأمرُ به، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البَقَرَة: ٢١] ـ أي: وحدوه ـ، وفي كلِّ صلاةٍ يُعاهِدُ المسلمُ ربَّه على القيام به ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ـ أي: لا نعبد سواك ـ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، وهو حقُّ الله على عبادِه، وأولُّ واجبٍ عليهم من التَّكاليف، قال عليه الصَّلاة والسَّلام لمعاذٍ رضي الله عنه: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: عِبَادَةُ اللهِ**» متفق عليه. وأوَّلُ ما يسئلُ عنه العبدُ في قبره: من ربُّك ـ أي: مَنْ معبودك ـ؟!

ولأهميَّتِه ولكونِه لا طريقَ لرِضا الرَّبِّ إلا به؛ دعا إمامُ الحنفاءِ لنفسِه ولذريَّتِه بالثَّباتِ على التَّوحيد، فقالَ: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ [البَقَرَة: ١٢٨]، ودعا يوسفُ عليه السلام ربَّه، فقال: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يُوسُف: ١٠١]، ومِنْ دعاءِ نبيِّنا ﷺ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**» رواه مسلم، وهو وصيَّةُ المرسلين ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٣٢].

ونَهْجُ الرُّسلِ تعليمُه لأولادِهم وسؤالُهُم عنه وهُم في سكرات الموت، قال تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٣٣]، وكان النَّبيُّ ﷺ يُعلِّمُ غِلمَانَ الصَّحابةِ التَّعلُّقَ بالله وحده دون ما سواه، قال لابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: «**يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**» رواه الترمذي، وأمَرنا الله ألَّا نموتَ إلا عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢].

بإفرادِ العبادة لله ينشرحُ الصَّدرُ ويطمئنُّ القلب، ويتحرَّر من عبوديَّةِ الخلق ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وبه تفرَّجُ الهمُومُ وتُكشَفُ الكروب ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «ما دُفِعَتْ شدائدُ الدُّنيا بمثلِ التَّوحيد»، يُزيلُ الغِلَّ ويُصلحُ القلب، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: **«ثَلَاثٌ لَا يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ العَمَلِ للهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ المُسْلِمِين، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»** رواه الترمذي، وهو سببُ الحياةِ الطَّيِّبة؛ بل لا سعادةَ في الدُّنيا إلا به، قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النّحل: ٩٧]، وهُو قوامُ الحياةِ التي تطلبُها النُّفوس ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، وهُو الذي يوحِّدُ المسلمين عربَهم وعجمَهم، شرقَهم وغربَهم ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

كلمةُ التَّوحيدِ كلمةٌ طيِّبةٌ شامخة، أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السَّماء، هي كلمةُ الله العُليا، وبها كلَّم الله مُوسى كِفَاحاً من غيرِ واسطة ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه: ١٤]، ولا شُعبةَ أعلى منها في الإيمان، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: **«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»** رواه مسلم.

هي أزكى الكلامِ وأثقلُ شيءٍ في الميزان، وتعدِلُ عِتْقَ الرِّقاب، وحرزٌ من الشَّيطان في كلِّ يوم، قال النَّبيُّ ﷺ: **«مَنْ قَالَ مِئَةَ مَرَّةٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»** رواه البخاري.

«لا إلهَ إلا الله» ما تعطَّرتِ الألسُنُ وتحرَّكتِ الشِّفَاهُ بأحسنَ منها، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» رواه الترمذي، كلمةٌ خالدةٌ وعَدَ الله أن يبقَى في النَّاسِ من يقولُها ويدعو إليها، قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزّخرُف: ٢٨]، هي القولُ الثَّابت من تمسَّك بها ثبَّته الله في الدُّنيا والآخرة، قال ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وأكملُ الخلقِ أكملُهم لله عبوديَّة، وعلى قَدْرِ تحقيقِ التَّوحيد يكون كمالُ العبدِ وسمُوُّ مكانتِه، وأرجى مَنْ يحظى بمغفرة الله هو الموحِّد، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**» رواه الترمذي. قال ابن رجبٍ رحمه الله: «فالتَّوْحِيدُ هُوَ السَّبَبُ الْأَعْظَمُ، فَمَنْ فَقَدَهُ فَقَدَ الْمَغْفِرَةَ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ فَقَدْ أَتَى بِأَعْظَمِ أَسْبَابِ الْمَغْفِرَةِ».

والشَّيطانُ لا سبيلَ له إلى الموحِّد ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النّحل: ٩٩]، وبقدْر توحيدِه تزدادُ مدافعةُ الله عنه، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحَجّ: ٣٨]، ومن حقَّق توحيدَ الله فالله حافظٌ له من الموبقات والفواحش، قال عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يُوسُف: ٢٤]، قال ابنُ القيِّم رحمه الله: «كلَّما كان القلبُ أضعفَ توحيداً وأعظمَ شركاً كان أكثرَ فاحشةً».

والموحِّدُ في حياتِه عليه سكينة وطمأنينة، وآمنٌ فيها بقدْرِ إيمانه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]،

والأمواتُ ينتفعون بدعَوَاتِ الموحِّدين ولا تُقبَلُ في صلاةِ الجنائز إلا دَعَواتُهم، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئاً، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ**» رواه مسلم، وإذا دَنَتْ وفاةُ الموحِّد بشَّرهُ الله بالجنَّة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ**» رواه أبو داود.

وكما أعزَّ اللهُ الموحِّدَ في الدُّنيا، فقد أكرمَه الله في الآخرةِ وأعلى مكانتَه وجازاه بخيرِ جزاءِ العاملين؛ فمَن مات على التَّوحيد كانت له الجنَّةُ إمَّا ابتداءً أو مآلاً، وإنْ دخل النَّارَ بذنوبِه لم يُخلَّدْ فيها، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ**» رواه مسلم، ولا يَنالُ شفاعةَ النَّبيِّ ﷺ سِوى الموحِّدين، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ يا رسول الله؟ قَالَ: **أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصاً مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ**» رواه البخاري.

والمحقِّقُ للتَّوحيد يدخلُ من أيِّ أبوابِ الجنَّة الثَّمانية شاء، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ؛ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**» رواه مسلم. قال ابنُ القيِّم رحمه الله: «كلَّما كان توحيد العبد أعظم، كانت مغفرةُ الله له أتم، فمن لقيه لا يشركُ به شيئاً البتة؛ غفَر له ذنوبَه كُلَّها»، ويدخلُ الجنَّة سبعون ألفاً بغير حسابٍ كلُّهم من أهل التَّوحيد، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» متفق عليه.

وبعد؛ أيُّها المسلمون:

فالتَّوحيدُ أغلى ما يملكُ المسلم، ومَنْ هداهُ اللهُ إلى التَّوحيد فليَعُضَّ عليه بالنَّواجِذ، ولْيَصُنْهُ مما يناقِضُه أو يَقْدَحُ فيه أو يُنقِصُه، ومن دعا غيرَ الله أو طافَ على قبرٍ أو ذبحَ له، فقد خسرَ أنوارَ التَّوحيد وفضائلَه، ولم تُقبلْ له طاعة، وتعرَّضَ لنصوصِ الوعيد بالخلودِ في النَّار.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد ألَّا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

التَّوحيدُ مِنَّةٌ من الله عظيمة، يهَبُه لمن يشاءُ من عباده، وعلى المسلم أنْ يسعى لتحقيقِه في نفسِه وذريَّتِه والأقربين من أهلِه ومن جميعِ الناس، ومِنْ شُكْرِ نعمةِ التَّوحيدِ: دعوةُ الخلقِ إليه والتَّحذيرُ من كلِّ آفةٍ تُنافي أصلَه أو كمالَه. ومن وسائلِ الثَّبات عليه: دعاءُ الله بالثَّبات، والبُعدِ عن البدعِ والشُّبهاتِ والشَّهوات، والإكثارُ من الطَّاعات، والتَّزوُّدُ من علومِ الشَّريعةِ وسؤالِ العلماءِ الربَّانيين عمَّا يُشكل منها.

ثُمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

خشيةُ الله

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

الهوى يحملُ على التَّفريطِ والعصيان، والشَّيطانُ يَؤُزُّ الإنسانَ إلى اقتراف الخطايا والأوثان، والنَّفس تهوى التَّوانيَ والملاذ، ولا يُمسِك زمامَها سوى الخوفِ من الله ﷻ والوجلِ من عقوبتِه، والخوفُ منه سبحانه هو ركنُ العبادةِ الأعظمُ الذي لا يستقيمُ إخلاصُ الدِّينِ لله إلا به. وهو فرضٌ على كلِّ مكلَّف، ومن أَجلِّ العباداتِ القلبيَّة، قال الله لنبيِّه محمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأنعام: ١٥]، والملائكةُ تخافُ ربَّها وتخشاه ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۞ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [النّحل: ٤٩-٥٠].

وخاف الأنبياءُ على قومهم من عذابِ الله، قال نوح عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال شعيب عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾ [هُود: ٨٤]، وقال هود عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٣٥]، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مَريَم: ٤٥]، والصَّالحون يخْشَوْن حلولَ العذاب على أقوامهم في الدُّنيا ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ [غافر: ٣٠]، ويخافون عليهم من عذاب الآخرة ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢]، ولا يعتبرُ بالنُّذُر إلا من أحيا الله قلبَه بالخوف منه ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [الذّاريَات: ٣٧].

والخائفُ من ربِّه يُمنَح التَّبصُّرَ في الآيات والاعتبار ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [هُود: ١٠٣]، وينتفعُ بمواعظ القرآن وذكراه ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [قٓ: ٤٥]. والنُّذُر والآياتُ يسوقُها الله ليفزَعَ القلبُ إليه ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسراء: ٥٩]، والابتلاءاتُ في التَّكليف لإظهار منزلةِ الخوف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ [المَائدة: ٩٤]، وهو من أَجَلِّ صفاتِ العبادِ ومن أسبابِ السَّدادِ في القولِ والعمل ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ﴾ [المَائدة: ٢٣]، وذُمَّ الكفَّارُ لفقدِ تلكَ الصِّفةِ فيهم ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [المدَّثِّر: ٥٣].

ومن خافَ ربَّه أَمِن عند الموت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠]، ووُقِيَ كَرْبَ المحشر ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ۞ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ

وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١٠-١١]، وكانتِ الجنَّةُ له نزلاً ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن: ٤٦]، وعلى قَدْرِ العلم بالله يكون الخوفُ منه والخشيةُ له، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً**» متفق عليه، وكان عليه الصَّلاة والسَّلام إذا رأى غيماً أو ريحاً تغيَّر لونُه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، يخشى أن تكون عذاباً، وإذا غَمَرَ الخوفُ القلبَ حجبَه عن المعاصي ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المَائدة: ٢٨].

الخوفُ منزلةٌ عاليةٌ رفيعة، وهو من قواعدِ الدِّينِ المتينة، تجعلُ المسلمَ ثابتَ الأُسس، لا تقلِّبُه الأهواء ولا تبدِّلُه الأطماع، يسيرُ على صراط الله ممتثلاً أمرَ النَّبيِّ ﷺ «**اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ**» رواه الترمذي. ومن النَّاس مَنْ فقدوا تلك المرتبة؛ فحُرِموا لذَّةَ العبادةِ وتزعزَع منهجُهم في الحياة، قال سبحانه عنهم: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النِّسَاء: ١٤٣].

وزوالُ الخوفِ من الله فسادٌ للحال، وشقاءٌ في الحياة، وظلمةٌ للقلب تحيطُ الشُّبهاتُ والشَّهواتُ حوله، قال أبو سليمان الدَّاراني: «ما فارقَ الخوفُ قلباً إلا خَرِب»، وما إعراضُ أهلِ الكفر إلا بسبب نزعِ خوفِ الله من صدورهم، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأَخِرَةَ﴾ [المدَّثر: ٥٣]، واستهزاءُ المنافقين بدين الله وسخريتُهم بأحكامه من فَقْدِ قلوبهم لمراقبة الله ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٤]، وما جَنَحَ مَنْ جَنَحَ مِنْ أهلِ العصيانِ إلا من تفريطهم في تلك المنزلة.

وما نهى الصَّالحون نفوسَهم عمَّا تهوى من الحرام، إلا من إحاطة الخشية بقلوبهم ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشُّعَراء: ٢١٨-٢١٩]، ومَنْ خافَ مِن الله في الخلوة جازاه ربُّه بظلٍّ تحتَ عرشِه «**وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ؛ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ**» متفق عليه. والعابدُ الوجِلُ في الخلوة، الذَّارفُ دمعُه بصدقٍ، موعودٌ بمثلِ ذلك، والمتهجِّد في ظُلَمِ اللَّيل أيقظه الخوفُ من الله؛ فعوضه الله ما طلب ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجدَة: ١٦-١٧]، والمؤمنُ يجمعُ إحساناً وخشية، والمنافقُ يجمعُ إساءةً وأمناً.

أيُّها المسلمون:

بطشُ الله شديد، ووعيدُه أكيد، والأمن من عقوبة الله وعدمُ مراقبتِه سببُ شقاء أهل القرى والأفراد، أعرضت أممٌ عن الخوف من الله فتمادَتْ في العصيان؛ فأنزل اللهُ عليهم بأسَه ورِجزَه، أهلك قومَ نوحٍ بالغرق، وثمودَ بالصَّاعقة، وعاداً بريحٍ عاتية، وقومَ شعيبٍ برجفةٍ وصيحةٍ وظُلَّة، ورفَعَ قُرى قومِ لوطٍ بمن فيها بطرفِ جناحِ مَلَكٍ ثم أهوى بهم إلى الأرض، ورفَع جبلاً عظيماً فوق رؤوس بني إسرائيل، وعذَّبهم بالطُّوفان، وأرسل عليهم جراداً ودَماً وقُمَّلاً، ومسخ منهم أشخاصاً بسبب ذنوبهم قِرَدةً وخنازيرَ، وأحرق بستاناً عظيماً بثماره ـ كما في سورة القلم ـ بأوزارِ أصحابِه ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هُود: ١٠٢].

وتوعَّدَ سبحانه على مرِّ الأزمان مَنْ أمِنَ خوفَه من أهل الأمصار بالعذاب المهين ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۞ أَوَأَمِنَ

﴿أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٨]، وأنزل رِجزَه على أفرادٍ لم يخافوه؛ فجعل الطَّاغيةَ المتكبِّرَ ـ فرعونَ ـ جثةً هامدةً بين الأمواج، وخَسَفَ بقارونَ ـ ذي المالِ الوافرِ والبَغْيِ ـ بجسده وداره، وخسَفَ برجلٍ يَجُرُّ إزارَه من الخيلاء، وعمرٌو بن لُحَيٍّ يَجُرُّ قُصْبَه في النَّار. واللهُ يُمْهِلُ للعاصي ولا يُهْمِلُه حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْه ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عِمرَان: ٢٨].

ودعا عبادَه إلى طاعتِه وحذَّرهم من معصيتِه ونِقْمتِه؛ فهو شديدُ العقاب، ولا يرضى لعباده الكفر ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ [الزُّمَر: ٧]، وتوعَّد مَنْ ترك الصَّلاةَ بجهنَّم ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۞ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ [المدَّثِّر: ٤٢-٤٣]، وأحاط بالبُؤس والشَّقاء من عَقَّ والدَيْه ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا﴾ [مَريَم: ٣٢]، ويوشِكُ أن يَعُمَّ الجميعَ بالعذاب إذا تركوا الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المنكر، ويَغارُ سبحانه على انتهاك الحرمات والأعراض «**مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ**» متفق عليه. وبأكلِ المالِ الحرامِ يُرَدُّ العمل «**إنَّ اللهَ طيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلا طيِّباً**»، ويُعاقِبُ العبدَ على إطلاقِ البصرِ في المحرَّمات بسلبِ زكاءِ نفسِه وطهرِها ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ﴾ [النُّور: ٣٠]، وحذَّر من صغائر الذُّنوب، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إيَّاكم ومحقَّراتِ الذُّنوب؛ فإنَّ لها من اللهِ طالباً**» رواه أحمد.

ومن علامةِ صدقِ خوفِ العبد من الله: أن تكون خلوتُه وجلوتُه سواء، فلا يخلو بسيئة إذا توارى عن الأبصار ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحَديد: ٤]، واحذر خفايا الخطايا فإنَّها مهلكات، قال أنس رضي الله عنه:

«إنكم لَتعملُون أعمالاً هي أدقُّ في أعينكم من الشَّعر، كنَّا نعدُّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات» رواه البخاري. والآمنُ من عقوبة الله هو الخاسر ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وتوالي النِّعم على العبد مع إصرارِه على الخطايا إنَّما هو استدراجٌ من الله له؛ فليخشَ عقوبتَه وعذابَه.

ولا يُعَدُّ خائفاً من لم يكن للذُّنوب تاركاً، وكلُّ عاصٍ لله فهو جاهل به، وكلُّ خائفٍ منه فهو عالم، وكلَّما كان العبدُ بالله أعلمَ كان له أخوف، قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «كَفَى بِخَشْيَةِ اللهِ عِلْماً، وَكَفَى بِالِاغْتِرَارِ بِاللهِ جَهْلاً»، ونقصانُ الخوف إنما هو لنقصانِ معرفةِ العبدِ بربِّه، وفي مراقبةِ العاقبةِ زيادةُ استحضار المخوف، ومن رحمة الله أنَّه لا يجمع على عبدِه خوفين؛ فمن خافه في الدُّنيا أمِنَ في الآخرة، ومن أمِنَ من مكره في الدُّنيا أفزَعَه في الآخرة، ومن خافَ ربَّه عاش بين الخلق عظيماً، وفي حياته عزيزاً، وخوفُ المخلوقِ من المخلوق ذلٌّ وخُنوع، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٥].

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۞ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الزُّمَر: ٥٤-٥٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمّداً عبدُه ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

ما حُفِظَت حدودُ اللهِ ومحارمُه وما وصل الواصلون إليه؛ بمثل خوفِه ورجائِه ومحبتِه، ومتى خلا القلبُ من هذه الثلاث؛ فسد، ومتى ضَعُف فيه شيءٌ من هذه؛ ضعُفَ إيمانُه بحسبه، والقلبُ في سَيْرِه إلى الله بمنزلة الطَّائرِ ـ فالمحبَّةُ رأسُه، والخوفُ والرَّجاءُ جناحاه ـ.

والخوفُ يستلزمُ الخشية، والخشيةُ تستلزمُ الطَّاعة، والرَّجاءُ يَحْدُو العبدَ في سَيْرِه إلى الله، ويطَيِّبُ له المسير، ويحثُّه عليه، ويحبِّبُ له ملازمتَه، ومن عظَّمَ اللهَ في قلبه وقَّرَه الله في قلوب الخلق فلم يُذِلُّوه، قال الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ: «من خاف الله لم يضرَّه أحد، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد»، والاستسلامُ لله وتفويضُ الأمور إليه تنزعُ من القلبِ الخوفَ من البشر، ومن خافَ ربَّه لم يفزعه أحد؛ بل هو مطمئنُّ القلبِ ساكنُ الجوارح، فالزموا الخوفَ من الله واقدُرُوا ربَّكم حقَّ قدرِه؛ تَسْعَدُوا في الدُّنيا والآخرة.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الصَّلاة عمودُ الإسلام

الحمد للهِ المنعوتِ بالصِّفاتِ العُلا، أحمده تعالى حمداً يليقُ بمننه العظمى، وأشكره شكراً يزيدُ من كلِّ نَعما، وأشهد ألا إله إلا هو وحده لا شريك له ذو الأسماء الحسنى، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، المفضَّلُ بأشرفِ الرِّسالةِ وأوضحِ الدَّلالة، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي الجِدِّ في الطَّاعة والتَّشمير، ومن سار على نهجهم إلى يوم المعاد والمصير.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى أعزُّ ما يتَّصف به المؤمنون، وأشرفُ ما يُنعَتُ به الصَّالحون.

أيُّها المسلمون:

شرع الله لنا من الشَّرائع أيسرَها عملاً، وأسهلَها فعلاً، وأعظمَها ثواباً، وأقامَ الإسلام على قواعدَ ودعائمَ إذا اختلَّت تقوَّض البنيان. والصَّلاةُ هي الرُّكن الثَّاني من تلك القواعد والأركان، وهي عمود الإسلام التي يقوم عليها ـ تَرفعُ بناءَه، وتُقيمُ جوانبَه ـ.

أُمِرَ بها الأنبياءُ والمرسلون، قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ﴾ [طه: ١٤]، ودعا إبراهيمُ ربَّه بقوله:

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وأثنى الله على إسماعيل فقال: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ [مَريَم: ٥٥]، وتشرَّف بها عيسى عليه السلام فقال: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾ [مَريَم: ٣١]، وأمر الله تعالى بها نبيَّنا محمَّداً فقال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسرَاء: ٧٨]، وهي من وصايا عبادِ الله الصَّالحين لأبنائِهم ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [لقمَان: ١٧]، وأمر الله بها عمومَ المؤمنين فقال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البَقَرَة: ٤٣].

هي قِوامُ الدِّين وعمادُه، مَنْ أقامَها أقامَ دينَه، ومن أضاعَها فقد هدمَ إسلامَه، وهي أوَّلُ ما أوجبَه الله من العبادات الظَّاهرة، وأوَّلُ ما يحاسَبُ عليه العبد يومَ القيامة، وآخِرُ ما يُفْقَدُ من الدِّين، وآخِرُ ما وصَّى به النَّبيُّ ﷺ أمَّتَه. عبادةٌ لا تدخلُها النِّيابة بحال، فلا يصلِّي أحدٌ عن أحد ـ لا لعذرٍ ولا لغير عذر ـ.

تولَّى اللهُ إيجابَها بمخاطبةِ رسولِه ﷺ ليلةَ المعراج، تَعْظيمُه تعالى لها في كتابه فوقَ جميعِ العبادات، قرينةٌ للشَّهادتين، خصَّها بالذِّكر تارةً، وقرنها بالزَّكاة أخرى، وافتتح واختتم أعمالَ البرِّ بها، ذكرها الله في كتابِه تخصيصاً بعد تعميم ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ﴾ [العَنكبوت: ٤٥]، يتمثَّلُ فيها جلالُ الخالق وذلُّ المخلوق، عُدَّةٌ في الخوف، وجُنَّةٌ دون الأعداء، أُنسٌ وراحةٌ تضفي على القلب طمأنينةً ورضاً، بها تصلحُ الأعمال والأقوال، قيامُها تعظيم، وركوعُها خضوع، وسجودُها تذلُّل، قال النَّبيُّ ﷺ عنها: «**الصَّلاةُ نُورٌ**» رواه مسلم. نورٌ في القلوب والبصائر، تزيلُ ظلامَ الزَّيغ والباطل، وتُلْقِي في القلب الهدى والحق، وتنيرُ ظلمةَ القبر، ويتلألأُ بها

الجبينُ ضياءً يومَ القيامة، ماحيةٌ للسَّيِّئات ورافعةٌ للدَّرجات، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**» رواه مسلم. فيها الخضوعُ والدُّعاءُ والتَّضرُّعُ والمناجاةُ والقربُ من الرَّحمن، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ**» رواه مسلم.

أداؤُها عملٌ محبَّبٌ للدَّيان، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «سألتُ رسولَ الله ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: **الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا**، ثمَّ قلتُ: أَيٌّ؟ قَالَ: **ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ**، ثمَّ قلتُ: أَيٌّ؟ قَالَ: **الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**» متفق عليه. جالبةٌ للفرحِ والسُّرورِ يومَ الجزاء، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَداً مُسْلِماً؛ فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مَنْ سُنَنِ الْهُدَى». عمارةُ المساجدِ لأدائِها هي المقدَّمُ من أعمالِ أولي العزمِ إذا حلّوا في الدِّيار ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾ [البَقَرَة: ١٢٧]، وأوَّلُ ما قدم نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ المدينةَ ـ مهاجراً ـ شَرَعَ في بناءِ مسجده.

أيُّها المسلمون:

الإنسانُ ضعيفُ الخِلْقة، سريعُ الهَلَعِ والجَزَع، كثيرُ الخطايا والذُّنوب، يمشي في هذه الحياة وسطَ طريقٍ من الآلام والصِّعاب ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البَلَد: ٤]، وفي الصَّلاة تيسيرٌ للأمور، وشرحٌ للصُّدور، وزوالٌ للهموم، وذهابٌ للغموم، وإعانةٌ على أمورِ الحياة وقضاءِ الحاجات، فكم نِيلَ بها من

المسَّراتِ وأنواعِ الخيراتِ وعظيمِ البركات؟! قال سبحانه: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البَقَرَة: ٤٥]، وكان ﷺ إذا حَزَبَه أمرٌ ووقع في شدَّةٍ فَزِع إلى الصَّلاة.

هي قوةٌ للمسلم في محنته؛ تحثُّه على الصَّبر والتَّحمُّل، وتقوِّي عزيمتَه، وتربطُ على قلبه، وتريحُ فكرَه وجسدَه من مشاغل الحياة وعناء الكسب، وكانت قرَّةَ عينِه عليه الصَّلاة والسَّلام، ولما أراد الله أن يبتليَ مريمَ بحمْلٍ في بطنِها من غيرِ زوج: أمرَها بالتَّوجُّه إلى الصَّلاة؛ لتخفِّفَ شدَّة الابتلاء ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٤٣].

الصَّلاةُ تجلبُ الرِّزقَ وتوسِّعُ الكَسب، قال جلَّ جلاله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ﴾ [طه: ١٣٢] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا قمت إلى الصَّلاة؛ أتاك الرِّزقُ من حيثُ لا تحتسب»، وهي مهبطُ الرَّحمة وسببُ إجابةِ الدُّعاء، قال سبحانه: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٣٩].

أيُّها المسلمون:

صفاتُ المؤمنين المفلحين مبدوءةٌ بالصَّلاة، واستحقاقُ ميراثُ الفردوس محقَّقٌ بالمحافظة عليها، والمداومةُ عليها أوَّلُ صفات المكرَّمين من أهل الجنَّة، والمحافظةُ عليها في ختام صفاتهم. جمعَ الله في الصَّلاة الخيرَ كلَّه بأبلغ قولٍ وأوجزِ لفظ، فقال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [العَنكبوت: ٤٥]. مع الصَّلاة لا يبقى دَنَسُ الفحشاء والمنكر؛ تهذِّب الأخلاقَ والطِّباع، وتَحُولُ بينها وبين الانحراف، فيها الأفعالُ

الحميدةُ والخصالُ الكريمة، ولمؤدِّيها السِّيرةُ الحميدة. جمعت من الفوائدِ أنواعاً، ومن المنافعِ أصنافاً، ومن الفضائل ألواناً.

إنَّ من أعظمِ المصائب وأقبحِ المعايب: تركَ الصَّلاة والتهاونَ بها، ولا يتركها إلا من عظُمت عقوبتُه، وطالت حسرتُه وندامتُه، وجاحدُها مُعْرِضٌ عن اللهِ خارجٌ عن دائرةِ الإسلام، محرومٌ من وراثة الفردوسِ والتَّكريمِ في جنَّات النَّعيم، ومسلكه في سقر، ومن لم يكن من أهلِ السُّجود للواحد المعبود أحرقه الله بالنَّار، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلَاة**» رواه مسلم. قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والرَّجلُ البالغُ إذا امتنع من صلاةٍ واحدةٍ من الصَّلواتِ الخمسِ؛ فإنَّه يُستتابُ، فإن تابَ وإلا قتل»، وقال ابن القيِّم رحمه الله: «لا يختلفُ المسلمونَ أنَّ تركَ الصَّلاةِ المفروضةِ عمداً من أعظمِ الذُّنوب وأكبرِ الكبائر، وأنَّ إثْمَه عند الله أعظمُ من إثمِ قتلِ النَّفسِ وأخذِ الأموالِ ومن إثمِ الزِّنا والسَّرقةِ وشرْبِ الخمر، وأنَّه متعرِّضٌ لعقوبةِ الله وسَخَطِه وخِزيِه في الدُّنيا والآخرة». وما ترك أحدٌ الصَّلاةَ إلا شَقِي، وما أدَّاها إلا أفلَح وظفر.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحجّ: ٧٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله المُتعالي عن الأندادِ والأضداد، المتنزِّهِ عن الصَّاحبةِ والأولاد، أحمدُه تعالى على نِعَمِه الغِزَار، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً مبرَّئةً من أدناس الشِّرك والضَّلال، وأشهد أنَّ محمَّداً نبيُّه المصطفى ورسولُه المجتبى، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أئمَّةِ الهدى وبُدورِ الدُّجى.

أيُّها المسلمون:

أمر الله تعالى المسلمين بصلاة الجماعة، فقال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البَقَرَة: ٤٣]، وأمر الله سبحانه بها المجاهدين ولو كانوا للعدوِّ مواجهين، ولم يَعْذُرِ النَّبيُّ ﷺ في التَّخلُّفِ عن الجماعةِ الأعمى الضَّريرَ الذي ليس له قائدٌ يُلازمُه في المسير.

بصلاة الجماعة يتعلَّمُ الجاهل ويتذكَّرُ الغافل، وبها يتعاون المسلمون في محبةِ اللهِ وعبادتِه والتَّواضعِ له والانكسارِ بين يديه؛ فتخشعُ منهم القلوب وتتَّحدُ منهم الصُّفوف، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «لَأَنْ يَمْتَلِئَ أُذُنُ ابْنِ آدَمَ رَصَاصاً مُذَاباً، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْمَع حيَّ على الصَّلاةِ حيَّ علَى الفلاح؛ ثُمَّ لَمْ يُجِب».

أيُّها المسلمون:

ومنْ كرمِ اللهِ: أنَّه ضاعفَ الأجورَ لمنْ حافظ على صلاةِ الجماعةِ في المساجد؛ فمنْ شهدَ العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ؛ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ، ومَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ؛ أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ. وَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَى إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ رباطٌ يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَات.

ومنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً، إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاه، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَة.

فهذه الفضائلُ وغيرُها موعودٌ بها من أقام الصَّلاةَ مع المسلمين.

فاتَّقوا الله في دينكم عامَّة، وفي صلاتِكم خاصَّةً؛ فأمرُها عظيم، وشأنُها كبير، فأْتُوا لها راغبين، ولأمرِ ربِّكم ممتثلين.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه . . .

استقبالُ أشرف الشُّهور

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقى.

أيُّها المسلمون:

تتوالَى نعمُ الله الظاهرةُ والباطنةُ على عباده، وقد أكرم سبحانه عبادَه بشهرٍ عظيمٍ مخصوصٍ بالقدر والتكريم، مُفضَّلٍ على سائر الشُّهور، أنزل فيه كتابَه وفرضَ صيامَه، زمنُه زمنُ العتقِ والغُفران، وهو موسمُ الصَّدقات والإحسان، تتوالَى فيه الخيراتُ وتعمُّ البركات، كان النَّبيُّ ﷺ يقول لأصحابه: «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفَتَّحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ الجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، للهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**» رواه النسائي. قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «وكيف لا يُبشَّرُ المؤمنُ بفتحِ أبوابِ الجِنان؟! وكيف لا يُبشَّرُ

الـمُذنِبُ بغلقِ أبواب النِّيران؟! كيف لا يُبشَّرُ العاقلُ بوقتٍ تُغلُّ فيه الشياطين؟! من أين يُشبِه هذا الزمانَ زمان؟!».

رمضانُ أشرفُ الشُّهور وأزكاها عند اللهِ، جعله تعالى ميداناً لعباده يتسابقون فيه بأنواع الطَّاعات والقُرُبات، شهرُ منحةٍ لتزكيةِ النُّفوسِ وتنقيتِها من الآفات والضَّغائن والأحقاد، في هذا الشَّهر مغانمُ لطاعات الله ـ قرآنٌ وقيام، صدقةٌ وصيام، عطفٌ وإحسان ـ؛ قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ فَطَّرَ صَائِماً؛ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئاً**» رواه الترمذي.

والعُمرةُ فيه فاضلة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حِجَّةً**» متفق عليه. ودعوةُ الصَّائمِ لا تُردُّ، وفي الثُّلثِ الأخير من اللَّيل ينزلُ ربُّنا ويقول: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟!**» رواه مسلم.

شهرُ رمضان يغتنِمُه المُشمِّرون لبرِّ الوالدَين والقُربِ منهم والتودُّدِ إليهم، ولصِلَة الأرحام، والإحسانِ إلى الأهلِ والأولادِ بالتَّوجيهِ السَّديد والمعاملةِ الحسنة، قال ابن رجب رحمه الله: «الصَّائمُ في ليلهِ ونهارهِ في عبادة، ويُستجابُ دعاؤُه في صيامِه وعند فِطرِه؛ فهو في نهارِه صائمٌ صابر، وفي ليلِه طاعمٌ شاكر».

والصَّدقةُ ميدانٌ لتفريجِ الكروبِ عن الغنيِّ قبل الفقير، يظهرُ أثرُها على المُتصدِّق في نفسه وماله وولده، وتَدْفَعُ عنه البلاءَ وتَجْلِبُ له الرَّخاء، قال ابن القيِّم رحمه الله: «للصَّدقةِ تأثيرٌ عجيبٌ في دفع البلاء، وهذا أمرٌ معلومٌ عند الناس خاصَّتِهم وعامَّتِهم، وأهلُ الأرض كلُّهم مُقرُّون به؛ لأنهم جرَّبوه، وما

استُجلِبَت نعمُ الله واستُدفِعَتْ نقَمُه بمثلِ طاعته والتقرُّبِ إليه والإحسانِ إلى خلقه».

وفي نسماتِ الخيرِ والبركاتِ وأعظمِ شهرٍ في العام: في الناس من يتجرَّأ على العصيان ـ من إطلاقِ البصرِ في المحظورات، أو إرخاءِ الأُذُن للمحرمات ـ، وفيهم من يُضيِّعُ لحظاته الثَّمينةَ بكثرة لهوٍ يُبعِدُه عن الطَّاعة. وكلُّ مُتعةٍ بمحرَّمٍ نهايتُها حسرةٌ وندامة.

والتَّوبةُ بابُها مفتوحٌ، وخيرُها ممنوح، وفي شهر الخير أرجَى، قال ﷺ: «**قالَ الله تباركَ وَتعَالى: يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُم**» رواه مسلم، والذَّنبُ يغفِره الله وإن عَظُم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ**» رواه الترمذي.

واليأسُ والقنوطُ سلاحٌ لإبليسَ ليُبقِيَ العاصيَ على عصيانه، والعبدُ مَهْمَا عمِلَ من المعاصِي والخطايا فالرَّبُّ غفورٌ رحيمٌ لا يُيأَسُ منه؛ فالتَّوبةُ تهدِم ما قبلَها، والإنابةُ تجُبُّ ما سلَفَها.

ومن أعظمِ أسباب المغفرة: أنَّ العبدَ إذا أذنبَ ذنباً لم يرجُ مغفرتَه من غير ربِّه، قال لقمان لابنه: «يا بُنيَّ! عوِّد لسانك: اللهم اغفر لي؛ فإن لله ساعاتٍ لا يَردُّ فيها سائلاً»، وعلامةُ التَوبةِ: النَّدمُ على ما سلَف، والخوفُ من الوقوع في الذَّنب، ومُجانبَةُ رُفقةِ السُّوء، ومُلازمَةُ الأخيار.

واحفظ لسانَك وسمعَك وبصرَك عمَّا حرَّم الله، قال الإمام أحمد رحمه الله: «ينبغي للصَّائم أن يتعاهَد صومَه من لسانه، ولا يُمارِيَ في كلامه، كانوا إذا صاموا قعَدوا في المساجد وقالوا: نحفَظُ صومَنا ولا نغتابُ أحداً».

وليكنْ يومُك خيراً من غابِرِك، واغتنِم زمنَ الأرباح، وسابِق فيها غيرَكَ إلى الخيرات؛ فأيامُ المواسم معدودة، وأوقاتُ الفضائل مشهودة، وفي رمضانَ كنوزٌ غالية، فلا تُضيِّعْها باللَّهو وما لا فائدة فيه، فلا تعلمُ هل تُدرِكُ رمضانَ الآخرَ أم لا، واللَّبيبُ من نظر في حاله، وفكَّر في عيوبه، وأصلحَ نفسَه.

وعلى المرأة أن تكون شامخةً بشرفها، صائنةً عفافَها، مُتزيِّنةً بزينةِ الدِّين، مُتجمِّلةً بجمال السِّترِ والحياء، فليالي رمضان معدودة، والأنفاسُ في الحياة يسيرة، والسَّعيدُ من ملأ حياتَه بالطَّاعة والإحسان، وابتعدَ عن المعاصي والأوزار، واغتنمَ مواسمَ العام.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

ستنقضِي الدُّنيا بأفراحها وأحزانها، وتنتهي الأعمارُ بطولها أو قِصَرها، وكم من إنسانٍ انتظرَ رمضانَ بأقوى الأملِ فباغَتَه الأجل، فافتح فيه صفحةً مُشرقةً مع مولاك، واسدِلِ السِّتار على ماضٍ نسيتَه وأحصاهُ الله عليك، وتُب إلى التَّوَّابِ الرَّحيمِ من كلِّ ذنبٍ وتقصيرٍ وخطيئة، وفي اغتنامِ مواسمِ الخيرِ بالعملِ الصَّالحِ والتَّوبةِ ما يُعوِّضُ اللهُ به العاملين عمَّا مضى من نقصِ العمل، ويصرِفُ به عقوبةَ ما اقتُرفَ من الزَّلَل.

ثُمَّ اعلموا أنَّ اللهَ أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

إشراقةُ رمضان

إنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عِبادَ الله ـ حقَّ التَّقوَى، وراقِبُوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلِمون:

شرعَ اللهُ لعبادِه المسلمين أنواعاً من الطَّاعاتِ والقُرُبات، وجعلَ في دَهْرِه أوقاتاً فضَّل بعضَها على بعض؛ لتتنوَّع اللَّذاتُ في جنَّاتِ النَّعيم، فلكلِّ عملٍ من الأعمالِ ـ المحبوبةِ له والمسخوطةِ ـ لذةٌ أو ألمٌ يخصُّه، لا يُشْبِهُ أَثَرَ الآخَرِ وَجَزَاءَه، ولهذا تَنَوَّعتْ لذَّاتُ أهلِ الجنَّةِ من الطَّيِّباتِ وتنوَّع عذابُ أهلِ النَّارِ من العقوبات، ففي الجنَّةِ بابٌ لمنْ حافَظَ على الصَّلاة، وبابٌ لأهلِ الصَّدقَات، وبابٌ للصَّائِمين يُسَمَّى الرَّيَّان، وكلُّ بابٍ فيه لأَهلِه من الجزاءِ ما ليس لغيرِهم، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «من تنوَّعتْ أعمالُه المرضيَّةُ المحبوبةُ له في هذه الدَّار، تنوَّعت الأقسام الَّتي يتلذَّذُ بها في تلكَ الدَّارِ وتَكثَّرتْ له بِحَسبِ تَكَثُّرِ أعمالِه هنا، وكان مزيدُه بتنوُّعِها والابتهاجِ به والالتذاذِ هناك على حَسَبِ مزيدِه من الأعمالِ وتنوُّعِه فيها في هذه الدَّار».

واللهُ سبحانه امتنَّ على عبادِه بشهرٍ كريمٍ تُضاعَفُ فيه الأعمال، وتُكَفَّرُ فيه الخطايا والأوزار، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**الصَّلَواتُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ؛ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُمَا إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**» رواه مسلم، وهو شفيعٌ لأصحابِه، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «مَا استعانَ أحدٌ على تَقْوَى اللهِ وحِفْظِ حدُودِه واجتنَابِ محارِمِه؛ بمثلِ الصَّوم».

وفِي تِلَاوةِ القُرآنِ أجرٌ عظيمٌ ـ كلُّ حرفٍ بحسنة، والحسنةُ بعشرِ أمثَالِهَا ـ، والعبدُ يَرْتَقِي في الآخرةِ إِلَى آخِرِ آيةٍ كانَ يُرَتِّلُهَا، وفِي القَبرِ ويومِ الحشرِ يَشْفَعُ القرآنُ لِصَاحِبِه عِندَ اللهِ، وهو نورٌ وهدىً وشفاء، قال عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُكُمْ مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ رَبِّكُمْ».

وأفضلُ الصَّلاةِ بعدَ الفَريضَةِ صلَاةُ اللَّيل، وهي منْ صِفَاتِ أَهْلِ الجنَّة، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۞ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذّاريات: ١٥-١٧]، وصلَاةُ اللَّيلِ من أَسْبَابِ دُخولِ الجنَّة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَام؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**» رواه ابن ماجه، وكان النَّبيُّ ﷺ يَقُومُ منَ اللَّيلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ ـ أي: تَتَشَقَّقَ ـ قَدَمَاه من القيام، وكان الصَّحابةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يقومُونَ معه وَيُحْيُونَ زَمَناً منَ اللَّيلِ بالصَّلاة، قال جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المُزّمل: ٢٠]، وقال عَزَّ وَجَلَّ في وصفِهم: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفَتْح: ٢٩]، ومن صَلَّى معَ الإمامِ حَتَّى ينصرفَ كُتِبَ لهُ قِيَامُ لَيْلة.

والمرءُ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ يومَ القيامة، والمتصَدِّقُ موعودٌ بالمغفرةِ

والغنى، قال جلَّ شأنه: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٨]، والمُنْفِقُ المؤمنُ آمِنٌ في الدُّنيا والآخرة، قال جلَّ وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٤]، والمتصدِّقُ تتيَسَّرُ لهُ أعمالُه، قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧]، وكان عليه الصَّلاة والسَّلامُ أَعْظَمَ النَّاسِ صَدَقة، ولا يَسْتَكْثِرُ شيئاً أعطَاه، ولا يَرُدُّ سائلاً، وكان العطاءُ والصَّدقةُ أَحَبَّ شيءٍ إليه، وكان سرُورُه بما يُعْطِيهِ أَعظمَ من سرورِ الآخِذِ بما يَأْخُذُه، والزَّكاةُ من أركانِ هذَا الدِّين، لا يَقُومُ إِسْلامُ المرءِ إلا بها، تُطَهِّرُ المالَ وَتُنَمِّيهِ وتُزَكِّيه، فَطِبْ بها نفساً، وابذُلْ بها كفّاً، ووَاسِ بها محروماً، وأخلص بها قلباً، واحذَر التَّسويفَ في إخراجِها. والسَّلَامةُ من الوقوعِ في الزَّللِ والعِصيانِ لا يعدلها شيء، والبعدُ عن المُلْهِيَاتِ والمُحَرَّمات زكاةٌ للقلوب.

والمرأةُ مأمورةٌ بما يُؤْمَرُ به الرِّجالُ من التِّلاوةِ والتَّعبُّدِ وقِيَامِ اللَّيل، وصلاتُها في دارِها خيرٌ لها من صلاتِها في المسجد، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ**» رواه أبو داود.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحجّ: ٧٧]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

القلوبُ أوعية؛ وخيرُها أَوْعَاهَا، وتَصْفِيَةُ العملِ من الآفاتِ أَشَدّ من العمل، ورمضانُ موسمُ الاغتنامِ واستباقِ الخيرات، وقد أَفْلَحَ منْ أَخْلَصَ فيهِ لِرَبِّه، وكلُّ مَا لم يُرِدْ بِهِ وَجْهُ اللهِ يَضْمَحِلّ، وكِتْمَانُ الحسناتِ من الإخلاص، والرِّياءُ منْ مُفسدَاتِ الأعمال، والخوفُ منَ اللهِ منْ أركانِ العبادة.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه . . .

بشائر رمضان

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فمن اتَّقى الله وقاه، ومن اتَّبع هواه أرداه.

أيُّها المسلمون:

صلاحُ القلب واستقامتُه متوقِّفٌ على توجُّهِه إلى ربِّه جلَّ وعلا بالكُليَّة؛ ليسعَدَ السَّعادةَ النَّفسيَّةَ والجسميَّة، وتهونَ عليه أمورُ الدُّنيا، وينشطَ في فعلِ الخيراتِ والمسابقةِ إلى الطَّاعات، ومن رحمةِ العزيزِ الرَّحيمِ بعباده: أنْ شرعَ لهم ما يُذْهِبُ فضولَ المشاربِ ويستفرغُ من القلب أخلاطَ الشَّهوات، والنَّفسُ إذا جاعت رقَّ القلبُ وصفا.

والمسلمون استقبلوا سيِّدَ الشُّهور ـ شهرَ الغنائمِ والبشائر، شهرَ العفوِ والغُفران، شهرَ الفضائلِ والنَّفحات ـ، له في نفوس الصَّالحين بهجة، وفي

قلوب المتعبِّدين فرحة، رُبَّ ساعةِ قبولٍ أدركتْ عبداً فبلغ بها درجات الرِّضا والرِّضوان، قال أحدُ الصَّالحين عند موته: «ما أبكي إلا على أن يصوم الصَّائمون لله ولست فيهم، ويصلي المصلون ولست فيهم»، فيه ليلةٌ تاجُ على رأس الزَّمان ـ هي خيرٌ من ألف شهر ـ من قامَها إيماناً واحتساباً؛ غفِر له ما تقدَّم من ذنبه، شهرُ المغفرة ومَحْوِ السَّيِّئات، قال النَّبيُّ ﷺ: « **إذا جاء رمضانُ فتِّحتْ أبوابُ الجنان** ـ وفي لفظٍ: **أبوابُ الرَّحمة ـ وغُلِّقَتْ أبوابُ النَّار، وصُفِّدَت الشَّياطين**» متفق عليه، من قامَه إيماناً واحتساباً؛ غفِر له ما تقدَّم من ذنبه، وهو شافعٌ لصاحبه.

أيُّها المسلمون:

من أراد السَّعادة الأبدية؛ فليلزم العبوديَّة، وعملُ البرِّ لا يقوم على سُوقِه إلا بالإخلاص، ومن شرفِ عبوديَّة المؤمن قيامُه باللَّيل، وأفضلُ الصَّلاة بعد الفريضة صلاةُ اللَّيل، فيه تصفُو الأوقات وتحلُو المناجاة، وقد تنافس الصَّالحون في ظَلمَائِه وأحبُّوا الدُّنيا لليلها، قال أبو سليمان الدَّاراني: «واللهِ لولا قيامُ اللَّيل ما أحببتُ الدُّنيا»، واللَّيلُ ثمينٌ بدُجاه، وقيامُه من نعوت الصَّالحين المبشَّرين بجنَّات النَّعيم ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ [الذّاريَات: ١٧]، كان الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «ما ترك أحدٌ قيامَ اللَّيل إلا بذنبٍ أذنبه»؛ فافتح صفحةً مشرقةً مع مولاك، واسْدِل السِّتارَ على ماضٍ نسيتَه وأحصاه الله عليك.

والدُّعاءُ سهمٌ باللَّيل، حبلٌ ممدودٌ بين السَّماء والأرض، ربحٌ ظاهرٌ بلا ثمن، ومغنَمٌ بلا عناء، هو عدوُّ البلاء يدافعُه ويمنعُ نزولَه، ولن يهلكَ

مع الدُّعاء أحد، خزائنُ الله ملآ، ويداه سحَّاءُ الليل والنَّهار لا تَغِيضُها نفقة، وكنْ على رجاءٍ من الإجابة؛ فالمدعوُّ كريم.

فاجعل لك في هذه اللَّيالي مدَّخراً فإنَّها أنفس الذُّخر، وما غُسِلت سيئةٌ بأبهى من دمعةِ حسرةٍ لَيْليَّةٍ على التَّفريط، فقارب الأقدامَ مع المصلِّين إلى انصراف إمامِهم تحظى بالثَّواب، وَمَن لم يُصبِّرْ نفسَه على طاعة ربِّه ويوطِّنْها على محبَّته أُبتلي بتعذيبها على المعاصي وذلِّها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**من قام مع الإمام حتى ينصرف؛ كتب له قيام ليلة**» رواه الترمذي.

أيُّها المسلمون:

الكتابُ العزيزُ آيةُ الرِّسالة ونورُ البصائر والأبصار، لا طريقَ إلى الله سواه ولا نجاةَ لنا بغيره، نزل في خير الشُّهور، ومن أفضل ما تُعمَرُ به الأوقات في رمضان كثرةُ تلاوتِه وتدبُّرِه والعملِ به، وكان الأسودُ رحمه الله يقرأُ القرآنَ في كلِّ ليلتين في رمضان، وكان قتادةُ رحمه الله يختمُ القرآنَ في كلِّ ثلاثٍ وفي العشر الأواخر في كلِّ ليلة. وما في القرآن من المواعظ والعبر تزيدُ المؤمنَ خشوعاً وخضوعاً.

أيُّها المسلمون:

الغنيُّ الشَّحيحُ فقيرٌ مزخرف، وذو الثَّراءِ المُمْسِكُ خادمٌ مبتذَلٌ يجمع المالَ لغيره، والتَّاجرُ البخيلُ يحمل ورقاً لا نقداً، ولقد كان رسولُ الله ﷺ أجودَ النَّاس ـ وكان أجودَ ما يكون في رمضان ـ إن أنفق أجزل، وإن منح أغدق، وإن أعطى أعطى عطاءَ من لا يخشى الفاقة، ما سُئل شيئاً إلا

أعطاه، وما ردَّ سائلاً إلا ألا يجد شيئاً. ورمضانُ موسمٌ للمتصدِّقين، يتنافس فيه ذووا العطاء بالبذل والإنفاق ومدِّ اليد إلى ذوي المسكنة والفاقة، والمالُ لا يُبقِيه حرصٌ وشحّ، ولا يُنقِصُه بذلٌ وعطاء، قال الحسن البصريُّ رحمه الله: «بئس الرَّفيقُ الدِّرهمُ والدِّينار، لا ينفعانك حتى يفارقاك»، ومن جاد على عباد الله جاد الله عليه، ومن فُتِحَ له بابُ خير فلينتهزه، فإنه لا يعلمُ متى يُغلَقُ دونه، وإن استطعت ألا يسبقكَ إلى الله أحدٌ فافعل، مات زين العابدين رحمه الله فافتقد أهلُ المدينة صدقةَ السِّرّ، ولما غسَّلوه وجدوا آثارَ سوادٍ في ظهره ممَّا يحمله على ظهره من الدَّقيق ليلاً لفقراء المدينة.

فالصَّدقةُ يظهرُ أثرُها على النَّفسِ وبركةِ المال والولدِ ودفعِ البلاءِ وجلبِ الرَّخاء، قال ابن القيِّم رحمه الله: «للصَّدقةِ تأثيرٌ عجيبٌ في دفع البلاء، وهذا أمرٌ معلومٌ عند النَّاس ـ خاصَّتِهم وعامَّتِهم ـ، وأهلُ الأرض كلُّهم مقرُّون به؛ لأنهم جرَّبوه، وما استُجلِبَتْ نعمُ الله واستُدفِعَت نِقَمُه؛ بمثل طاعتِه والتَّقرُّبِ إليه والإحسانِ إلى خلقِه»، فابتغوا ذوي المسكنة ـ ولو بالقليل ـ فالقليل في جنب الله كثير، قال يحيى بن معاذ رحمه الله: «ما أعرفُ حبَّةً تَزِنُ جبالَ الدُّنيا؛ إلا الحبَّةَ من الصَّدقة»؛ فابذُل فالبذلُ رفعة، والسَّخاءُ مكرُمة، وكلَّما سَمَتِ النَّفسُ كان البذلُ أعظم، والمرءُ في ظلِّ صدقته يومَ القيامة.

أيُّها المسلمون:

الفسادُ كلُّه في طولِ الأمل واتِّباعِ الهوى، والصَّلاحُ كلُّه في الاستعدادِ للقاءِ الله واتِّباعِ الهدى، وبعضُ المسلمين يَتِيهُ في سَكْرة الغفلةِ والإعراض ـ في ليله هائم وفي نهاره نائم، خان جوارحَه وفرَّط في دُرَرِ شهره ـ وبعضُ

الآباء والأولياء أرخوا زمامَ الحزم لأبنائهم وبناتهم تشبُّثاً بصفة الثِّقة بهم؛ فيأذنُ لبناته بالتَّجوُّل في الأسواق بلا رقيبٍ ولا حسيب، فيَعْرِضْنَ المَفَاتِن ويتعرَّضْن للفتن.

واعْلَمِي ـ أيَّتها المرأة ـ أنَّ ربَّكِ لكِ بالمرصاد، والله يقول: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧]؛ فحافظي على عرضكِ وصوني حياءَك، وابتعدي عن رفيقاتِ السُّوء؛ فنازعةُ الحجابِ والمتزيِّنةُ في الأسواق امرأةٌ محتقرةٌ في المجتمع.

إنَّ واجبَ الآباء إزالةُ المنكرات من دورهم، وإحكامُ الرَّقابة على أولادهم، وعدمُ التَّهرُّبِ من المسؤولية؛ ليَحْسُنَ الحالُ وتَبْرَأَ الذِّمَّةُ في المآل، فأنت ـ أيُّها الأب ـ الملومُ والمذموم؛ فَوِلايتُك في دارك مَنَحَهَا الله لك من فوق سبع سمواته ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النِّساء: ٣٤]، فلا تأذنْ لنسائك بالخروج من بيتك إلا لحاجة، وإذا خرَجَت المرأةُ إلى السوق؛ فليكنْ معَها محرمُها أحمى لجنابها.

وصلاةُ المرأةِ في بيتها أعظمُ أجراً عند الله من صلاتها في المسجد مع الإمام؛ فالبيتُ مكنونُ المرأة وسترُها، وإذا خرجت المرأة إلى المسجد؛ فلتكن محتشمة مستترة، ولتكن البنتُ بجانب والدتها وتحت عينيها؛ فذلك أرعى لها وأزكى لحيائها.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلت: ٤٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

ما الحياةُ إلا أنفاسٌ معدودة، وآجالٌ محدودة؛ فاغتنموا شريفَ الأوقات، واعملوا وأمِّلوا وأبشروا؛ فالمغبونُ من انصرف أو تشاغل بغير طاعة اللهِ والمحرومُ من حُرِمَ ليلةَ القدر، والمأسوفُ عليه من أدرك شهرَ رمضانَ فلم يغفرْ له؛ فاعمُروا أوقاتَكم بالطَّاعة؛ فعُمْرةٌ في رمضان تعدل حجَّة، «**وَمَنْ فَطَّرَ صَائِماً؛ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئاً**» رواه الترمذي.

وأَلِحُّوا في الدُّعاء والمسألة؛ فدعوةُ الصَّائمِ مستجابة، وَصِلُوا ما تمزَّق من أرحامكم، وعليكم بالتَّوبة ما دام بابُها مفتوحاً والعذرُ مقبولاً؛ فَسُوءُ الخاتمة محذور، والموتُ أمرٌ عظيم، ووداعُ الدُّنيا عند الفراق أليم، والأعمالُ والأحوالُ لا تَصفُو إلا بتقصير الآمال، وليكنْ يومُ أحدِكُم خيراً من غابره، قال إبراهيمُ الحربيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «لقد صَحِبتُ أحمدَ بنَ حنبل عشرين سنةً؛ فما لقيتُه في يومٍ إلا وهو زائدٌ عمَّا كان عليه بالأمس».

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

العبادةُ في رمضان

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عبادَ الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعُروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ الله الثَّقلين لعبادته، وهو سبحانه غنيٌّ عنهم، ولا غنى للخلق عنه، فهو الذي يكشف ضُرَّهم، وهو الذي ينفعُهم، ولحاجتهم إليه أوجب عليهم عبادته، وأوَّلُ أمرٍ في كتاب الله هو الأمرُ بعبادته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وأمَرَ الرُّسلَ بالعمل الصَّالح، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، وقال لنبيِّنا محمَّدٍ ﷺ: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦]، ومِن الميثاق الذي أُخذ على

بني إسرائيل: ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [البَقَرَة: ٨٣]، وأمر قريشاً بالتَّعبُّد فقال: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ [قُرَيش: ٣]، وأمرَ المؤمنين به في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [الحَجّ: ٧٧]. ووصَف الله صحابةَ نبيّنا محمَّدٍ ﷺ بكثرة التَّعبُّد، وظهر أثرُ ذلك على جوارحهم، فقال سبحانه: ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفَتْح: ٢٩].

والعُبوديَّةُ لله شرفٌ عظيم، ولمنزلتها دعا سليمان عليه السلام ربَّه أن يكون منهم، فقال: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النَّمل: ١٩]، وكان نبيُّنا ﷺ إذا رفع رأسَه من الرُّكوع قال: «**أَحَقُّ مَا قَالَ العَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ**» رواه مسلم.

وكان النَّبيُّ ﷺ يدعو ربّه بحسنِ العبادة له كما أمره الله؛ لينالَ رضاه، فكان يقولُ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ مفروضة: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» رواه أبو داود.

وكلُّ مسلمٍ يعاهدُ ربّه على القيام بهذه العبادة في صلاته المفروضة في اليوم سبْعَ عشرة مرة يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥]، ومَنْ حقَّقَها ونشأ على الطَّاعة والصَّلاح أظلَّه الله في ظلِّ عرشِه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ** ـ وذكر منهم ـ: **وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ**» متفق عليه.

والعبدُ الصَّالحُ يدعو له كلُّ مصلٍّ بالسَّلامة من الآفات والشُّرور، فإذا قال المصلِّي في التَّشهُّد «السَّلام علينا وعلى عباد الله الصَّالحين» قال

النَّبيُّ ﷺ عن ذلك: «**أَصَابَتْ** ـ أي: الدَّعوة ـ **كلَّ عَبْدٍ للهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**» متفق عليه.

وعبادةُ الله وحده سببُ دخولِ جنَّات النَّعيم، جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ، قَالَ: «**تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ**» متفق عليه.

ومِنْ فضلِ الله على عباده: أنّه لم يترك عبادَه حَيَارى في كيفيَّة التَّعبُّد؛ بل أرسل الرُّسلَ ليبيِّنوا لأقوامهم كيف يعبدون الله؟ ولم يكلِّفِ العبادَ إلا بالامتثال فقال: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ﴾ [النُّور: ٥٤]، وإذا أخلص العبدُ عملَه لله واتَّبعَ نبيَّه ﷺ في طاعته قَبِل الله ذلك العمل منه ورفعه إليه، قال ﷻ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ [فاطِر: ١٠].

والله سبحانه قضى أنَّ أعمارَ هذه الأمَّةِ قصيرةٌ، وجعلها ما بين السِّتين إلى السَّبعين، والأيَّام واللَّيالي فيها تذهب سراعاً، والعامُ يطْوي شهورَه تباعاً، وسنةُ الله في كونه قدومٌ وفوات، وعوَّض سبحانه هذه الأمة لَمَّا قصرت أعمارهم بمواسمَ في الدَّهر تُضَاعَفُ فيها أعمالُهم وتُغفرُ فيها ذنوبُهم، وفضَّل شهراً في العام على بقيَّة الشُّهور؛ فبعث فيه رسولَه، وأنزل فيه كتابَه، يرتقبُه المسلمون في كلِّ حولٍ وفي نفوسهم له بهجة، يؤدّون فيه ركناً من أركان الدِّين، جعله الله ميداناً يتسابق فيه المتنافسون بأنواع الطَّاعات والقربات، وخصَّه بليلةٍ مباركةٍ تتنزلُ فيها الملائكة، والعملُ فيها خيرٌ من ألف شهر.

ولشرفِ رمضانَ مَنْ أَخْلص صيامَه لله ابتغاءَ الثَّوابِ غُفر له ذنبه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» متفق عليه. ومَنْ صلَّى التَّراويحَ في رمضان مخلصاً لله؛ غُفر له ما تقدَّم من ذنبه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» متفق عليه. وَمَنْ صلى مع الإمام حتى ينصرف؛ كُتب له قيام ليلةٍ كاملة.

والقرآنُ العظيمُ كلامُ ربِّ العالمين، وصفه الله بالنُّورِ والبركةِ والهداية، مَنْ تلاه نال من البركةِ والضِّياءِ بقدر قُرْبِه منه، والماهرُ بقراءته مع الملائكة السَّفَرةِ الكرامِ البررة، ومَنْ قرأه تضاعفت له الأجورُ بقدر ما رَتَّلَ من الحروف، والقرآنُ أُنزلَ في رمضان وتتأكد تلاوتُه فيه، وكان جبريلُ عليه السلام يُدارس النَّبيَّ ﷺ القرآن فيه.

والصَّومُ مَظِنَّةُ إجابةِ الدُّعاء، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ثلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُوم يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**» رواه الترمذي، وأنزل الله قولَه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦] بين آياتِ الصِّيام؛ إيماءً بالإكثارِ من الدُّعاء في رمضان.

وشهرُ رمضانَ شهرُ الفقراءِ والمساكين، يرقبونه عاماً بعد عام؛ لينالوا فضلَ الله فيه، فلا تَرُدْ ذا مسكنةٍ أو متربة، وابذُلْ الكفّ فيه بالعطاء، ومُدَّ اليدَ فيه بالكرم والسَّخاء، وكان النَّبيُّ ﷺ أجودَ ما يكون في رمضان، ومَن أغدق على عباده منحه الله من فضله خيراً ممَّا بذل ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سَبَإ: ٣٩].

ورمضانُ غنيمةُ التَّائبين؛ فنفحاتُ التَّوَّابِ الغفورِ في ليلِه ونهارِه، أغلقَ فيه أبوابَ النِّيران وفتحَ أبوابَ الجنان؛ ليعود العبادُ إليه بالتَّوبةِ والإنابة، فعلى المسلم أن يَصْدُقَ فيه مع اللهِ ويتوبَ إليه مما اقترفته جوارحه من السَّيِّئات، وأن يفتحَ صفحةً مشرقةً مع مولاه، فالمعصية لا تأتي بخيرٍ قط.

وأبوابُ الخير تُفتح على العبد حيناً وقد تُغلق سريعاً، وإن أدركتَ رمضان فقد لا يعود، وإن عاد عليك عاماً آخر فالنَّفس قد تتبدَّل من ضعفٍ في الهداية، أو التَّسويف، أو قصورِ العافية، أو غيرِها من الصَّوارف؛ فبادرْ إلى كلِّ عملٍ صالحٍ قبلَ الفوات.

والمحرومُ منْ فرَّط في دُررِ لحظات رمضان، وحرَمَ نفسه العملَ في لياليه، وبارزَ الله فيه بالعصيان بنومٍ عن الصَّلاة المفروضة، أو سهرٍ على الملهيات والمحرمات، والصَّومُ ليس امتناعاً عن الأكلِ والشُّربِ فحسب؛ بل شُرِعَ لتحقيق التَّقوى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٣]، فصومُ الجوارح واجبٌ بحفظِ اللِّسانِ عن المحرَّمات ـ من الكذبِ والغيبة ـ وغضِّ البصر عن النَّظر إلى ما نهى الله عنه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**» متفق عليه.

وعلى المرأةِ أن تصونَ نفسَها وشهرَها بالسِّترِ والحجابِ والعفاف، والبعدِ عن مواطن الفتن، وصلاتُها في بيتها خيرٌ من صلاتها في مسجدِها.

والفائزُ من سابق إلى الطَّاعات ونوَّع منها، وحفظَ جوارحَه عن المعاصي والأوزار وابتعدَ عنها.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِهِ وامتِنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

كان النَّبيُّ ﷺ يكثرُ من صيامِ شعبانَ توطئةً لصيامِ أفضلِ الشُّهور، قالت عائشةُ رضي الله عنها: «ما رَأَيْتُ النَّبيَّ ﷺ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَاماً فِي شَعْبَانَ» متفق عليه. ومن كان يصوم من أوَّلِ شعبان؛ فله أن يصومَ في نصفه الأخير، ولم يثبت عن النَّبيِّ ﷺ في فضلِ شعبانَ شيءٌ سوى الإكثارِ من صومه، وليست فيه ليلةٌ فاضلةٌ لا في أوَّله ولا منتصفِه ولا آخره، قال ابن رجبٍ رحمه الله: «قيامُ ليلةِ النِّصفِ من شعبانَ لم يثبت فيها شيءٌ عن النَّبيِّ ﷺ ولا عن أصحابه»، وخيرُ الهدي ما جاءَ به نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ، والموفَّقُ من جمع بين إخلاصِ العملِ لله والاقتداءِ بالنَّبيِّ ﷺ.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

فوائدُ الصَّوم

إنّ الحمدَ لله، نحمده ونستعينهُ ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عبادَ الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى أجملُ ما أَظهَرتم، وأكرمُ ما أَسرَرتم.

أيُّها المسلمون:

بنى الله الدِّينَ على قواعدَ لا يقومُ إلا بها، ونوَّعَ سبحانه بين أركان الإسلام في الأداء، فمنها ما يُقام في اليوم مرات، ومنها ما يُؤدَّى مرةً في العام، ومنها ما أُمِرَ بفعله في العمر مرة، ومنها ما يكونُ ملازماً للمسلم في كلِّ حينٍ وهما الشَّهادتان، وهذه الأسسُ تَشملُ عبادةَ القلبِ واللِّسان، والمالِ والجوارح؛ ليكونَ المرءُ كلُّه لله، ممتثلاً أمرَه في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ❁ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعَام: ١٦٢-١٦٣].

وركنٌ في الإسلامِ جعله الله شهراً كاملاً في العام؛ ليتزوَّد فيه المسلمون من التَّقوى، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٣]، وخصَّ رمضانَ بالصَّوم؛ لأنّه الشَّهرُ الذي حلَّت فيه السَّعادةُ للبشر بنزول القرآن وبعثةِ النَّبيِّ ﷺ، فيشكر المسلمون ربَّهم بالصِّيام في هذا الشَّهر؛ قال ﷻ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥] قال ابن كثير رحمه الله: «يمدحُ تعالى شهرَ الصِّيامِ من بين سائرِ الشُّهور بأن اختاره من بينهنّ؛ لإنزالِ القرآنِ العظيم».

ورفعَ اللهُ قدرَ هذا الشَّهر، فأبوابُ الجنةِ تُفتَّحُ فيه وأبوابُ النَّار فيه تُغلَّق، وتصفَّدُ فيه الشَّياطينُ؛ ليمتنعوا من أذى المؤمنين وإغوائِهم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**» رواه مسلم. قال ابنُ العربيّ رحمه الله: «وإنما تُفَتَّحُ أبوابُ الجنَّة؛ ليَعْظُمَ الرَّجاءُ، ويَكثُرَ العملُ، وتتعلَّقَ به الهمم، ويتشوَّقَ إليها الصابر. وتُغلَّقُ أبوابُ النَّار؛ لتخزَى الشَّياطين، وتَقِلَّ المعاصي».

وأساسُ التَّقوى إخلاصُ الأعمال لله وحده، والصَّائمُ يَدَعُ شهوتَه وطعامَه وشرابَه من أجلِ معبودِه، وهو سرٌّ بين العبدِ وربِّه، لا يطَّلعُ على صومه سوى اللهِ وتلك حقيقةُ الإخلاص والمراقبةِ لله.

في رمضانَ عباداتٌ تكفِّرُ الخطايا؛ فصيامُه يغفرُ الزَّلَّاتِ والأوزار، قال النَّبيُّ ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ**» رواه الترمذي. ومَنْ حافظَ على صيامِه كان وقايةً له من النَّار، قال النَّبيُّ ﷺ: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ**» متفق عليه. قال ابن حجر رحمه الله: «إذا كفَّ نفسَه عن

الشَّهوات في الدُّنيا، كان ذلك ساتراً له من النَّار في الآخرة». ومَنْ صلَّى في ليلِه؛ غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه**» متفق عليه. قال النَّوويّ رحمه الله: «والمرادُ بقيامِ رمضان: صلاةُ التَّراويح».

شهرٌ مباركٌ العمرةُ فيه عن حجَّة، قال النَّبيُّ ﷺ ـ لامرأةٍ من الأنصار ـ: «**مَا مَنَعَكِ أَنْ تَحُجِّينَ مَعَنَا**؟ قَالَتْ: كَانَ لَنَا نَاضِحٌ، فَرَكِبَهُ أَبُو فُلَانٍ وَابْنُهُ ـ يعني: زَوْجَهَا وَابْنَهَا ـ وَتَرَكَ نَاضِحاً نَنْضَحُ عَلَيْهِ، قَالَ: **فَإِذَا كَانَ رَمَضَانُ اعْتَمِرِي فِيهِ، فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ حَجَّةٌ**» رواه البخاري. قال ابن الجوزيّ رحمه الله: «فيه: أنّ ثوابَ العملِ يزيدُ بزيادةِ شرفِ الوقت، كما يزيد بحضورِ القلبِ وبخلوصِ القصد».

في الصَّومِ تزكيةٌ للبدن، وتضييقٌ لمسالكِ الشَّيطان، وهو يهذِّبُ اللِّسان فيدعو إلى مجانبةِ الكذبِ وقولِ الحرام، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالعَمَلَ بِهِ؛ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ في أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَه**» رواه البخاري. قال ابن القيِّم رحمه الله: «مَنْ جالسَ الصَّائمَ انتفع بمجالسته، وأَمِنَ فيها من الزُّورِ والكذبِ والفجورِ والظُّلم، فإن تكلَّمَ لم يتكلمْ بما يجرحُ صومَه، وإن فعلَ لم يفعلْ ما يُفسِدُ صومَه؛ فيخرج كلامُه كلُّه نافعاً صالحاً».

ورمضانُ شهرُ الكرمِ والبذلِ للفقراء، فإذا صام الغنيُّ تذكَّرَ من لا قوتَ له، فيدعوه ذلك إلى العطاءِ والسَّخاء، سُئلَ بعض السَّلف: «لم شُرِعِ الصِّيام؟ قال: ليذوق الغنيُّ طعمَ الجوع، فلا ينسى الجائع».

رمضانُ نهارُه عبادةٌ بالصَّومِ والدُّعاءِ ونفعِ المسلمين، وفي ليلِه دعاءٌ

واستغفارٌ وتلاوةُ القرآنِ العظيم، فمُدارسةُ جبريلَ عليه السلام للنَّبيِّ ﷺ القرآنَ كانت باللَّيل، قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ القُرْآنَ» رواه البخاري.

الصِّيامُ جُنَّةٌ من أمراضِ الرُّوحِ والقلبِ والبدن، قال ابن القيمِّ رحمه الله: «منافِعُه تفوتُ الإحصاء، وله تأثيرٌ عجيبٌ في حفظِ الصِّحَّة». في الصَّومِ دقَّةُ العبادة، فجميعُ المسلمين يُفْطِرُون في وقتٍ واحدٍ ـ لا يَتقدَّمُ أحدٌ على آخر، ولا يسبِقُ واحدٌ أحداً في الطَّعام ـ، الصَّائمُ يجمعُ حفظَ الجوارحِ الظَّاهرةِ وحراسةَ الخواطرِ الباطنة، فينبغي أن يُتلقَّى رمضانُ بتوبةٍ نصوح، وعزيمةٍ صادقة.

رمضانُ موسمُ التَّعبُّد لله، وكان النَّبيُّ ﷺ يخصُّه بالعبادةِ بما لا يخصُّ غيرَه من الشُّهور، وكان الصَّحابةُ رضي الله عنهم أحرصَ النَّاسِ على العبادة في رمضان، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «كانوا إذا صاموا جلسوا في المسجد». وإذا فُتِحَ لك بابُ خيرٍ فبادرْ إليه؛ فالأبوابُ لا تُفتَحُ للمرءِ على الدَّوام.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولهُ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الحكمةُ من تشريعِ الصِّيامِ هي التَّقوى، ومن التَّقوى: الإمساكُ عن الأقوالِ المحرمة، كما يُمسكُ عن الطَّعامِ والشَّراب، قال جابرٌ رضي الله عنه: «إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصَرُكَ وَلِسَانُكَ عَنِ الكَذِبِ وَالمَآثِمِ، وَدَعْ أَذَى الخَادِمِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَيَوْمَ صِيَامِكَ سَوَاءً»، وقال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: «إِذَا صُمْتَ فَتَحَفَّظْ مَا اسْتَطَعْتَ»، وإذا صمتَ عن الطَّعامِ والشَّرابِ والأقوالِ الآثمة؛ فلا يكنْ للشَّيطان عليك سبيلاً بالنَّظرِ والسَّمعِ المحرَّم، واجعلِ الجوارحَ كلَّها صائمةً لله.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

فراقُ رمضان

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فتقوى الله أكرمُ ما أسررتم، وأجملُ ما أظهرتم.

أيُّها المسلمون:

إنَّ الشُّهورَ واللَّياليَ والأعوامَ مقاديرُ للآجال ومواقيتُ للأعمال، تنقضي حثيثاً وتمضي جميعاً، والموتُ يطوف باللَّيل والنَّهار لا يؤخِّر من حضرت ساعتُه وفَرَغَتْ أيَّامُه ولياليه، والأيَّامُ خزائنُ حافظةٌ لأعمالكم تُدْعَوْن بها يومَ القيامة ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عِمرَان: ٣٠]، ينادي ربُّكم: «**يا عبادي! إنَّما هي أعمالُكم أُحصِيها لكم، ثم أوفِّيكُم إياها، فمن وجد خيراً فليحمدِ الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسَه**» رواه مسلم.

لقد رحل شهرُكم بأعمالكم، فمن كان مسيئاً فليبادرْ بالتَّوبة والحسنى قبل غلْقِ الباب، ومن كان في شهره إلى ربِّه منيباً وفي عمله مصيباً فليُحْكِمِ

البِناء، ولْيَشْكُرِ المنعمَ على النَّعماء، ولا يكنْ كالتي نَقَضَتْ غزلَها من بعد قوة أنكاثاً، وما أجملَ الطَّاعةَ تعقبُها الطَّاعات، وما أبهى الحسنةَ تُجمَع إليها الحسنات، وأكرمْ بأعمالِ البرِّ في ترادف الحلقات! إنَّها الباقياتُ الصَّالحات التي نَدَبَ الله إليها ورغَّب فيها، وكونوا لقبول العمل أشدَّ اهتماماً منكم بالعمل، فربُّكم لا يتقبَّل إلا من المتَّقين، وما أقبحَ فعلَ السَّيِّئة بعد الحسنة، ولئن كانت الحسناتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئات؛ فإنَّ السَّيِّئاتِ قد يُفسِدْنَ الأعمالَ الصَّالحات.

أيُّها المسلمون:

كنتم في شهرِ البِرِّ والخيرِ تصومون نهارَه وتقومون ليلَه، وتتقرَّبون إلى ربِّكم بأنواع القربات، طمعاً في الثَّواب وخشيةً من العقاب، وقد رحلت تلك الأيامُ وكأنَّها ضربُ خيال، لقد قطعت مرحلةً من الحياة لن تعود، هذا هو شهركم وهذه هي نهايتُه، كم من مستقبلٍ له لم يستكملْه؟ وكم من مؤمِّلٍ أن يعود إليه لم يدركْه؟ وهكذا أيَّام العمُر مراحلُ نقطعُها يوماً بعد يومٍ في طريقِنا إلى الدَّارِ الآخرة.

إنَّ استدامةَ أمرِ الطَّاعة وامتدادَ زمانِها زادُ الصَّالحين وتحقيقُ أَمَلِ المحسنين، وليس للطَّاعةِ زمنٌ محدود، ولا للعبادة أجلٌ معدود؛ بل هي حقٌّ لله على العباد، يعمُرُون بها الأكوان على مرِّ الأزمان، وشهرُ رمضان ميدانٌ لِتنافسِ الصَّالحين، وتسابقِ المحسنين، يعمرون أرواحهم من الفضائل، ويمنعون عنها الرَّذائل، ويجب أن تسير النُّفوس على نهج الهدى والرَّشاد بعد رمضان؛ فعبادةُ ربِّ العالمين ليست مقصورةً على رمضان، وليس للعبد منتهىً من العبادة دون الموت، وبئس قومٌ يعبدون الزَّمان، لا يعرفون الله إلا في رمضان.

أيُّها المسلمون:

إنَّ للقبول والرِّبح في هذا الشهر علامات، وللخسارة والرَّدِّ أمارات، ومن علامةِ قبول الحسنةِ فعلُ الحسنة بعدها، ومن علامة السَّيِّئةِ السَّيِّئةُ بعدها، فأتْبِعوا الحسناتِ بالحسنات تكنْ علامةً على قبولها، وأتْبِعوا السَّيِّئاتِ بالحسنات تكنْ كفَّارةً لها ووقايةً من خطرها، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هُود: ١١٤]، وقال النَّبيُّ ﷺ: «**اتقِ الله حيثُما كنت، وأَتْبعِ السَّيِّئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالقِ النَّاسَ بخلُقٍ حسن**» رواه الترمذي. ومن عَزَمَ على العَوْد إلى التَّفريط والتَّقصير بعد رمضان؛ فالله حيٌّ لا يُفنيه تداولُ الأزمانِ وتعاقبُ الأَهِلَّة، وهو يرضى عمَّن أطاعه في أيِّ شهرٍ كان، ويَغْضَبُ على من عصاه في أيِّ وقتٍ وآن، ومدارُ السَّعادة في طولِ العمر وحسنِ العمل، ومداومةُ المسلمِ على الطَّاعة من غير قَصْرٍ على زمنٍ معيَّن أو شهرٍ مخصوص أو مكانٍ فاضل؛ من أعظمِ البراهين على القبولِ وحسنِ الاستقامة.

أيُّها المسلمون:

إنِ انقضى موسمُ رمضان؛ فإنَّ الصِّيامَ لا يزال مشروعاً في غيره من الشُّهور، فقد سنَّ رسولُ الله ﷺ صيامَ يوم الاثنين والخميس، وقال: «**تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**» رواه الترمذي، وأوصى نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه بصيام ثلاثةِ أيَّامٍ من كلِّ شهر، وقال: «**صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، صَوْمُ الشَّهْرِ كُلِّه**» متفق عليه. وأتْبِعُوا صيامَ رمضانَ بصيامِ ستٍّ من شوَّال، قال النَّبيُّ ﷺ: «**من صامَ رمضانَ، ثم أتْبعَه ستاً من شوَّال؛ كان كصيامِ الدَّهر**» رواه مسلم. ولئن

انقضى قيامُ رمضان؛ فإنَّ قيامَ اللَّيل مشروعٌ في كلِّ ليلةٍ من ليال السَّنَة، «واللهُ ينزلُ إلى السَّماءِ الدُّنيا كلَّ ليلة حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟! مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟! مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟!» متفق عليه. وأحبُّ الأعمالِ إلى الله أدومُها وإن قلّ، والمغبونُ من انصرف عن طاعة اللهِ والمحرومُ من حُرِمَ رحمةَ الله.

عبادَ الله:

في حينِ انغماسِ بعضِ الشَّبابِ في شهرِ رمضان في الشَّهواتِ والمنكرات، وتقلُّبِهم في المعاصي والسَّيِّئات، ترى فتيةً قد سلكوا طرُقَ الخيرات، وسَعَوْا للتزوُّد من الباقيات الصَّالحات، ولزموا الاعتكافَ في بيوت اللهِ وقطعُوا العلائقَ عن الخلائق للاتِّصال بالخالق، جعلوا رضا اللهِ فوقَ أهوائِهم وطاعتَه فوقَ رغباتِهم، تراهم ما بين راكعٍ وخاشعٍ وساجدٍ ودامع، يتلون كتابَ ربِّهم، ويُكثِرُون من ذكرِ خالقهم، يعيدون الأملَ للأمَّة والصَّلاحَ في أبناء الملَّة؛ فلْيُحْذَ حذوُهم في الاستقامة والنَّقاء، وليهنئوا فهذا فعل النُّبلاء ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يُونس: ٥٨].

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النّحل: ٩٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

اتقوا الله؛ فإنَّ تقواه رأسُ الأمر كلِّه، واعملوا بطاعته تفوزوا بمرضاته، واجتنبوا محارمَه تنجُوا من غضبه وعقابه، ولا تعودوا إلى الانغماس في معصيته؛ فإنَّ الانغماسَ في المعاصي يوجبُ عذابَه. وقد ودَّعتم موسماً مباركاً عظيماً من مواسم المتاجرة مع ربِّكم بالأعمال الصَّالحة، واللهُ يمتنُّ على أهل هذه القبلة بفيض رحمته ورضوانه، وأعتق رقاباً قد أرَّقَتها جرائرُ سيِّئاتها، فاستأثرت بالسَّعادة ونجت من الشَّقاوة، وهنيئاً لمن فاز بجائزة ربِّه! ويا ويح من عاد بالخيبة والنَّدامة!

وكأنَّكم بالأعمال قد انقضت، وبالدُّنيا قد مضت، فاستعدوا بذخائر الأعمال لِمَا تَلْقَوْا من عظيم الأهوال، وقد آن وقتُ التَّحويلِ إلى الوقوف بين يدي الملك الجليل؛ فأنفاسُكم معدودة، ومَلكُ الموت قاصدٌ إليكم، يقطعُ آثارَكم ويخرِّبُ ديارَكم، فرَحِمَ اللهُ عبداً نظر لنفسه، وقدَّم لغده من أمسه، فترحَّلْ من مواطن غيِّك وهلاكك إلى مواطن رشدك وسدادك، ولا

تغترَّ بكثرة الهالكين بزخارف الدُّنيا، ولا تستوحشْ من الحقِّ لقلة السَّالكين.

واشكروا ربَّكم على إتمامِ فرضِكم، وابتهجوا بعيدكم بالبقاء على العهد وإتباع الحسنةِ بالحسنة، وإيَّاكم والمجاهرةَ بقبيح الفعال والآثام؛ فذلك ماحقٌ للنِّعم، قال أحد السَّلف: «كلُّ يوم لا يُعصى اللهُ فيه؛ فهو عيد، وكلُّ يوم يقطعُه المؤمنُ في طاعة مولاه؛ فهو عيد».

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

رحيلُ رمضان

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عبادَ الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسِكوا من الإسلامِ بالعُروة الوُثقى.

أيُّها المسلمون:

يُنْزِلُ اللهُ على عبادِه مواسمَ الخيرات ليتزوَّدُوا من الطَّاعات، ولحكمتِه سبحانه لا تدومُ الأيَّامُ المبارَكات؛ ليتسابقَ المتسابقون في لحظاتِها ويحرُمَ من فضلها المقصِّرون. وقد حلَّ بالمسلمين زمنٌ فاضل؛ في نهارِه صيامٌ وبذلٌ وعطاء، وفي ليلِه تهجُّدٌ وقرآنٌ ودعاء، كم منْ مسيءٍ غُفر له؟ وكم من محرومٍ وُهبَ له؟ وكم من شقيٍّ كُتِبتْ له السَّعادة؟ وكم من دعوةٍ استُجيبت؟ وكم منْ عملٍ صالحٍ كان سببَ دخولِ الجنَّة؟

أيَّامٌ مبارَكة أذنتْ بالرَّحيل وأوشكت على الزَّوال، موسمٌ يودِّعه المسلمون، كم من حيٍّ لن يعودَ عليه رمضانُ وكُتِبَ في عِدادِ أهلِ القبور

فيكون مرهوناً بعمله، قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدَّثر: ٣٨]، والعاقلُ من انتهز بقيَّةَ لحظاتِ شهرِه فشغَلَها بالطَّاعاتِ وعظيمِ القُرُبات واستبدلَ السَّيِّئاتِ بالحسنات، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «العبرةُ بكمالِ النِّهايات لا بنَقصِ البدايات»، فمن كان في شهرِه منيباً وفي عملِه مصيباً؛ فليُحْكِم البناءَ وليشكر اللهَ على النَّعماء، ولا يكنْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً، ومن كان مسيئاً؛ فليتبْ إلى اللهِ ما دامَ بابُ التَّوبة مفتوحاً، فرمضان موسمٌ لتوبةِ العاصين.

أيُّها المسلمون:

الاستغفارُ ختامُ الأعمالِ الصَّالحة، يُخْتَمُ به الصَّلاةُ والحجُّ وآخرُ اللَّيل، ومن خيرِ ما يُخْتَمُ به شهرُ رمضان: كثرةُ الاستغفار، وتلاوةُ القرآن، والدعاء؛ فالأعمالُ بالخواتيم. وإذا أكملَ المسلمُ العملَ وأتمَّه بقي عليه الخشيةُ من عدمِ قبولِه أو فسادِه بعد قبوله، قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُونُوا لِقَبُولِ العَمَلِ أَشَدَّ اهْتِمَاماً مِنْكُمْ بِالعَمَلِ»؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المَائدة: ٢٧]. قال سلمةُ بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخَوْفُ عَلَى العَمَلِ أَلَّا يُتَقَبَّلَ أَشَدُّ مِنَ العَمَلِ».

والمرءُ مأمورٌ بعبادةِ الرَّحمنِ في كلِّ وقتٍ وآن، قال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحِجر: ٩٩]، ومن كان يعملُ الصَّالحات في رمضان؛ فليداومْ عليها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**» متفق عليه. قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قليلُ العملِ الدَّائمُ خيرٌ مِنْ كَثِيرٍ يَنْقَطِع، وَإِنَّمَا كَانَ القَلِيلُ الدَّائِمُ خَيْراً مِنْ الكَثِيرِ المُنْقَطِع؛ لِأَنَّ بِدَوَامِ القَلِيلِ تَدُومُ الطَّاعَةُ وَالذِّكْرُ وَالمُرَاقَبَة، وَالنِّيَّةُ وَالإِخْلَاصُ وَالإِقْبَالُ عَلَى

الخَالِق سُبْحَانه وتَعَالَى، وَيُثْمِرُ القَلِيلُ الدَّائِمُ بِحَيْثُ يَزِيد عَلَى الكَثِير المُنْقَطِع أَضْعَافاً كَثِيرَة».

ومِنْ كرَمِ الله أنَّ الأعمالَ الصَّالحةَ في رمضانَ دائمةٌ طوالَ العام؛ فيشرَعُ صيامُ ستٍّ من شوَّال، ومَنْ صامَها كان كصيامِ الدَّهر، وصيامُ الاثنين والخميس وثلاثةِ أيَّامٍ من كلِّ شهرٍ مرغَّبٌ فيه، وتلاوةُ القرآنِ العظيمِ مأمورٌ بها على الدَّوام، وقيامُ اللَّيلِ مشروعٌ في كلِّ ليلةٍ يغرُبُ شمسُ نهارِها، والصَّدقةُ بابٌ مفتوح، والدُّعاء لا غنى للمرءِ عنه في حياتِه.

ومَنْ عَمِلَ طاعةً فعلامةُ قبولِها أن يَصِلْهَا بطاعةٍ أخرى، وعلامةُ ردِّها أن يُعقِبَ تلك الطَّاعةَ بمعصية، وما أحسنَ الحسنةَ بعد السَّيِّئةِ تمحوها، وأحسنُ منها الحسنةُ بعد الحسنة تتلوها، وما أقبحَ السَّيِّئةَ بعد الحسنةِ تمحقُها وتعفوها، فزَكُّوا أنفسكم بفعلِ الطَّاعة والإخلاصِ في العبادة، وصدقِ التَّوبةِ إلى الله طمعاً في عظيمِ مغفرتِه وواسعِ رحمتِه وجزيلِ عطائه.

أعوذ بالله من الشَّيطانِ الرَّجيم

﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم ...

الخطبة الثانية

الحَمدُ لله علَى إحسَانِه، والشُّكرُ لَه علَى تَوفِيقِه وامتِنانِه، وأَشهَد أَلَّا إلـهَ إلَّا الله وَحدَه لا شَريكَ لَه تعظيماً لشَأنه، وأَشهَد أنّ محَمّداً عبدُه ورَسولُه، صلى الله عَلَيه وعلَى آلِه وأصحَابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

شرعَ اللهُ في ختامِ الشَّهرِ زكاةَ الفطرِ؛ طهرةً للصَّائمِ من اللَّغوِ والرَّفَث، وطعمةً للمساكين، قال ابنُ عمر رضي الله عنهما: «فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطْرِ، صَاعاً مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ: عَلَى العَبْدِ وَالحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ، مِنَ المُسْلِمِينَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْه. ويستحبُّ إخراجُ الزَّكاةِ عن الجنين، ولا بأسَ بنقلِ الزَّكاة إلى بلدٍ آخر، وإخراجُها في المحلِّ الذي أنتَ فيه أفضل، ويجوز إخراجُها قبل العيد بيومٍ أو يومين، ويستحبُّ إخراجُها حينَ الذَّهابِ إلى صلاةِ العيد.

والعيدُ فرحٌ بتفاؤلِ قبولِ الأعمالِ الصَّالحة في شهرِ البركات؛ فيُشرَعُ التَّكبيرُ من ليلتِه إلى صلاةِ العيد، وكان النَّبيُّ ﷺ يخرج إلى العيد في أجمل ثيابه، وإذا أرادَ أن يخرُجَ إلى صلاةِ العيد أكلَ تمرات، وخرَج من طريقٍ إلى المصلَّى وعاد من طريقٍ آخر. ومن فاتته صلاةُ العيد فإنّه يصلِّيها على صفتِها، سواءٌ في المصلَّى أو في غيرِه ـ جماعةً أو فرادى ـ، قال البخاريُّ رحمه الله: «إِذَا فَاتَهُ العِيدُ يُصَلِّي رَكْعَتَيْن».

والعيدُ سرورٌ واستبشارٌ بإسباغِ فضلِ اللهِ على عبادِه؛ فيكثرُ العبدُ في يومِ العيدِ من ذكرِ الله، قال النبيُّ ﷺ: «**وَإِنَّ هَذِهِ الأَيَّام؛ أَيَّامُ أَكْلٍ، وَشُرْبٍ، وَذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**» رواه أبو داود. وليحذرِ المسلمُ أن يتجاوزَ في العيدِ ما حدّه الله له؛ فيهدمَ ما بناه في رمضان، وليكنْ على وجهِك في العيدِ وغيرِه نورُ الطَّاعةِ وسَمْتُ العبادة.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاةِ والسَّلامِ على نبيِّه . . .

أيَّامُ الحج

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واعتصموا به؛ فمن اعتصم بحبلِ رجاءِه وفَّقَه وهدَاه، ومن لجأ إليه حفظَه ووقَاه.

أيُّها المسلمون:

في ربوعِ الأمنِ تتحقّقُ الأماني، وفي البلدِ الأمينِ ترتفع نفوسُ الصَّالحين، ويتنعَّمُون بصفو الأيَّام واللَّيالي، وحولَ بيتِ الله يأمن الخائفون، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عِمرَان: ٩٧]. وقداسةُ البيت الحرام امتدَّت إلى أعظمَ من ذلك؛ فهو حرَمٌ لا يُصاد فيه الطَّير، ولا يُنفَّر فيه الحيوان، ولا يُقطَع فيه النَّبات، ولا تُلتَقط لقطَتُه إلا لمُنْشِد.

والبيتُ المشرَّفُ هو العلَمُ الخالدُ للحنيفيَّةِ السَّمحة، ومَقْصِدُ حجاجِ بيت اللهِ رُفِعتْ قواعدُه على الإخلاص، ونهض على الخشية والتَّقوى، رُفعَ بأكفِّ نبيٍّ وبمشاركة نبيّ، وهما يرفعان أشرف معمور يخشيان ألا يُتقبَّل منهما

العمل، فلجآ إلى الله ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]؛ فأصبح البيتُ المشرَّفُ شامخَ البنيان، ثابتَ الأركان، يطاولُ الزَّمان في مَنعةٍ من الله وأمان، يتعاقبُ الأجيال على حجِّه، ويتنافسُ المسلمون في بلوغ رحابِه.

في وَاحَتِه الأمنُ والاطمئنان، وفي جواره الخيرُ والثَّمرات ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧]. عند البيت تصفو الأرواح، ويرِقُّ القلب، إنّه القِبلة التي يتوجَّهون إليها وتَستديرُ الصُّفوفُ حولَه، يجدون عنده الرَّايةَ التي يستظلُّون بها، ويسيرون في ركابها، إنَّها رايةُ الإيمان التي تتوارى في ظلِّها فوارقُ الأجناس والألوان، واللُّغاتِ والأقطار، يجدون قوةَ الاجتماع، وثمرةَ التَّضامن، داعي هذا الجمع العظيم دعوةُ خليلِ الرَّحمن ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: ٢٧]. وغايةُ هذا اللقاء: تجريدُ القصدِ والعملِ لله.

أيُّها المسلمون:

الحجُّ مَجْمَعُ الإسلامِ الأعظم، تلتقي فيه الجموعُ على دعوة أبيهم إبراهيم، ولا تزال أفئدةُ المسلمين تهوي إلى البيت الحرام، وتتشوَّفُ إلى رؤيتِه والطَّوافِ به، والعكوفِ حوله. وتَستَجْمِعُ الأحداثَ الماضية؛ فتتذكَّرُ إبراهيمَ وهو يودِّع إسماعيلَ وأمَّه قربَ البيت، ويفوِّضُ أمرَهم إلى الخالق، ويتوجَّه إلى الله تعالى بالدُّعاء توكُّلاً ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ويتذكَّرُ هاجرَ وهي تلتمس الماء لها ولرضيعِها في ذلك الوادي ـ وهي تُهَرْوِلُ بين الصَّفا والمروة ـ وقد أنهكها

العطش، وأضعفها الجَهد، وأرهقها الإشفاق على طفلها، وفي تللك الحال العسيرة لم تلجأ إلى صنمٍ أو وثنٍ أو حجرٍ لتتوسل به؛ بل جَأَرَتْ إلى الله الواحد الأحد، فإذا الماءُ يتدفَّقُ بين يدي الرَّضيع، وإذا هو زمزم ـ ثمرةُ التَّوكُّلِ على اللهِ ـ ينبوعُ الرحمةِ والخيرِ والبركةِ في صحراء اللَّأْواء والجدب ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطّلَاق: ٣]. وفي سعي هاجرَ؛ إشعارٌ بأهمية الدُّعاءِ والتَّوكُّلِ على اللهِ في ظلٍّ من رحمةِ الله وتوفيقِه إلى الارتباط به في كلِّ مسعى ـ سواءٌ أكان بين الصَّفا والمروة، أم كان بين دروبِ الحياة وصِعَابِها ـ.

ثم تتواكبُ المواقفُ والأحداثُ في خواطر الحاجِّ؛ فيتذكر رسولَ الهدى ونبيَّ الرَّحمةِ محمَّداً ﷺ وهو يعيشُ في طفولته وصباهُ في بطحاءِ مكة، يتيمُ الأبوين، يرعى الغنمَ حول هذا البيت، وإذا الرِّفعةُ بالرِّسالة الخالدة تحيط به، ويلاقي بسببها الكثيرَ من السُّخرية والإيذاء، ثم يهاجرُ إلى المدينة، ويلتمسُ القوةَ والمنَعَةَ للإسلام، ثم يعودُ إلى مكةَ وهو يقود الناسَ في حجَّة الوداع، وأصحابُه الكرامُ حوله يحيطون به من كلِّ جانب، ويتحقَّق وعد الله لأنبيائه وأتباعهم ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غَافر: ٥١].

أيُّها المسلمون:

في الحجِّ إخلاصُ القلب من كلِّ حظٍّ وهوى، وتسليمُ النفس عبوديةً لله ورقّاً؛ فيه براءةٌ من الذُّنوب وخلاصٌ من التَّبعات، وتخلُّصٌ من النَّار وفوزٌ بالجنة. ويتلاشى فيه فواصلُ الجنسِ واللُّغةِ واللَّون، ويثبت فيه ميزان

التَّقوى الثابت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحُجرَات: ١٣].

في الحجِّ عبادةٌ ونسك، طاعةٌ وانقياد، مجاهدةٌ وصبر، شكرٌ وتلبية، سكينةٌ ووقار، ذلٌّ وانكسار. فيه تنوعٌ في العبادة واختلافٌ في القُرَب؛ فَذِكْرُ الله مع الحاج ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ١٩٨]، وفيه الاستغفار ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [البَقَرَة: ١٩٩]، ذِكْرُ الله مصاحبٌ لهم كلَّما أقاموا أو ارتحلوا، أو هبطوا ثَنِيَّة أو صعدوا، وشرفُ الحجيج «لبَّيك لا شريك لك لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك لبَّيك».

عباد الله:

في يومِ عرفاتِ الأغرِّ تشهد أرضُها أفواجاً من الحجيج، تُسْكَبُ فيه العبرات، وتُقَالُ فيه العثرات، وتُمْحَى السَّيِّئات؛ فما من يومٍ أكثرُ عتقاً من النَّار من يوم عرفة، مع غفران المولى للذُّنوب ومباهاةِ الله ملائكتَه بأهل الموقف.

وقوفُهم وانصرافُهم؛ تذكيرٌ للمؤمن بموقف العباد في أرض المحشر لفصل القضاء في عرصات القيامة، ولو رأيتهم إذ باتوا في مزدلفة، فبيَّتُوا الطَّاعة وازدلفوا إلى الله صباحاً بالذِّكر عند المشعر الحرام، ثم بلغوا مِنى ـ فيتمُّ لهم بذلك بلوغ المُنى ـ ورمَوُا الجمرات، وحلقوا الرُّؤوس، ونحروا الهدي، والتمسوا من الله الرَّشادَ والهدى، وأمَّوُا البيتَ الحرامَ لطواف الإفاضة والسَّعي بين الصَّفا والمروة؛ فأتموا بذلك الحج.

فحبذَّا العملُ المبرور، ونعم السَّعيُ المشكور؛ فعلى مثل هذا النَّهج فليعمل العاملون، وفي بذل الجهد لطاعة الله فليتنافس المتنافسون؛ فطوبى لمن لبَّى نداءَ ربِّه، وطافَ بالكعبة المشرفة! ويا فوزَ من وقفَ بعرفاتٍ ولبَّى وكبَّر؛ فغفرت ذنوبُه ونالَ الحظَّ الأوفر!

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرّعد: ٢٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي وفَّق من شاء من عباده لزيارةِ بيتِه الحرام، وخصَّهم بالشَّوق إلى تلك المشاعرِ العظام، أحمدُه سبحانه على جزيلِ الفضلِ والإنعام، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له الملِك العلَّام، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، خيرُ معلِّمٍ وإمام، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررةِ الكرام.

أيُّها المسلمون:

إنَّ من مقاصدِ الإسلامِ في تشريعِ الحجّ: تقريرَ مبدأ الأخوَّةِ الإسلاميَّةِ تحتَ كلمةِ التَّقوى وشهادةِ الحق. وفي الحجِّ يأْتَلفُ عِقْدُ المسلمين، ويُشْعَرُ بعظمةِ الإسلام وعزَّةِ الإيمان. تتضح فيه معاني المساواةِ الإسلاميةِ في أظهرِ صوَرِها وأبهى معانيها، وتَسُودُ المحبةُ والوئام.

تتجلَّى الوحدةُ والألفةُ حين يقفُ المسلمون جميعاً على صعيدٍ واحد، في وقتٍ واحدٍ بلباسٍ واحد، بدعاءِ ربٍّ واحد، في ضراعةٍ وخشوعٍ لله، لا فرقَ بين جنسٍ وجنس، ولا امتيازَ لفردٍ على فرد، ولا تفضيل للونٍ على لون، ولا عجبَ أنْ أنزلَ الله في هذا اليوم ـ في حجَّة الوداع ـ آيةَ الكمال للدِّينِ الإسلامي ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ﴾ [المَائدة: ٣]، ومنطلقُ الوحدةِ على هدي كتابِ الله وسنَّةِ رسوله ﷺ يثمر التَّعاون على البرِّ والتَّقوى، الموصلةِ إلى جمعِ الكلمة وفهمِ الإسلام فهماً حقيقياً والعملِ به.

عباد الله:

القاعدُ لعذرٍ عن العملِ الصَّالحِ شريكٌ للعامل، ورُبَّما سَبَقَ السَّائرُ بقلبه السَّائرين بأبدانهم، فكم من نيةٍ سبقت العمل؟ ومن فاته الوقوفُ بعرفة؛ فليَقُم لله بحقِّه الذي عرَّفه، ومن عجَز عن المبيت بمزدلفة؛ فليبيِّت عزمَه على طاعة اللهِ وقد شُرِعَ له صيامُ يومِ عرفة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**صيامُ يومِ عرفَة أحتسب على الله أن يكفِّر السَّنة التي قبلَه، والتي بعده**» رواه مسلم.

فشارِكُوا الحجيجَ بالدُّعاء والتَّهليل، والتَّكبير والتَّحميد، وسائرِ أنواع الذِّكر؛ فربُّكم كريم، واغتنموا مواسمَ العبادة قبل فواتها؛ فالحياةُ مغنم، والأيامُ معدودة، والأعمارُ قصيرة.

ثم اعلموا أنَّ اللهَ أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيّه ...

منافعُ الحجّ

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عِبادَ الله ـ حقَّ التَّقوَى، وراقِبُوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلِمون:

مَواسِمُ الخيراتِ عَلَى العِباد تترَى، فَما أن تنقَضِيَ شعيرةٌ إلَّا وتتراءَى لهم أخرَى، وها هِيَ قلوبُ العبادِ أمَّتْ بيتَ الله العَتيق، ملبِّيةً دعوةَ الخليلِ عليه السلام ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحَجّ: ٢٧]. بيتٌ جعَلَه اللهُ مَثَابَةً للنّاسِ وأَمناً، حَولَه تُرتَجى مِنَ الكريمِ العطايَا والرَّحمات، حَرَمٌ مبارَكٌ فيه خَيرَاتٌ وَآياتٌ ظاهِرات ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۞ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عِمـرَان: ٩٦-٩٧]، حَجُّه مِن عِمادِ الإسلام، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٩٧].

جاءَ الشَّرعُ بالأَمرِ بِبلوغِ رِحابِه لأَداءِ فريضةِ الدِّين، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الحَجَّ فَحُجُّوا**» رواه مسلِم. فيه بذلٌ وعَطاءٌ وعَناءٌ وجزاء، سئِل النَّبيُّ ﷺ: «أيُّ العمَلِ أفضَل؟ قال: **إِيمانٌ باللهِ ورَسُولِه**، قِيلَ: ثمَّ مَا ذَا؟ قَالَ: **الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله**، قِيلَ: ثُمَّ مَا ذا؟ قَالَ: **حَجٌّ مَبْرُورٌ**» متفق عليه.

في أَداءِ ركنِ الإسلامِ الخامِس؛ غُفرانُ الذّنوب، وغَسلُ أدْرَانِ الخطايا والعِصيان، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» متفق عليه. ومَن لازَمَ التَّقوى في حجِّه أعدَّ الله لَه الجنَّةَ نُزُلاً، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّة**» متّفق عليه، قال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يقتصِرُ لصاحبِه من الجزاءِ على تَكفيرِ بعضِ ذنوبِه؛ بل لا بدّ أن يَدخلَ الجنَّة».

والأعمالُ توزَنُ بالإخلاصِ، وإذا شابَهَا شِركٌ أو رِياءٌ أفسدَها، قالَ جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥]. ولا يَتِمّ بِرُّ الحجّ إلا بكسبٍ طيِّبٍ تنزَّهَ عن شَوائبِ المحرمّات ودَنَسِ الشُّبهات.

والصُّحبةُ الصَّالحَة في الحجّ عَونٌ على الطَّاعةِ وحُسنِ العبادة، والمروءةُ في السَّفَرِ بَذلُ الزَّادِ وقِلّةُ الخلاف مع الأصحاب، والإحسانُ إلى الرُّفقةِ عبادَةٌ متعدّيةُ النَّفع، قال مجاهدٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحِبتُ ابنَ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في السّفَر لأخدِمه فكان يخدِمُني»، قال ابن رجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكانَ كثيرٌ من السّلَف يشتَرِط على أصحابِه في السّفَر أن يخدِمَهم اغتِناماً لأجرِ ذلك».

وخيرُ زادٍ يحمِلُه الحاجّ زادُ الخَشيةِ والتّقوى، قال سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البَقَرَة: ١٩٧]، ومِن وَصَايَا المصطَفى ﷺ لمعاذِ بنِ جبَلٍ رضي الله عنه: «**اتَّقِ الله حيثما كنتَ، وأتبعِ السَّيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالقِ النَّاس بخلقٍ حسن**» رواه الترمذي.

ومِن البرِّ في الحجِّ: إطعامُ الطَّعام، وإفشاءُ السَّلام، وطِيبُ الكلام، ومُعامَلةُ الخلقِ بالإحسانِ إليهم، فلا تحقِرَنَّ في حجِّك من المعروف شيئاً، فخيرُ النَّاسِ أنفعُهم للنّاس، وأعزُّهم أصبرُهم على الأذى. وخادِمُ الحجيجِ المخلِصُ للهِ في رعايَتِهم شَريكٌ لهم في الأجرِ والثَّواب، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إنَّ الله لَيُدخِلُ بِالسَّهمِ الواحدِ ثلاثةً الجنَّةَ: صانِعَه يحتسِب في صنعَتِه الخَير، والرَّامِيَ بِه، والممِدَّ به**» رواه الترمذي. ومَن أمَّ البيتَ حقيقٌ بِلزوم ثلاثِ خِصال: ورَعٍ يحجِزُه عن معاصِي الله، وحِلْمٍ يكفُّ به غَضبَه، وحُسنِ الصُّحبةِ لمن يصحَبه.

أيُّها المسلمون:

خيرُ ما يتقرَّب به العبادُ إلى ربِّهم: إظهارُ التَّوحيدِ في نُسُكِهم، وإخلاصُ الأعمال لله في قُرُباتهم، ومَا كانَ مِنها لغيرِ الله يَضمَحلُّ، قالَ سبحانه: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٦]. وإظهارُ النُّسُك بالقولِ فيه وحدانيّةٌ للخالق: «لبّيك اللهم لبَّيك، لبّيك لا شريكَ لك لبَّيك». وخيرُ ما نطَق به النَّاطِقون يومَ عرفةَ كلِمةُ التَّوحيد، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**خيرُ الدّعاءِ دعاءُ يومِ عرفة، وخيرُ ما قُلتُ أنا والنَّبيُّون من قَبلي: لا إلهَ إلّا الله وحدَه لا شَريكَ له، له الملكُ وله الحمد، وهو علَى كلِّ شيءٍ قدير**» رواه الترمذي.

والتَّوكُّل على الله مِن أجَلِّ العبادات؛ قال ﷻ: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هُود: ١٢٣]، واليأسُ ليس مِن دينِ الله في شَيء، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يُوسُف: ٨٧]

وما قدَّم أحدٌ حقَّ اللهِ على هوَى نفسِه وراحتِها إلّا ورأَى سَعادةَ الدّنيا والآخرة، هَاجَرُ تلتمِس الماءَ لها ولرَضيعها في ديار غربةٍ في وَادٍ غيرِ ذي زرعٍ بين جبلين، أنهَكها العطش وأَضناهَا الإشفاقُ على صبيِّها، وبعدَ توكّلٍ على الله وبذلِ الأسبابِ وجَدَت نَبعاً متدفِّقاً لها وللأجيَالِ من بعدها؛ فكان ذِكرُها معطَّراً عبر التَّاريخ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَم؛ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْناً مَعِيناً**» رواه البخاري.

واللهُ جلّ وعلا بِيَده النّفعُ والضُّرّ، فارِجُ الكُروبِ وكاشِفُ الخطوبِ، متعَالي على عبادِه، بيدِه مقاليدُ السَّمواتِ والأرض، متَّصفٌ بالكبرياءِ والعظمة، يُعلِنُ ذلك الحاجُّ بالتَّكبيرِ في أنساكِه ـ في الطَّوافِ والسَّعي ورميِ الجمار، وفي يومِ النَّحرِ وأيّامِ التشريق ـ ليبقَى القلبُ مجرَّداً للهِ متعلِّقاً به، مُنْسلِخاً عن التَّعلُّق بما في أيدِي المخلوقين.

وفي رَمي الجِمار تذكيرٌ لبني آدمَ بعدوٍّ متربِّصٍ بهم يدعوهُم إلى النّارِ، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فَاطِر: ٦]؛ فكُن على حَذَرٍ من تقصيرٍ في واجِبٍ أو وقوعٍ في مَعصِيَة.

واعلَم أنّ لحظاتِ الحجِّ عَزيزةٌ وساعاتِه ثمينَة، قالَ ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٣]؛ فسابِق فيه إلى كلِّ خيرٍ وقُربةٍ ـ مِن الذِّكر، والاستغفارِ، والتكبيرِ، وتِلاوةِ القرآن ـ، قالَ سبحانَه: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا

هَدَىٰكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ١٩٨]، وبعدَ انقضاءِ النُّسُك: احمَدِ اللهَ على الهِدايةِ، واشكُرهُ على العبادة ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٠].

وفي ثَنايَا النّسُك استِغفارٌ ورجوع إلى الله، قال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [البَقَرَة: ١٩٩]؛ فمَن أحسَّ بتقصيرٍ في قولِه أو عمَلِه أو حَالِه أَو رِزقِه أو تقلُّب قلبٍ؛ فعليه بالتَّوحيدِ والاستغفار، ففيهما الشِّفاء.

والعِبادُ في الحجِّ على قدرِ هِمَمِهم، منهم مَن يطلُب الدّنيا العاجِلة، ومنهم من يَطلُب مرضاةَ اللهِ والدارَ الآخرة، قال سبحانه: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ۝ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٠-٢٠٢].

والموفَّقُ من أدَّى حَجَّهُ بنيّةٍ صَالحَةٍ خَالِصة، ونفقةٍ طيِّبة، وعطَّر لسَانَهُ بذكرِ اللهِ وصَاحَبَ عبادَتَهُ إِحسانٌ ونفعٌ للمَخلوقِين؛ فكونُوا في حجِّكُم كذلك، وأخلِصُوا دينَكم لله، واجتَهِدوا في الأعمالِ الصّالحة، تفوزوا بخَيرَيِ الدُّنيا والآخرة.

أعوذ بالله من الشَّيطانِ الرَّجيم

﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٧]

بارَكَ الله لي وَلكُم في القُرآنِ العَظيم . . .

الخطبة الثانية

الحَمدُ لله علَى إحسَانِه، والشُّكرُ لَه علَى تَوفِيقِه وامتِنانِه، وأَشهَد أَلَّا إلهَ إلَّا الله وَحدَه لا شَريكَ لَه تعظيماً لشَأنه، وأَشهَد أنّ نبيَّنا محَمّداً عبدُه ورَسولُه، صلّى الله عَلَيه وعلَى آلِه وأصحَابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

أَظَّلَتْكم أيّامُ عشرٍ مبارَكة، الأعمَالُ فيها فاضِلَة، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِن أيّامٍ العملُ الصَّالح فيها أحبّ إلى الله من هذهِ الأيام** ـ يعني: أيامَ العشر ـ قالوا: يا رسولَ الله! ولا الجهادُ في سبيل الله؟! قال: **ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ، إلَّا رجلٌ خرَج بنفسِه ومَالِه فلم يرجِع من ذَلِك بشيءٍ**» رواه البخاري؛ فأكثِروا فيها من التَّكبيرِ والتّحميدِ، وقِراءةِ القرآن، وَصِلةِ الأرحام، والصَّدقةِ وبِرّ الوالِدَين، وتفريجِ الكرُبات وقَضاءِ الحاجات، وسائرِ أنواعِ الطَّاعات، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «أيّامُ عشرِ ذِي الحجّة أفضلُ مِن أيّامِ العَشر مِن رمضان».

ولقد كان الصَّحابةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم يُحيُونَ في العشرِ سُنّةَ التَّكبير بين النَّاس؛ فكان ابن عمرَ وأبو هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يخرُجان إلى السّوقِ في أيَّام العشر، فيكبِّران ويكبِّرُ النَّاسُ بتكبيرهما. رواه البخاريّ.

ومِن أفضلِ الأعمال الصالحةِ في هذهِ العشرِ حَجُّ بيت الله الحرَام، فاغتنِموا مَواسمَ العبادةِ قبلَ فواتها؛ فالحياةُ مغنَم، والأيّامُ مَعدودَة، والأعمارُ قصيرة.

ثُمَّ اعلَمُوا أنّ اللهَ أَمرَكم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه . . .

أطولُ عبادةٍ بدنيَّة
(الحج)

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقِبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

الله سبحانه هو الغنيُّ القويُّ، وما سواه مُفتقِرٌ إليه مُحتاجٌ له؛ فلم يخلُق الخلقَ تكثُّراً بهم ولا تقويةً لجلاله؛ بل خلقَهم لحكمةٍ عظيمةٍ هي عبادتُهم له، وبعبادتهم له يسعَدون.

ولفضله ورحمتهِ بخلقِه شرعَ لهم أعمالاً وأقوالاً يتقرَّبون بها إليه، ولتتضاعَفَ أجورُهم ولتُقضَى عنده حاجاتُهم، وفاضَلَ سبحانه بين عباداته فجعل تحقيقَ التَّوحيد والعملَ به واجتنابَ نواقِضِه أجلَّ عملٍ يُحبُّه الله، وجعل إظهارَ هذه العبادةِ بالقول أزكى الأقوالِ إليه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ**

إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ» رواه مسلم؛ بل جعل سبحانه توحيدَه شرطاً لقَبول أيِّ عملٍ صالح، وإن انتقضَ هذا الشَّرطُ لم ينتفِعِ العبدُ بعمله ورُدَّ عليه، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥].

ولتحقيقِ أساسِ الدِّين وإظهارِه في أقوال العباد وأعمالهم؛ نوَّع سبحانه الطَّاعاتِ والأعمالَ الصَّالحةَ ليُعظِّمَ الرَّبُّ في كلِّ حين، فما أن ينتهيَ موسمٌ إلا ويَعقُبُه موسمٌ آخر يُظهِرون فيه توحيدَه سبحانه والتذلُّل إليه؛ فشرعَ سبحانه أطولَ عبادةٍ بدنيَّةٍ مُتصلةٍ يتلبَّسون بها أياماً لإظهارِ إفرادِ الله بالعبادةِ وحده وأنَّ عبادةَ ما سواه باطلة، ولِتَزْكُوَ بها أبدانُهم وأموالُهم، وتطهُرَ بها قلوبُهم وأفواهُهم، فمن أدَّاها كما أمره الله عادَت صحائِفُ أعماله بلا أدرانٍ ولا خطايا، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ أَتَى هَذَا البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَع كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّه**» متفق عليه.

ويتعرَّضُ الحُجَّاج في هذه العبادة لنفَحَاتِ ربِّهم في مكانٍ عظيم، وفي يومٍ هو أكثرُ أيَّامٍ تُعتقُ فيه الرِّقابُ من النَّار، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْداً مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ المَلَائِكَةَ؛ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ!؟**» رواه مسلم. ومن كان حافظاً لحجِّه مما حرَّم الله وعدَه الله بالجنَّة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّة**» متفق عليه.

الحجُّ ركنٌ من أركان الدِّين، مليءٌ بالمنافع والعِبَر، أمرَ سبحانه بفِعلِه في أطهر بُقعةٍ وأشرفِها؛ ليجتمِعَ شرفُ العمل والمكان، بنى الخليلُ فيها بيتَ الله وأسَّسه على التَّقوى والإخلاص، وأبقَى الله ما بناه إبراهيم ليرَى

العبادُ أنه لا يبقى من العمل إلا ما كان خالصاً لوجه الله. ويستفتِحُ الحُجَّاجُ عبادتَهم بإظهار الوحدانيَّة لله وحده، والبراءةِ من عبادة ما سواه: «لبَّيك اللَّهم لبَّيك، لبَّيك لا شريكَ لك لبَّيك».

و«شهادةُ أنَّ محمَّداً رسولَ الله» لا تتمُّ إلا بطاعة النَّبيِّ ﷺ واقتفاءِ أثَره، وتقبيلُ الحجر الأسود منهجٌ في الطَّاعة والاتِّباع، فتقبيلُه تعبُّداً لا تبرُّكاً بالحجر، فهو لا ينفعُ ولا يضُرُّ، جاء عمر رضي الله عنه إلى الحجَر فقبَّله وقال: «إنِّي لأعلمُ أنَّك حجرٌ لا تضُرُّ ولا تنفَع، ولولا أني رأيتُ النَّبيَّ ﷺ يُقبِّلُك ما قبَّلتُك» متفق عليه.

وفي التَّلبُّسِ بالإحرام دعوةٌ للنَّفس إلى عصيانِ الهوى ـ فلا لُبسَ مخيطٍ ولا مسَّ طِيبٍ ولا تقليمَ أظافر ولا خِطبةَ نكاح ـ. وسوادُ الحجرِ الأسود تذكيرٌ للعباد بشُؤم المعصيةِ حتى على الجمادات، وعِظَمُ أثِرها على القلب أشدُّ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**نَزَلَ الحَجَرُ الأَسْوَدُ مِنَ الجَنَّةِ، وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِي آدَم**» رواه الترمذي. ويرى الحاجُّ أثرَ المعصية على العاصي، فإبليسُ ظهر لإبراهيمَ ثلاث مراتٍ ليمنَعه عن امتثال أمر ربِّه بذبح ابنه إسماعيل؛ فرماهُ الخليلُ بالحجَر مُهيناً ومُظهِراً له العداوة، وعودةُ خروجه على الخليل تذكيرٌ من الله لنا بأن إبليس يُعاوِدُ وسوستَه لبني آدم وفي عدة مواطن.

والحجُّ إعلامٌ بأنَّ الإسلامَ هو الدِّينُ الحق، فلا ترى خَلْقاً يجتمعون من بِقاع الأرض على تبايُن أجناسِهم ومواطِنهم وطبقاتهم إلا في الحج، وهذا من عظمة الإسلام. وفي الحجِّ إظهارُ معنىً من معاني الرُّبوبيَّة، وأن قلوبَ العباد يُصرِّفُها الله كيف يشاء، فيرى الحاجُّ وغيرُه أنَّ الهدايةَ بيد الله

وحده، يمنحُها للفقير وللمرأة وللعاجز وللآفاقيّ والأعجميّ، وقد يُحرَمُ منها الغنيُّ القويُّ القادر، وفضلُ الله يُؤتيه من يشاء.

وفي أداءِ هذا الرُّكن انتظامُ عبادةٍ بعد أخرى، ودقَّةٌ في العمل والزمن، فعبادةٌ باللَّيل ـ كالمبيت بمُزدلِفة ـ وأخرى بالنَّهار ـ كالوقوف بعرفة ـ، وعبادةٌ باللِّسانِ بالتَّكبيرِ والتَّلبية، وأخرى بالجوارح ـ كالرَّميِ والطَّواف ـ، وفي هذا إيماءٌ إلى أن حياةَ المسلم كلَّها لله.

والأعمالُ بالخواتيم، وقد يُرى أثرُ خِتامها في المحشَر؛ فالمُتصدِّقُ يُظلُّ يومَ القيامة ظلَّ صدقَته، والعادلُ في حُكمه على منابِرَ عن يمينِ الرَّحمن، ومن مات مُحرِماً بُعِثَ مُلبِّياً. وعلى العبدِ إذا انشقَّ فجرُ يومه أن يَعُدَّه خِتامَ عُمره، عملاً بقول النَّبيِّ ﷺ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**» رواه البخاري. ومن علَّق قلبَه بالله والدَّارِ الآخرة، وقصَّرَ أملَه في الدُّنيا وتزوَّد بزاد التَّقوى؛ ظفَرَ بالنَّجاة والفلاح.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحجّ: ٢٧-٢٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

خصَّ الله أمكنةً بالشَّرفِ والفضل، واختارَ الله من العام أزمِنةً يزكُو بها العملُ الصَّالحُ ويتضاعَف؛ فاختارَ من الشُّهور أشهُرَ الحجِّ ورمضان، ومن اللَّيالي والأيَّام العشرَ الأخيرَة من رمضانَ وعشرَ ذي الحِجَّة، وأيَّامُ ذي الحجَّة تفضُلُ على أيَّام العشرِ الأواخِر من رمضان، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّام** ـ يعني: أيَّامَ العشر ـ قالوا: يا رسول الله؛ ولا الجهادُ في سبيل الله؟ قال: **وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْء**» رواه الترمذي.

ومن العملِ الصَّالحِ فيها: المزيدُ من برِّ الوالدين وصِلَةِ الرَّحِم، والصدقَةِ والصَّوم، والذِّكرِ وتلاوةِ القرآن، وتفريجِ الكُرُوب والتَّكبير. وكان الصَّحابةُ رضي الله عنهم يُكبِّرون حتى في الأسواق.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

عِبرُ الحجّ

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فتقوى الله نِعمَ الزَّاد، وهي النَّجاة يومَ المعاد.

أيّها المسلمون:

تتوَالى مواسمُ الخيراتِ محفوفةً بفضلِ الزّمان وشرَفِ المكان، وأفئدةُ المسلمين تهفُو لبيتٍ مَعمورٍ يتَّجهون إليه كلَّ يوم ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البَقَرَة: ١٤٤]، وأنظارُهم تتطلَّع لبقاعٍ مباركةٍ تتجدَّد فيها العِبرُ والعِظات، قال سبحانه: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ [آل عِمرَان: ٩٧]. الأمنُ والأمانُ في ربوعِه ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ [آل عِمرَان: ٩٧]، نفعُه متعدٍّ للحاضر والباد ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحَجّ: ٢٨]، الأرزاقُ إليه دارَّة، والنِّعمُ حوله متوالية ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القَصَص: ٥٧].

رِكابُ الحجيج مُيَمِّمَةً بيتَ اللهِ العتيق، مُنكسرةً في رِحابه، راجيةً مَوعودَ الله وجَزيلَ نوالِه، مستقبلةً طاعةً من أجلِّ العبادات ورُكناً من أركان هذا الدِّين.

حجُّ بيت الله الحرام بابٌ رَحْبٌ لحطِّ الآثام والأوزار، قال النَّبيُّ ﷺ ـ لعَمرو بن العاص رضي الله عنه عند إسلامِه ـ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟! وَأَنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟! وَأَنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟!**» رواه مسلم. فيه غَسلُ أدْرَانِ الذُّنوبِ والخطايا، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّه**» متفق عليه. ثوابُه جنَّاتُ النَّعيم، قال ﷺ: «**الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ**» رواه مسلم.

في الحجِّ منافعُ وعِبر: توحيدُ الله وإفراده بالعبادة شعارُ الحج، وافتتاحُ النُّسك «لبَّيك اللَّهم لبَّيك» استجابةٌ لأوامر الله. وأعظمُ أَمْرٍ أَمَرَ اللهُ به: «لبَّيك لا شريك لك لبَّيك» البراءةُ من الشِّرك وأهلِه والإقرارُ بالتَّوحيد أساسُ الدِّين وأصلُه وشرطُ قبول الأعمال. «إنَّ الحمدَ والنِّعمةَ لك» فيها تذكيرٌ بإسداء النِّعم والثَّناءُ على المنعِم؛ لتُصرفَ الأعمالُ له وحده. ومن لبَّى في بلدِ الله الحرام؛ فعهدُه غليظٌ مع ربّه بإفرادِه بالعبوديَّة له في كلِّ مكان.

والتَّجرُّد من المخيط تذكيرٌ بلباس الأكفان بعد الرَّحيل، وإرشادٌ إلى التَّواضُع ونبذِ الكبرياء، الجمعُ كلُّه إزار ورداء، الرّأس خاضعٌ للجبَّار مستكينٌ للرَّحمن.

وفي رؤيةِ البيتِ المعمورِ مشهدٌ لإخلاصِ الأعمالِ لله، أشرفُ مَعمورٍ

يرفَعُه نبيَّان عظيمان، ومع هذا يسألانِ اللهَ قبولَ العمل ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المؤمنُ جمَع إحساناً وشفقَة، والمنافقُ جمع إساءة وأمناً». والمخلصُ يعمَل لله لا يريد بعمله رياءً ولا سمعَة، ولا مباهاةً ولا مفاخَرة؛ بل طَلَبُ رضا الله وتكفيرِ السَّيِّئات، ويسأل اللهَ العونَ على العبادة.

وللطَّواف وَقْعٌ على القلوب ومهابةٌ في النُّفوس في بِساط بيت الله الآمن، فلا موطنَ على الأرض يُتقرَّب فيه إلى الله بالطَّواف سوى ما حولَ الكعبة المشرفة ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحجّ: ٢٩].

وفي تقبيلِ الحجرِ الأسودِ حسنُ الانقياد لشرعِ الله وإن لم تظهر الحكمة، قال عمر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وَاللهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُك» متفق عليه.

والتَّوكُّلُ نصفُ الدّين، وفي السَّعيِ بين الصَّفا والمروةِ تذكيرٌ به، أمُّ إسماعيلَ مع ابنها بوادٍ لا زرعَ فيه ولا ماء، فسعَت في قَفْرٍ بين جبلَين تطلب الماء لها ولصغيرِها ـ وما رجَا أحدٌ ربَّه فخاب ظنه فيه ـ؛ فكان زَمزمُ من ثمارِ توكّلها على ربها آيةً للناس بعدها.

وفي مناسكِ الحجِّ التزامٌ بالتمسُّك بالسُّنَّة وحُسنِ الاتِّباع، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُم**» رواه مسلم. فعلى المسلم اتِّباعُ النَّبيِّ ﷺ في كلِّ قُربة، واقتفاءُ أثرِه في كلِّ طاعة، وعدمُ تتبُّع الرُّخص في الحجِّ أو غيره ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

ويومُ عرفةَ يومٌ مبارك، هو ملتقَى المسلمين المشهُود، يومُ رجاءٍ وخشوعٍ وذلٍّ وخضوع، يومٌ كَريمٌ على المسلمين، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحجيجُ عَشِيَّةَ عرفةَ ينزلُ على قلوبهم من الإيمانِ والرَّحمةِ والنُّورِ والبركةِ ما لا يمكن التَّعبيرُ به». والدُّعاءُ عظيم المكانةِ رفيعُ الشَّأن، وأفضلُ الدُّعاءِ دعاءُ ذلك اليوم، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير**» رواه الترمذي. قال ابن عبد البرّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «دعاءُ يوم عرفةَ مجابٌ كلُّه في الأغلب».

يومٌ يَكْثُر فيه عُتقاءُ الرَّحمن، ويباهي بهم ملائكتَه المقرَّبين، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ما من يومٍ أكثَرُ مِن أن يُعْتِقَ الله فيه عبداً من النَّارِ من يومِ عرفة، وإنّه لَيَدْنُو، ثم يُباهِي بهم الملائكةَ؛ فيقول: ما أراد هؤلاء؟!**» رواه مسلم. قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا يدلّ على أنهم مغفورٌ لهم؛ لأنَّه لا يُبَاهِي بأهلِ الخطايا والذُّنوب إلا مِن بعدِ التَّوبةِ والغُفران». واجتماعُ الحجيجِ في المشاعر تذكيرٌ بيومِ الحشر؛ لفصلِ القضاء ليصيروا إلى منازلهم، إمّا نعيمٌ وإمّا جحيم.

والنُّسكُ ـ من هَديٍ أو أُضحيةٍ ـ عبادةٌ محضةٌ لله، يتقرَّب بها المسلمون لربِّهم ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحَجّ: ٣٧]. وفي وضعِ النَّواصِي بين يدَيْ ربِّها ـ حَلْقاً أو تَقصيراً ـ استسلامٌ لهيمنةِ اللهِ وخُضوعٌ لعظمته، وتذلُّلٌ لعزَّته.

وذكرُ الله حياةٌ للقلوب، والإكثارُ منه في المشاعر مقصدٌ من مقاصدِ أداءِ تلكَ الشَّعيرة، قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ

أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحَجّ: ٢٨]، وقال جلَّ وعلا: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٨]، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البَقَرَة: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٣]؛ فشعائرُ الحجِّ شُرِعت لذكرِ الله، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إنما جُعل الطَّوافُ بالبيت، والسَّعيُ بين الصَّفا والمروة، ورميُ الجمار؛ لإقامةِ ذِكرِ الله**» رواه الترمذي. وأقربُ الحجيجِ عند الله مَنزلةً أكثرُهم له ذكراً، قال ابن القيِّم رحمه الله: «أفضلُ أهلِ كلِّ عملٍ أكثرُهم فيه ذكراً؛ فأفضلُ الصُّوَّام: أكثرُهم ذكراً لله في صومِهم، وأفضلُ المتصدِّقين: أكثرُهم ذكراً لله، وأفضلُ الحجّاج: أكثرُهم ذكراً».

وإذا انقضى الحجّ فالاستغفار ختامُ الأعمال، ويُتمِّم نقصَ الأفعال، ويرفَع العبدَ من المقام الأدنى إلى الأعلَى منه والأكمل، ومَنْ أَحْسَنَ في حجِّه وابتعَدَ عن نواقصِه؛ عادَ منه بأحسنِ حالٍ وانقلَبَ إلى أطيبِ مآل، ومِن أمارةِ الرِّضا والقَبول: فِعلُ الحسنةِ بعد الحسنة. وإذا انقَلب الحاجُّ إلى دِياره؛ فليكنْ قدوةً فيها بالصَّلاح والاستقامة، والدَّعوةِ إلى الله على بصيرة.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحَجّ: ٢٧-٢٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقه وامتنانِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمّداً عبدُه ورسولُه، صلّى الله عَليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

أيّامُ عشرِ ذِي الحجّة أيامٌ مبارَكة، والأعمالُ فيها فاضِلة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَا مِنْ أَيَّامِ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ** ـ يَعْنِي: أَيَّامَ العَشْرِ ـ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: **وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**» رواه البخاري.

ومن العمل الصَّالحِ فيها: التَّكبيرُ والتَّحميدُ، والصَّيام، وقراءةُ القرآنِ وصِلةُ الأرحام، وبرُّ الوالدين والصّدقة، وتفريجُ الكُرُباتِ وقضاءُ الحاجات، وسائِرُ أنواعِ الطَّاعات، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «أيَّامُ عشرِ ذي الحجَّةِ أفضلُ من أيَّام العشر من رمضان».

وقد كان الصَّحابة رضي الله عنهم يُحْيُونَ ـ في العشرِ ـ سُنةَ التَّكبير بين النَّاس، وقد كان ابنُ عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرُجان إلى السُّوق في أيامِ العشر؛ فيكبِّران ويكبّرُ الناسُ بتكبيرهما. رواه البخاري.

والخيرُ يتتابَع في العشرِ بذبحِ الأضاحِي يومَ العيد وأيّامَ التَّشريق، وقد ضحَّى النَّبيُّ ﷺ بكبشَيْنِ أمْلَحَيْنِ أقْرَنَيْن، سمَّى وكبَّر، وذَبحهما بيدِه. متفقٌ عليه. وأفضلُ الأضاحي: أغلاها ثمناً وأنْفسُها عند أهلها. وتجزئ شاةٌ واحدةٌ عن الرَّجل وعن أهل بيته. ويحرُم على من أرادَ أن يضحِّي أن يأخذَ ـ في العشر ـ شيئاً من شعرِه أو أظفارِه أو بَشَرَتِه؛ حتى يذبَح أضحيته. فطِيبُوا بها نفساً، وكلُوا وأَطْعِموا وتصدَّقوا، وتحرَّوْا بصدقاتكم فقراءَكم، وبهداياكم منها أرحامَكم وجِيرانَكم، وصُونوا أعيادَكم عمّا يغضِبُ خالقَكم.

ومن أقام في بلدِه وسبَقه الحجّاجُ إلى المشاعِر؛ شُرِع له صيامُ يوم عرفة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالَّتِي بَعْدَهُ**» رواه مسلم، فاغتنِموا مواسمَ العبادةِ قبل فواتها؛ فالحياةُ مغنمٌ، والأيامُ معدودة، والأعمارُ قصيرة.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمرَكم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أعالي الأعمال الصَّالحة

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فتقوى اللهِ نورُ البصائر، وبها تَحْيَا القلوبُ والضَّمائر.

أيُّها المسلمون:

اتَّصَفَ الله جلَّ وعلا بالأسماء الحُسنى وبالصِّفات العُلا، وهو سبحانه يُحبُّ مُقتضَى صفاتِه وظُهورَها في العباد، وأفعالُ اللهِ تعالى على التَّمامِ والكمال؛ فخلقَ الخلقَ وأتقنَ ما صنَع ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾ [النَّمل: ٨٨]، وأنزلَ كتابَه فأحكَمَ ألفاظَه وفصَّلَ معانِيَه ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هُود: ١]، والله تعالى مُحسِنٌ وأمرَ عبادَه بالإحسان، فقال: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٩٥] قال البغويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: أحسِنوا أعمالَكم وأخلاقَكم».

وإحسانُ العمل واجبٌ على كلِّ عبد، قال عليه الصَّلاة والسَّلام:

«**إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**» رواه مسلم. قال ابن رجبٍ رَحِمَهُ اللهُ: «أي: كتبَ على كلِّ مخلوقٍ الإحسان»، وأثنَى النَّبيُّ ﷺ على من أحسنَ عملَه، فقال: «**خيرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ**» رواه الترمذي. وكانت أعمالُ الرُّسُلِ على الإتقانِ وكمالِ النُّصح؛ فنوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ دعَا قومَه ألفَ سنةٍ إلا خمسين عاماً ليلاً ونهاراً، ثم دعاهم جِهاراً، ثم أعلنَ لهم وأسرَّ لهم إسراراً، وأثنَى الله على إبراهيم بقولِه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النّجم: ٣٧] قال قتادةُ رَحِمَهُ اللهُ: «وفَّى طاعةَ الله وأدَّى رسالتَه إلى خلقِه».

وحياةُ النَّبيِّ ﷺ كانت على تمامِ المِثالِ والإحسان، وأمرَ اللهُ العبادَ بالاقتِداء به، فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومن فضلِ الله على عباده: أن نوَّع لهم الطَّاعات اعتِقاداً وعملاً وقولاً، وجعلَ أعظمَ الثَّوابِ للمُحسنين، قال سبحانه: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرَّحمٰن: ٦٠] قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «ما لمن أحسنَ العملَ في الدنيا إلا الإحسانَ إليه في الدَّار الآخرة».

وإذا حسُنَ مُعتقدُ العبدِ ضُوعِفَت أجورُه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إذا أَحْسَنَ أَحَدُكُم إِسْلَامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا**» متفق عليه. ومن قال كلمةَ التَّوحيدِ بيقينٍ، وعمِلَ بمُقتضَاها بصدقٍ وإخلاص، واجتنَبَ نواقِضَها حرَّم الله وجهَه عن النَّار، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**» متفق عليه. وإذا حقَّقَ العبدُ منزلةَ التَّوكُّل وفوَّضَ جميعَ أموره لله؛ أدخلَه الله الجنةَ بغير حسابٍ ولا

عذابٍ «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» متفق عليه. وأكملُ مراتِبِ الدِّينِ مرتبةُ الإحسان؛ لاشتِمالِها على الصِّدقِ ظاهراً وباطناً «**أن تعبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**» رواه مسلم.

وإذا أتقنَ المُسلمُ عبادتَه نالَ ثواباً جزيلاً؛ فمن توضَّأَ فأسبغَ الوضوءَ ثم قال: «**أشهدُ ألا إله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِلَّا فُتِّحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**» رواه مسلم. ورفعُ الصَّوتِ بالأذان مُستحبٌّ؛ «**فإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِهِ جِنٌّ وَلا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**» رواه البخاري. وإذا قال المُؤذِّنُ آخر الأذان: لا إله إلا اللهُ «**فقال من سمِعَه: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ من قَلْبِه؛ دَخَلَ الجَنَّةَ**» رواه مسلم.

«**وإقامةُ الصَّفِّ من حُسن الصَّلاة**» متفق عليه، و«**خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا**»، ومن السَّبعَة الذين يُظِلُّهم الله في ظِلِّه: «**ورجلٌ قلبُه مُعلَّقٌ بِالمسَاجِدِ**» متفق عليه.

وإحسانُ الصَّلاة ثوابُها مُتوالِي؛ «**فَمَا مِن امْرِىءٍ مُسْلِمٍ تحضُرُه صلاةٌ مكتوبةٌ، فيُحسِنُ وضوءَها وخُشوعَها ورُكوعَها؛ إلا كانت كفَّارةً لما قبلَها من الذُّنوبِ ما لم يُؤتِ كبيرةً، وذلك الدَّهرَ كلَّه**» رواه مسلم. قال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التَّكفيرُ بسببِ الصَّلاةِ مُستمرٌّ في جميع الأزمان، لا يختصُّ بزمانٍ دون زمان».

«**ومن توضَّأَ فأحسنَ الوُضوءَ ثم أتَى الجُمُعةَ فاستمعَ وأنصَتَ؛ غُفِرَ له ما بينَه وبين الجُمُعة وزيادةُ ثلاثةِ أيَّام**» رواه مسلم، و«**ركعتَا الفجرِ خيرٌ من**

الدُّنيا وما فيها» رواه مسلم، و«**صلاةُ المرءِ في بيتِه أفضلُ من صلاتِه في مسجدِه إلا المكتوبة، وأفضلُ الصَّلاة بعد الفريضةِ صلاةُ اللَّيل**».

وللأمواتِ حقٌّ في الإحسانِ إليهم؛ قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إذا كَفَّنَ أحدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحْسِّنْ كَفَنَه**» رواه مسلم، وقال عن صفةِ قبرِ الميِّت: «**اِحفِرُوا وأَعْمِقُوا وأَحْسِنوا**» رواه النَّسائي.

والبذلُ والعطاءُ ليس المنفقون في أجره سواء؛ فأفضلُ الصَّدَقَة: «**أن تصَّدَّقَ وأنت صحيحٌ شحيح**» رواه البخاري، وإخفاؤُها خيرٌ من إظهارِها، قال سبحانه: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٧١]، ومن السَّبعَةِ الذين يُظلِّهُم الله في ظلِّه: «**ورجلٌ تصدَّقَ بصدقةٍ فأخفَاها حتى لا تعلَمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يمينُه**» متفق عليه.

والصِّيامُ وجزاءُ الصَّائمين على درجاتٍ؛ فـ «**مَنْ صامَ رمضانَ إيماناً واحتِساباً؛ غُفِر له ما تقدَّم من ذنبِه**»، و«**أَحَبُّ الصَّائمين إِلَى اللهِ أَعْجَلُهُم فِطْراً، وأحَبُّ صِيَامِ النَّافِلةِ صِيَامُ دَاوُدَ** عليه السلام **كَانَ يَصُومُ يوماً ويُفطِرُ يوماً**»، و«**أفضلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ المُحرَّم**»، و«**الحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنَّة**».

وأجلُّ العلوم: علمُ الشَّريعة، قال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجَادلة: ١١]، وأسهلُ طريقٍ إلى الجنَّةِ سُلُوكُ العلم، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ سَلَكَ طريقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً؛ سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَريقاً إِلَى الجَنَّةِ**» رواه الترمذي، وأفضلُ أهلِ العلمِ همُ الرَّاسِخون فيه بالحفظِ والفهمِ والعمل، قال الترمذيُّ رحمه الله: «إنما تفاضَلَ أهلُ العلم بالحفظِ

والإتقان»، وخيرُ المُتعلِّمين من تعلَّم القرآنَ وعلَّمَه، ومن حفِظَ حديثاً وبلَّغَهُ للنَّاس؛ دعَا له النَّبيُّ ﷺ بالنَّضَارة: «**نَضَّرَ اللهُ امْرأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثاً فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ؛ فَرُبَّ مُبلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**» رواه الترمذي.

و«**القاعِدُ في الفِتَنِ خيرٌ من القائِمِ إليهَا**» متفق عليه، و«**العبادةُ في الهَرْجِ كهِجرةٍ إلى النَّبيِّ ﷺ**» رواه مسلم، وأعلى منازِل الصَّبرِ: ما كان برِضاً لا سخَطَ فيه ولا جزَع.

وأصدقُ الحديث كتابُ اللهِ والماهِرُ به من السَّفَرةِ الكِرام البَرَرة، ويؤُمُّ القومَ أقرؤُهُم له، وكان النَّبيُّ ﷺ يجمعُ بين رجُلَيْن من قتلَى أُحُدٍ ثم يقول: «**أيُّهُمْ أَكْثَرُ أخذاً للقُرْآن؟** فإذا أُشيرَ له إلى أحدِهما قدَّمَهُ في اللَّحْدِ» رواه البخاري.

وخيرُ ما تحرَّك به اللِّسانُ ذِكرُ الله تعالى، و«**أحبُّ الكلامِ إلى اللهِ: سبحانَ اللهِ والحمدُ لله، ولا إله إلا اللهُ واللهُ أكبر**» رواه مسلم، و«**منْ قالَ حين يُصبِحُ وحين يُمسِي: سُبحان الله وبحمده مئةَ مرَّةٍ؛ لم يأتِ أحدٌ يومَ القيامةِ بأفضلَ ممَّا جاءَ به، إلا أحدٌ قال مثلَ ما قالَ أو زادَ عليه**» رواه مسلم، وقولُ الدَّاعِيةِ إلى الله على بصيرةٍ لا أحسنَ من قولِه، قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٣].

والدُّعاءُ هو العبادة، والمُسلمُ يتخيَّرُ من الدُّعاء أجمعَه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**» رواه البخاري، و«**في**

الجُمُعَةِ سَاعَةٌ لا يُوافِقُها عبدٌ مُسلمٌ وهو قائمٌ يُصَلِّي يسألُ اللهَ شيئاً إلا أَعْطَاهُ إِيَّاه» رواه البخاري، والدُّعاءُ في الثُّلُثِ الأخيرِ منَ اللَّيلِ لا يُردّ.

والمؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضَّعيف، ومُعاملةُ النَّاس عبادةٌ يرتقِي المؤمنُ بحُسنِ خُلُقه أعلى المنازِل، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أنا زعيمٌ بِبَيْتٍ في أَعْلَى الجنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ**» رواه أبو داود. وأفضل ردِّ السَّلام ما كان أكملَه ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النِّسَاء: ٨٦]، و«**منْ صُنِع إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِه: جَزَاكَ اللهُ خَيْراً فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ**» رواه الترمذي.

وفاضلَ الشَّرعُ بين صِفاتٍ في النَّاس؛ فـ «**خَيرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا: المرْأَةُ الصَّالِحَةُ**» رواه مسلم، وخيرُ الزَّوجَاتِ ذَوَاتُ الصَّلاحِ منهنَّ «**فاظفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**» متفق عليه. وأنفعُ الأولادِ للوالِدَين: الولدُ الصَّالحُ الدَّاعِي لهما بعد مماتهما: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ؛ إِلَّا مِنْ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو ولدٍ صالحٍ يدعُو له**» رواه مسلم، و«**من ابتُلِيَ من البَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ؛ كُنَّ له سِتْراً مِنَ النَّار**» متفق عليه. وأحبُّ الأسماء إلى الله: عبدُ الله وعبدُ الرَّحمن، وخيرُ الأُجراءِ القويُّ الأمين.

وبيَّن النَّبيُّ ﷺ أجملَ الطِّيبِ وأشرفَ المياه؛ فـ «**أطيَبُ الطِّيبِ المِسْكُ**» رواه البخاري، وسيِّدُ المياهِ ماءُ زمزَم، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنَّهَا مُبارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ**» رواه مسلم.

وخَصَّ الدِّينُ أزمِنةً فاضِلةً يتسابَق العبادُ إلى الطَّاعات فيها؛ فخيرُ يوم طلَعَتْ فيه الشَّمسُ يومُ الجُمعة، وأعظمُ الأيَّامِ عندَ الله يومُ النَّحر، وليلةُ

القدرِ خيرٌ من ألفِ شهر، وأفضلُ كلِّ ليلةٍ الثُّلُثُ الأخيرُ منها، وخيرُ الشُّهورُ شهرُ رمضان، وبُورِكَ لهذه الأُمَّة في بُكورِها.

والأماكنُ يَشرُفُ بعضُها على بعض؛ فأحبُّ البِقاعِ إلى اللهِ المساجِد، وأفضلُها: المسجدُ الحرام، ثم مسجدُ رسولِ الله ﷺ، ثم المسجدُ الأقصى. ومجالسُ العلمِ رياضُ الجنة.

وعلى هذا الأصلِ العظيمِ في الإسلام في إحكامِ الأعمال والإخلاصِ فيها سارَ سلَفُ الأمة؛ فصنَّفَ الإمامُ البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ صحيحَه في ستةَ عشرَ عاماً، لا يضعُ فيه حديثاً إلا صلَّى لله ركعتَيْن، وقال: «جعلتُ هذا الكتابَ حُجَّةً بيني وبين الله».

وبعدُ؛ أيُّها المسلمون:

فالإسلامُ إحسانُ عبادةٍ وحُسنُ مُعاملة، والمُسلمُ ـ مع إخلاصِ نيَّتِه فيها لله ـ إنْ رأى خيراً ولو يسيراً عمِلَه، وإن كان فاضِلاً سابَقَ إليه، وإن كان شرّاً نأَى عنه، وذوو الإيمان يرجُون أعلى ما عند الكريمِ منَ الجزاء؛ ذكرَ النَّبيُّ ﷺ يوماً أسماءَ أبوابِ الجنَّة، فقال أبو بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: بأبي أنتَ وأمِّي يا رسول الله! ما على من دُعِيَ من تلك الأبوابِ من ضرورة؟ فهل يُدْعَى أحدٌ من تلكَ الأبوابِ كلِّها؟ قال: «**نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**» متفق عليه. والنُّفوسُ إذا عَظُمَتْ طلبَت المعالِي وأحسنَتْ ظنَّهَا بالله.

أعوذ بالله من الشَّيطانِ الرَّجيم

﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقَرَة: ١٩٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

من إتقانِ العمل: المُداوَمةُ عليه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ: أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**» متفق عليه. قال ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «الصَّبرُ على المحافَظةِ على الصَّلواتِ وأدائِها في أوقاتِها، والمُحافظةِ على برِّ الوالِدَيْن؛ أمرٌ لازمٌ مُتكرِّرٌ دائمٌ، لا يصبِرُ على مُراقبَة أمر الله فيه إلا الصِّدِّيقُون».

والمُسلمُ يُنوِّعُ من العبادات لِتَتَنوَّعَ لذَّاتُه في الآخرة من النَّعيم، وجاءَ الشَّرعُ بِبَيانِ الفاضِلِ منها؛ لئلا يفوتَه شيءٌ منها، فيرتقِيَ بذلك إلى أعلى الجِنان.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاةِ والسَّلامِ على نبيِّه ...

أعمالٌ يسيرة وأجورٌ عظيمة

إنّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فمن اتقَى ربَّه ارتَقَى درجات، وطابَ مآلُه بعد الممات.

أيُّها المسلمون:

إِذا أرادَ الله أن يُكرِم عبدَه بمعرفته وجَمْعِ قلبِه على محبَّته؛ شرَحَ صدرَه لقَبول صفاته، ومن صفاته سبحانه: الكرمُ بكثرةِ الخيرِ وجَزيلِ العطاء، ومن نُعوته: الشُّكرُ ـ يشكُرُ القليلَ من العمل بمُضاعَفَة الثَّوابِ أضعافاً كثيرة ـ ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فَاطِر: ٣٤]، وأقلُّ ما يُضاعِفُ به الحسنةَ عشرُ حسنات، وشَكَرَ المؤمنين بجنَّاتِ النَّعيم، والمُسلمُ لا يحتقِرُ أيَّ عملٍ صالح، فلا يدري ما الذي يُدخِلُه الجنةَ منه، ومن وصايا النَّبيِّ ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئاً**» رواه مسلم. قال ابن حجر رحمه الله: «يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَلَّا يَزْهَدَ فِي قَلِيلٍ مِنْ الخَيْرِ أَنْ يَأْتِيَهُ، وَلَا فِي قَلِيلٍ مِنْ الشَّرِّ

أَنْ يَجْتَنِبَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ الحَسَنَةَ الَّتِي يَرْحَمُهُ اللهُ بِهَا، وَلَا السَّيِّئَةَ الَّتِي يَسْخَطُ عَلَيْهِ بِهَا».

وخصَّ سبحانه أعمالاً يسيرةً بثوابٍ جزيلٍ مُضاعَفٍ عنده؛ فالتَّوحيدُ دينُ الفِطرة، وجزاءُ أهله الجنَّة، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**مَن لقِيَ اللهَ لا يُشرِكُ به شيئاً دخلَ الجنَّةَ**» رواه مسلم، و«**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِه: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ**» رواه أبو داود.

وأثابَ سبحانه على فروعٍ في العباداتِ ـ يتكرَّرُ عملُها في اليوم واللَّيلة ـ بتكفيرِ الخطايا وفتحِ أبوابِ الجِنان؛ فجعلَ الطُّهورَ شطرَ الإيمان، والسِّواكَ مرضاةً له سبحانه، ومن توضَّأَ فأحسنَ الوُضوءَ خرجَت خطاياهُ من جسدِهِ حتى تخرُجَ من تحت أظفاره، ومن فرَغَ من الوضوءِ وقال: «**أشهدُ ألا إله إلا اللهُ وأنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه؛ إلا فُتِّحَت له أبوابُ الجنَّةِ الثَّمانية، يدخُلُ من أيِّهَا شاء**» رواه مسلم، و«**من توضَّأَ فأحسَنَ الوُضوءَ، ثم صلَّى ركعتين يُقبِلُ عليهما بقلبِهِ ووجهِهِ؛ وجبَتْ له الجَنَّة**» رواه النَّسائي، وجعلَ خُطواتِ الماشِي إلى الصَّلاة؛ إحداهما تحُطُّ خطيئةً، والأخرى ترفَعُ درجة، والمُنادِي بالأذان يُغفَرُ له مدَّ صوتِه ويشهدُ له كلُّ رَطْبٍ ويابِس، ومن سمِعَ المُؤذِّنَ وقال مِثلَ قولِه كان له كأجرِه، «**وإذا قال المُؤذِّن: أشهدُ أنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ، فقال من سمِعَه: وأنا أشهدُ، رضِيتُ بالله ربّاً، وبمُحمَّدٍ رسولاً، وبالإسلام ديناً؛ غُفِرَ له ذنبُه**» رواه مسلم.

ولفضلِ الصَّلاةِ وعُلُوِّ منزلتِها كان ثوابُ الأعمالِ فيها عظيماً؛ فـ «**مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ إِلَى المَسْجِدِ؛ أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**»، و«**صَلَاةُ الجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**»،

ومن صلَّى الصُّبحَ؛ فهو في ذِمَّةِ الله وحِفظِهِ حتى يُمسِي. ومن حافَظَ على صلاةِ العصر ضُوعِفَ له أجرُه مرتين؛ قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ عُرِضَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَضَيَّعُوهَا، فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ**» رواه مسلم، و«**مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ**»، وركعتان قبل الفجرِ خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، و«**مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ؛ بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الجَنَّةِ**»، وركعتان في الضُّحَى تُؤدِّي شُكرَ نعمةِ جميعِ مفاصِلِ الإنسانِ في يومه.

وشرَعَ سبحانه أذكاراً جامِعةً في الصَّلاةِ أُجُورُها مُضاعَفة؛ صلَّى رجلٌ خلفَ النَّبيِّ ﷺ؛ فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكوعِ قال: رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيه، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكاً يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ**» رواه البخاري. والتَّأمينُ مع الإمام آخر الفاتِحة يُغفَرُ لصاحبِهِ إن وافقَ تأمينَ الملائكة، و«**مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ المِئَةِ: لَا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**» رواه مسلم، و«**مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ؛ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ، إِلَّا أَنْ يَمُوتَ**» رواه النَّسائي، ومَن قال حين ينصرِفُ من صلاةِ المغرب: «**اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ**» سَبْعَ مَرَّاتٍ؛ نجَّاه الله منها إن ماتَ من ليلته، وإن قالَها بعد الصُّبحِ ومات من يومه؛ نجَّاه الله منها.

وكتابُه سبحانه مُبارَكٌ، مَنْ دنا منه ارتفَع، ومَنْ قرأَ حرفاً منه فله بكلِّ

حرفٍ حسنة، والحسنةُ بعشرِ أمثالها، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] تعدِلُ ثُلُثَ القرآن، ومن أحبَّها دخلَ الجنَّة، قال رجلٌ من الأنصار: يا رسولَ الله! إني أُحِبُّها، فقال: «**حُبُّك إيَّاها أدخَلَك الجنةَ**» رواه البخاري، و«**يُقال** ـ يومَ القيامةِ ـ **لقَارِىءِ القرآن: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**» رواه أبو داود.

والإسلامُ عظَّمَ أواصِرَ الأُخُوَّةِ والمودَّةِ بين المُسلمين، ورتَّبَ الأُجورَ الوَفيرةَ لمن قوَّاها؛ فما من مُسلِمَين يلتقِيَان فيتصافَحَان إلا غُفِر لهما، و«**إذا عادَ المُسلمُ أخاه المُسلمَ لم يزَل في خُرْفَة الجنَّة**، قيل: يا رسول الله! وما خُرْفَة الجنَّة؟ قال: **جَنَاها**» رواه مسلم، والكلمةُ الطَّيبةُ صدقةٌ، ومن شهِدَ جنازةً حتى يُصلَّى عليها فله قِيراطٌ ـ والقِيراطُ: مِثلُ جبل أُحُد ـ، ومن شهِدَها حتى تُدفَنَ فله قِيراطان.

ومن أحسنَ إلى المُسلمين ونصرَ دينَ الله نجَا وارتَقَى؛ فمن بنَى لله مسجِداً بنى الله له بيتاً في الجنة، ومن كفَلَ يتيماً كانَ معَ رسولِ الله ﷺ في الجنَّة، و«**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ**» متفق عليه.

والمُتصدِّقُ تعظُمُ صدقتُه عند الله؛ فالتَّمرةُ يأخُذُها سبحانه ويُربِّيها حتى تكونَ مِثلَ الجبل، ومن أخفَى صدقتَه ولو قلَّت أظلَّه الله تحت ظِلِّ عرشِه، ومن قال لصانِعِ المعروفِ: جزاكَ اللهُ خيراً؛ فقد أبلَغَ في الثناءِ، وإصلاحُ ذاتِ البَيْن من الرَّحِم وغيرها أفضلُ من درجةِ الصِّيامِ والصَّلاةِ والصَّدقة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟** قَالُوا: بَلَى، قَالَ: **إِصْلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ البَيْنِ الحَالِقَةُ**» رواه أبو داود.

ولعظيمِ حُرمة المُسلم عند اللهِ مَنْ أبعدَ عنه ما يُؤذِيه أدخلَه الله الجنَّةَ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِي الجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ**» رواه مسلم؛ بل من أحسَنَ إلى البهائمِ فإنَّ اللهَ يشكُرُه، «**رأى رجلٌ كلباً يلهَثُ من العَطَشِ فسقاهُ ماءً، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ؛ فَغَفَرَ لَه**» رواه البخاري.

وتكرَّم سبحانه باصطِفاءِ كلماتٍ معدودةٍ من الأذكارِ جعلَ ثوابَها عظيماً؛ فالحمدُ لله تملأُ المِيزان. ومن قالَ: سبحان الله العظيمِ وبحمده؛ غُرِسَت له نخلةٌ في الجنةِ. وسُبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، خفيفتان على اللِّسان، ثقيلتان في المِيزان، حبيبتان إلى الرَّحمن. ومن قال: سبحان الله وبحمده في يومٍ مئةَ مرَّةٍ؛ حُطَّت خطاياه وإن كانت مِثلَ زَبَدِ البحرِ. و«**من قال: سبحان الله مئةَ مرَّة؛ كُتِبَتْ له أَلْفُ حَسَنَة، أو حُطَّتْ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ**» رواه مسلم. ولا حول ولا قوة إلا بالله كنزٌ من كنوز الجنة. وسُبحان اللهِ والحمدُ لله، ولا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ؛ أحبُّ الكلام إلى الله، قال عنها عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أحبُّ إليَّ مما طلَعَتْ عليهِ الشَّمسُ**» متفق عليه، وقال لجُويرية ﵂ ـ وكانت تذكُرُ اللهَ من بعد الفجرِ إلى ارتِفاعِ الضُّحَى ـ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ـ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِه**» رواه مسلم. ومن صلَّى على النَّبيِّ ﷺ مرَّةً صلَّى الله عليه بها عشراً.

ونِعمُ الله علينا تَتْرَى، و«**مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ؛ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي؛ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ**» رواه أبو داود.

والله سبحانه يُحبُّ المُسلِمَ ويُكرِمُه ويُدافِعُ عنه، وشَرَعَ أسباباً لحِفظِه من أعدائِه؛ فأنزلَ آياتٍ قصيرةً تحفَظُ المرءَ في ليله ونهارِهِ ومنزلِهِ ومنامِه؛ فالمُعوِّذتان ما تحصَّنَ مُتحصِّنٌ بمثلِهما في صباحِهِ ومسائه، ومن قرأَ في ليلةٍ الآيتين من أواخر سورة البقرة كفَتَاه من كلِّ شرٍّ، ومن قرأَ آيةَ الكُرسي قبل نومِهِ؛ لم يزَلْ عليه من الله حافِظٌ حتى يُصبِح.

وشرعَ سبحانه أدعيةً من دعا بها ولو ماشِياً حفِظَه الله من كلِّ مكروه؛ فـ «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِك**» رواه مسلم، و«**من خرجَ من دارِه فقال: بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله؛ قالت له الملائِكةُ: كُفِيتَ، وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ**» رواه الترمذي، ودعاءٌ من قاله وأتبعه بعمل صالح أدخلَه الله الجنةَ وأعاذَه من النَّار، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ الجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّار**» رواه الترمذي.

واللهُ سبحانه يُنعِمُ على العبد بنِعَمه السابِغة، وإذا تمتَّعَ بها وشكَرَ اللهَ عليها غفَرَ له ذنبَه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ أَكَلَ طَعَاماً فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» رواه الترمذي.

وبسَطَ سبحانه نفَحَاتِه في مجالسِ الناسِ بعد لَغَطِهم فيها؛ لتكون صحائِفُهم بيضاء نقيَّة؛ فـ «**مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ ـ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ ـ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**

أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ؛ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِك» رواه الترمذي.

والله بمنِّهِ جعلَ أزماناً فاضِلَةً، منها ما لا تُردُّ فيه دعوةٌ؛ ففي كلِّ ليلةٍ يتفضَّلُ سبحانه على عبادِهِ بإعطائِهم ما سَأَلُوه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْراً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**» رواه مسلم، و«**في الثُّلثِ الأخيرِ منْ كلِّ ليلةٍ ينزِلُ ربُّنا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟! مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟! مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَه؟!**» متفق عليه، وتكرَّم في آخر ساعةٍ من الجُمُعة بإجابةِ دعواتِ عباده، وفي كلِّ عامٍ خصَّ ليلةَ القدرِ العملُ فيها خيرٌ من ألفِ شهر، و«**من قامَها إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه**»، وصومُ يوم عرفة يُكفِّرُ السَّنة الماضية والباقية، وصيامُ عاشوراءَ يُكفِّرُ السَّنةَ الماضِية، وصيامُ ثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شهرٍ كصِيامِ سنةٍ، وعُمرةٌ في رمضان تعدِلُ حجَّة.

وفضَّلَ جلَّ وعلا أماكنَ خصَّها بمزيدِ مُضاعفَةِ الحسنات؛ فصلاةٌ في المسجد الحرام خيرٌ من مئةِ ألفِ صلاة، وصلاةٌ في مسجدِ رسولِ الله ﷺ خيرٌ من ألفِ صلاة، وصلاةٌ في المسجدِ الأقصى عن خمس مئةِ صلاة، ومَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءَ فَصَلَّى فِيه رَكْعَتَيْنِ؛ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ.

وفي زمنِ الفِتَنِ وتلاطُمِ المِحَن يُضاعِفُ عَزَّ وَجَلَّ ثوابَ الأعمال؛ فالقابِضُ على دينه في آخر الزَّمانِ له أجرُ خمسين من الصَّحابة، و«**العِبَادَةُ في الهَرْجِ** ـ أي: الفتنِ ـ **كهِجرةٍ إلى النَّبيِّ ﷺ**» رواه مسلم.

ومن عجزَ عن عملٍ أو قولٍ لعُذرٍ ـ وهو صادقُ النيَّةِ في ذلك ـ أعطاه الله بكرمِهِ أجرَ العاملين وإن لم يعمَلْه؛ فـ «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِه**» رواه مسلم، ومن تمنَّى أن عندَه مالاً ليتصدَّقَ به نالَهُ أجرُ المُتصدِّقين، ومن أحبَّ أحداً حُشِرَ معه وإن لم يكُن مِثلَه، قال أنسٌ رضي الله عنه: «مَا فَرِحْنَا بَعْدَ الإِسْلَامِ فَرَحاً أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**، قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِم» رواه مسلم، وإذا سافرَ العبدُ أو مرِضَ كتبَ اللهُ بفضلِهِ أجرَه صحيحاً مُقيماً.

والهمُّ والحُزنُ يحُطُّ الخطايا والأوزار؛ بل لعظيمِ فضلِ اللهِ مَن همَّ بحسنةٍ ولم يعمَلها كُتِبَت له حسنةٌ كامِلة، ومن همَّ بسيئةٍ فلم يعمَلْها كتبَها اللهُ عندَه حسنةً كامِلة.

وبعدُ؛ أيُّها المسلمون:

فالمُوفَّقُ من فَقِهَ كرمَ اللهِ وشُكْرَه، وعمِلَ بمُقتضَى صفاتِه، وسابَقَ إلى الصَّالحات؛ ليكونَ من السَّابقين إلى دخول الجنَّات، ومن نوَّعَ أعمالَه الصَّالِحة تنوَّعَت لذَّاتُهُ في الآخرة، والعملُ يتضاعَفُ بالإخلاصِ، ومن علامةِ قَبُولِ الحسنةِ الحسنةُ بعدها.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٤٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمَّدُ لله على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِهِ وامتِنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مِن رحمةِ الله بعباده أن بعثَ إليهم رُسُلاً مُبشِّرين ومُنذِرين، ولم يَشُقَّ سبحانه على خلقِهِ بالابتِداعِ في الدِّين؛ بل بيَّن لهم ما يُحبُّه ويرتضِيه، وعلَّقَ القَبولَ بإخلاصِ العمل ومتابعة النَّبيِّ ﷺ فيه، ومن ابتدَعَ فقد كلَّفَ نفسَه ما لم يأذَن به اللهُ وعملُه مردودٌ ولا يجنِي منه سِوَى العَناءِ والإثم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «اتَّبِعوا ولا تبتدِعُوا؛ فقد كُفِيتُم»، وكان عُمرُ رضي الله عنه يهُمُّ بالأمرِ ويَعْزِمُ عليْه، فإذا قِيلَ له: لم يفعلهُ رسولُ الله ﷺ انتَهَى. والمؤمنُ يَجمَعُ بين الإخلاصِ والاتِّباع، ويُكثِرُ من العملِ الصَّالحِ ما استطاع.

ثمّ اعلموا أن اللهَ أمركم بالصَّلاةِ والسَّلامِ على نبيِّه ...

فضائلُ قيامِ اللَّيل

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فتقوى اللهِ منارُ الهدى، والإعراضُ عنها سبيلُ الشَّقا.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ اللهُ الخلْقَ لعبادتِه، وهو سبحانَه غَنيٌّ عنهم، ولا غنى لهم عنه؛ ولحاجتِهم إليه أوجبَ عليهم عبادَتَه، فأوَّلُ أمرٍ في كتَابه هو الأمرُ بعبادَتِه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢١]، وأمر الرُّسلَ بالعملِ الصَّالح، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، وقال لنبيِّنا محمَّدٍ ﷺ: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٦]، وكلُّ رسولٍ قال لقومِه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ومن الميثاقِ الذي أُخِذَ على بني إسرائيل:

﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [البَقَرَة: ٨٣]، وأمرَ اللهُ قريشاً بالتَّعبُّد فقال: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ [قُرَيش: ٣]، وأمرَ المؤمنينَ به في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [الحَجّ: ٧٧]، ووَصفَ اللهُ صحابةَ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ بكثرةِ التَّعبُّد، وظهرَ أثرُ ذلك على جوارحِهم، فقال في وصفِهم: ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفَتح: ٢٩].

وشرفُ العَبْدِ في عبوديَّتِه لله، ولمنزلتِها دعا سليمانُ عليه السلام ربَّه أن يكونَ من أهلها، فقال: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النَّمل: ١٩]، وكان نبيُّنا ﷺ إذا رفع رأسَه من الرُّكوع، قال: «**أَحَقُّ مَا قَالَ العَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ**» رواه مسلم.

وكلُّ مسلمٍ يُعاهِدُ ربَّه كُلَّ يومٍ في الصَّلاةِ المفروضةِ سبعَ عشرةَ مرَّةً على عبادتِه وحده، يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥]، وعبادةُ الله وحدَه سببُ دخولِ جنَّاتِ النَّعيم دونَ ما سوَاهَا من الأسباب، جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: «دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ، قَالَ: **تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً**» متفق عليه.

ومِنْ فضلِ اللهِ على عبادِه أن نوَّعَ لهم العبادات؛ فشرعَ لهم صلاةً لا أفضلَ منها بعد الفريضة، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ**» رواه مسلم، واللهُ يُحبُّها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلى اللهِ صَلَاةُ اللَّيلِ**» متفق عليه، وأداؤُها بإخلاصٍ من علامةِ التَّقوى، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ * ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ * كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ [الذّاريَات: ١٥-١٧]، وهي

مكفِّرةٌ للسَّيِّئاتِ ماحيةٌ للخطايا، قال عليه الصَّلاة والسَّلام ـ لمعاذٍ رضي الله عنه ـ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ** ـ أي: تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ ـ» رواه الترمذي، وهي سببُ رحمةِ الله للعبد، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى**» رواه أبو داود.

وهي مِنَ العباداتِ التي تؤدَّى لِشكرِ نِعَمِ اللهِ الوافِرة، كانَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، ويقول: «**أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْداً شَكُوراً**» رواه البخاري، وأَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ**» رواه الترمذي.

وصلاةُ اللَّيل عاصمةٌ ـ بإذن الله ـ من الفتن، قالت أمُّ سلمة رضي الله عنها: «اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةً فَزِعاً، يَقُولُ: **سُبْحَانَ اللهِ! مَاذَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الخَزَائِنِ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنِ؟! مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ** ـ يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّينَ ـ، **رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ**» رواه البخاري.

فيها انشراحُ الصَّدرِ وراحةُ البالِ وسرورُ القلب، قال ابن حجرٍ رحمه الله: «في صلاةِ اللَّيلِ سرٌّ في طيبِ النَّفس»، وهي من أسبابِ دخولِ الجنَّة، قال سبحانه: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجدَة:١٦-١٧]، قال عبدُ الله بن سَلَامٍ رضي الله عنه: أوَّلُ شيءٍ سمعتُ النّبيَّ صلى الله عليه وسلم تكلَّمَ به حين قَدِمَ المدينة: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ،**

وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ» رواه الترمذي؛ بل من أدَّاها كان في أعلى منازلِ الجنَّة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفاً تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا،** فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **لِمَنْ أَطَابَ الكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**» رواه أحمد.

واللهُ أمرَ رَسولَه ﷺ أن يتعبَّدَه بتلكَ الصَّلاةِ؛ لينالَ أعلَى المقامات، قال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسرَاء: ٧٩]؛ فكان عليه الصَّلاة والسَّلام لا يتركُها سفراً ولا حضراً، وأُمِرَ النَّبيُّ ﷺ أن يُحييَ بتلكَ العبادةِ نصفَ اللَّيل أو يزيدُ أو ينقصُ عنه قليلاً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۞ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ [المُزّمل: ١-٤]، قالت عائشةُ رضي الله عنها: «وكان لا تشاء أن تراه من اللَّيل مصلياً إلا رأيتَه» رواه البخاري، وقرأ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾ [الزُّمَر: ٩] قال: «ذاكَ عثمانُ بنُ عفَّان» قال ابن كثيرٍ رحمه الله: «وذلك لكثرةِ صلاةِ أميرِ المؤمنين عثمانَ باللَّيلِ وقراءتِه، حتى إنه رُبَّما قرأَ القرآنَ في ركعة». وأحبُّ الأعمالِ ما دوامَ عليه صاحبُه وإن قلّ، وصلاتُها في البيتِ أفضل «**خَيْرُ صَلَاةِ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ؛ إِلَّا الصَّلَاةَ المَكْتُوبَةَ**» متفق عليه.

وقيامُ اللَّيلِ كما هو مسنونٌ للرِّجالِ فهو سنَّةٌ أيضاً للنِّساءِ، طرَق النَّبِيُّ ﷺ ابنتَه فاطِمةَ رضي الله عنها وزوجَها عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه ليلاً، وَقَالَ لهما: «**أَلَا تُصَلِّيَانِ؟!**» متفق عليه، قال الطبريُّ رحمه الله: «لولا ما علِمَ النَّبيُّ ﷺ من عِظَمِ فضلِ الصَّلاة في اللَّيل، ما كان يُزْعِجُ ابنتَه وابنَ عمِّه في وقتٍ

جعلَه الله لخلقِه سكناً، لكنَّه اختارَ لهما إحرازَ تلكَ الفضيلةِ على الدَّعة والسُّكون». ودعا النَّبيُّ ﷺ بالرَّحمة لمن أيقظَ أهلَه لِيُصلِّيَا، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ**» رواه أبو داود، وكان عمرُ بنُ الخطَّاب رضي الله عنه يصلِّي من اللَّيل ما شاء اللهُ حتى إذا كانَ آخرَ اللَّيلِ أيقظَ أهلَه للصَّلاة، ثم يقولُ لهم: «الصَّلاةَ الصَّلاةَ، ويتلو ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]».

وصلاةُ اللَّيلِ رِفعةٌ للشَّابِّ كما هي نورٌ ووقارٌ للكبير، قال النَّبيُّ ﷺ لعبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما ـ وكان إذْ ذاك شابّاً ـ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**» متفق عليه، قال ابنُه سالم: «فكان عبدُ الله بعدَ ذلك لا ينَامُ من اللَّيل إلا قليلاً»، قال ابن حجرٍ رحمه الله: «مَنْ كانَ يقومُ اللَّيل يُوصَف بأنَّه نِعمَ الرَّجل»، وحذَّر النَّبيُّ ﷺ عبدَ اللهِ بنَ عمرٍو رضي الله عنه أنْ يترُكَ قيامَ اللَّيلِ وهو غلام، فقال له: «**يَا عَبْدَ اللهِ! لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ**» رواه البخاري، وكان السَّلفُ يُحْيُونَ اللَّيلَ وهُم صِغَار، قال إبراهيمُ بنُ شمَّاسٍ رحمه الله: «كنتُ أرَى أَحمدَ بنَ حنبلٍ يُحيي اللَّيلَ وهو غُلام».

ولشرفِ اللَّيلِ أنزلَ الله كتابَه فيه، وتلاوتُه باللَّيلِ من أسبابِ إتقانِ حِفْظِه، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ**» رواه مسلم، وممَّا يغبَط عليه المرءُ قيامُه بالقرآن ليلاً، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً ، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**» متفق عليه. وقراءةُ القرآنِ في صلاةِ اللَّيل مُعينَةٌ على فهمِه

وتدَبُّره، قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـࣰٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المُزّمل: ٦]، وثوابُ التِّلاوةِ في اللَّيلِ مضاعَف، فقلِيلُها يزيلُ عن العبد اسمَ الغَفْلة، ووسطُها يكسُوه نعتَ القَانتين، وكثيرُها يجلبُ القَناطيرَ من الأجور، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ المُقَنْطِرِينَ**» رواه أبو داود.

وشأنُ الدُّعاءِ في اللَّيلِ عظيم، و«**فِي اللَّيْلِ سَاعَةٌ، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْراً، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**» رواه مسلم، وفي الثُّلثِ الأخيرِ من اللَّيل ينزِلُ ربُّنا إلى السَّماءِ الدُّنيا، فيقول: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟! مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟! مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟!**» متفق عليه.

ومن استيقظَ من اللَّيلِ فقال ذِكْراً ودَعَا استُجيب له، فإنْ صلَّى قُبِلَت صلاتُه، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ** ـ أي: استيقظ ـ، **فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ للهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى؛ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ**» رواه البخاري.

وتعلُّقُ القلوبِ بالله في آخرِ اللَّيل أَرْجَى، وتنزيهُ اللهِ عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ بالتَّسبيحِ في جوفِ اللَّيل من التَّقوى، والاستغفارُ خيرُ ما يَختِمُ به العبدُ أعمالَ ليلِه، قال سبحانه: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ [آل عِمرَان: ١٧]، «وَنَزَلَتْ تَوْبَةُ الذِيْنَ خُلِّفُوا في الثُّلُثِ الأخِيْرِ مِنَ اللَّيْل» رواه البخاري.

وكلُّ اللَّيلِ ـ من بعدِ صلاةِ العشاءِ إلى الفجر ـ زمنٌ لصلاةِ اللَّيل، وأقلُّه ركْعةٌ ولا حدَّ لأكثرِه، وآخرُ اللَّيلِ أفضلُه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**صَلَاةُ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ**» رواه مسلم.

ولأهميَّةِ قيامِ اللَّيلِ من نامَ عنه شُرِعَ له أن يقضيَه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الفَجْرِ، وَصَلَاةِ الظُّهْرِ؛ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ**» رواه مسلم.

وقراءةُ أذكارِ النَّومِ مُعِينةٌ للاستيقاظِ إلى صلاةِ اللَّيل، والسَّهرُ قد يمنَعُ قيامَ اللَّيل، وإن قامه أفقدَه الخشوعَ فيه، ومن نامَ على معصيةٍ لم يَقُمْ في الأغلبِ إلى الطَّاعةِ.

وبعد؛ أيُّها المسلمون:

فالدُّنيا زمنُها قصير، والمكثُ فيها يسير، واللَّيلُ بما فيه من صلاةٍ وتلاوةٍ ودُعاءٍ وتسبيحٍ واستغفارٍ مِنْ خيرِ ما يَعْمُرُ به المسلمُ آخرتَه، ومِنْ أعظمِ ما يدَّخرُه من الأعمالِ الصَّالحةِ للقاء ربِّه، واللَّبيبُ من يَغْتَنِمُ آخرَ اللَّيلِ لإصلاحِ دينِه ودُنياه.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥-٢٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مِمَّا يَجلبُ الرِّزق: قيامُ اللَّيل، وكثرةُ الاستغفارِ بالأَسْحَار، وتَعاهُدُ الصَّدقة، والذِّكرُ أَوَّلَ النَّهار وآخرَه، وشرفُ المؤمنِ قيامُه باللَّيل، قال سعيدُ ابنُ المسيَّب رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُومُ اللَّيلَ فَيَجْعَلَ الله في وجهه نوراً يُحبُّه كلُّ مسلم»، وقيامُ اللَّيل عزيزٌ وهو أوَّلُ ما يُفقَدُ من العبادة، قال ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أوَّلُ ما ينقصُ من العبادةِ التَّهجُّدُ باللَّيل»، والمؤمنُ يدَّخرُ ساعةً من ليلِه للتَّهجُّد، ويغتنمُ نهارَه بعباداتٍ أخرى وينفعُ الخلْق.

ثُمَّ اعلموا أنَّ الله أَمركم بالصَّلاةِ والسَّلامِ على نبيِّه ...

فضائلُ الذِّكر

الحمدُ لله مُعزِّ مَنْ أطاعَه واتَّقاه، ومُذلِّ مَنْ أضاعَ أمرَه وعصَاه، أحمدُه سبحانه على جزيلِ كرَمِه وما أولاه، وأشكره على آلائه وما أسداه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له لا ربَّ لنا سواه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه خيرُ عبدٍ اجتباه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَنْ كان هواه تبعاً لهداه.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلامِ بالعروةِ الوثقى، واعلموا أنَّ أقدامَكم على النَّارِ لا تَقْوَى.

أيُّها المسلمون:

إنَّ القلوبَ تصدأُ بالغفلة، وتظمأُ بالإعراض، وتَجِفُّ باتِّباع الهوى، ولا غنى لها عن التَّعلُّق بالله، وتحتاجُ إلى جِلاءٍ يزيل عنها الإعراضَ والغفلة، والمرءُ في حياته محاطٌ بالأعداء من كلِّ جانب ـ شيطانٍ وهوىً ونفسٍ أمارةٍ بالسُّوء ـ، ولزاماً عليه اللُّجوءُ إلى ما يحفظُه ويُحرِزُه، وإنَّ من أنفعِ ما يزيل تلك الأدواءِ ويَحرِسُ العبد من الأعداء: ذكرَ الله والإكثارَ منه؛ فهو جِلاءُ القلوب ودواؤُها، ومنزلةٌ من منازل هذه الدَّار، يتزوَّد منها الأتقياء، ويتَّجر فيها الأنقياء. الذَّاكرُون المخبِتُون يَحْيَوْن لربِّهم حامدِين

عاملين، قطعوا إغراءاتٍ عاجلةً وجواذبَ الإخلادِ في الحياة، المسلمُ الذَّاكرُ ذو قلبٍ سليمٍ مستسلمٍ لله، وهو في جانبٍ آخرَ صاحبُ كدحٍ شريف، الخلوةُ والجلوةُ عنده سواء، يسعى للقربِ من الله.

وذكرُ اللهِ ميزانُ الرِّفعةِ والتَّكريم، وخيرُ ما نطق به النَّاطقون، وأشرفُ ما أُمْضِيَتْ فيه الأوقات، وصُرِفَتْ فيه الأنفاس، غِراسُ الجنَّة، به تُرفع الدَّرجات وتُحطُّ السَّيِّئات، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ما عَمِلَ آدميٌّ عملاً أنجى له من عذابٍ من ذكر الله**» رواه أحمد. وبه تُستدفَعُ الآفات، وتُستكشَفُ الكربات، وتهونُ به على المصاب الملمَّات، جالبٌ للنِّعم دافعٌ للنِّقم؛ ما استجلبت نعمةٌ ولا استدفعت نقمةٌ بمثل ذكر الله، سمع الله تسبيحَ يونسَ عليه السلام في ظلمات البحر؛ ففرَّج الله عنه كَربَه، قال عز وجل: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصَّافات: ١٤٣-١٤٤].

إنَّ النَّفسَ حالَ قصورِها عن تحقيق مَرامِها تُغشَى بالضِّيق والهمِّ، وذكرُه تعالى يجعل في الكرب طمأنينة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرَّعد: ٢٨]، قال مكحول رحمه الله: «ذكرُ الله شفاء، وذكرُ النَّاس داء»، ومن فُتِحَ له الخيرُ أُلْهِمَ الذِّكر، ومن ضلَّ بقي الخير مُغلقاً دونه.

إنَّ نسيانَ الله لعبده سببُ الشَّقاء في المعاش والمعاد، وذكرُ ربِّ العالمين أمانٌ من نسيانه، ومن عرف عظمة الله أكثرَ من ذكره، ومن ذكر الله في الرَّخاء ذكره في الشِّدَّة، إنَّه بهاءٌ للذَّاكر في الدُّنيا، وضياءٌ له في قبره، ونورٌ له في معاده يسعى بين يديه على الصِّراط؛ فما استنارت القلوبُ والقبورُ بمثله، بابٌ مفتوحٌ بين العبد ومعبوده ما لم يُوصِدْهُ العبدُ بغفلته، قال

الحسن البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تفقَّدوا الحلاوةَ في ثلاثة أشياء: بالصَّلاة، والذِّكر، وقراءة القرآن؛ فإن وجدتُّم الحلاوة، وإلا فاعلموا أنَّ البابَ مغلَق».

ذكرُ الله يوجبُ الأنسَ والسُّرور، وبسطَ الرِّزق، والمهابةَ والخشية، والإنابة والتَّقوى، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۞ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحجّ: ٣٤-٣٥]، وهو من أسباب العِصمةِ من الشَّيطان والنَّصر على الأعداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥] قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «الشَّيطانُ جاثمٌ على قلب ابنِ آدم، فإذا سهَا وغفل وسْوَس، فإذا ذكر الله خنَس».

الإكثارُ منه موصِلٌ إلى مرضات اللهِ وفِكاكِ النَّفسِ من أسر الهوى، وبنسيان الله تَضعُف الهمَّة والإرادة، والقلبُ الذَّاكرُ كالحيِّ في ديار الأحياء، والقلبُ الغافلُ كالميِّت في دور الأموات، وأبدان الغافلين قبورٌ لقلوبهم، وقلوبُهم فيها كالأموات في القبور، قال النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ، كَمَثَلِ الحَيِّ وَالمَيِّت**» متفق عليه.

وإذا خلا الذِّكرُ من البيوت أحاطت به الشُّرور، فكم من إنسانٍ صرَعه الجانُّ، وكم من إنسانٍ يتألَّمُ من أثرِ العين، وكم من مسحورٍ يتلهَّف من ضررِ السِّحر، أين أولئك من تلك الحصون المتينة، والحروز الأمينة من أذكار الغدوِّ والأصال، وفي هذا العصر ـ ومع انتشار المعارف والعلوم، وازدياد الرَّفاهية والمادة ـ إلا أنَّ انتشارَ الكآبةِ والأمراضِ النَّفسية في كثرة ونمو. وذكرُ الله ودعاؤه في النَّوازل والأهوال عزاءٌ للمسلم ورجاء ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨]، ولو لزم المسلمون التَّحصُّناتِ والتَّعوُّذاتِ الشَّرعيةِ ـ من الأوراد والأذكار ـ لَمَا تكدَّر صفوٌ ولا تنغَّص هناء.

إنَّ السَّعيدَ من أمسكَ القول من فضله، وأكثرَ من ذكر ربِّه، والمحرومُ من غفل عن ذكر ربِّه واستعبده الشَّيطان والهوى، ومن ابتغى مجالسَ الملائكةِ والرُّتوعَ في رياض الجنَّة، فليستوطنْ مجالسَ الذِّكر؛ فهي أزكى المجالس وأشرفُها وأنفعُها، وتصون النَّفسَ عن الغيبة والكذب والبهتان. واحذر مجالس اللَّغو والغفلة، فما من ساعةٍ تتخطَّى ابنَ آدم لا يذكر الله فيها؛ إلا تحسَّر عليها يوم القيامة.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البَقَرَة: ١٥٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يذكرُ مَنْ ذكرَه، ويزيدُ مَنْ شكره، أحمده تعالى على سابغ نعمه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن استن بسنَّته واهتدى بهداه.

أيُّها المسلمون:

الذَّاكرُ المنقادُ لربِّه ينير دروبَ حياتِه ومعادِه، وما أحوج المسلمين اليوم إلى ذكر الله واستغفارِه، وما أفقرَهم إلى نور الذِّكر ليبدِّد ما اكتنف حياتهم من ظلام حالك؛ ليجمع ما تناثر من القلوب والهِمَم، وما تفرق من الإرادة والعزائم.

عباد الله:

«**أحبُّ الكلامِ إلى الله: سبحان اللهِ والحمد لله، ولا إله إلا اللهُ والله أكبر**». و«**لا حول ولا قوة إلا بالله؛ كنزٌ من كنوز الجنَّة**»، و«**من قال: سبحان الله وبحمده في يومٍ مئةَ مرة؛ حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زَبَدَ البحر**»، و«**من قال: سبحان الله وبحمده؛ غرست له نخلةٌ في الجنة**»، بذلك صحَّت الأخبار عن النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام. إنَّ ذكرَ الله هو ختامُ الأعمالِ الصَّالحة وختامُ الدُّنيا، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ كان آخرَ كلامِه لا إله إلا الله؛ دخل الجنَّة**» رواه أبو داود.

فاتَّقوا الله واعمُروا حياتكم بذكره على وَفْقِ الشَّرع في خشوعٍ وتضرع، ومن يَبَسَ لسانُه عن ذكر مولاه نطق باللَّغو والباطل.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الجزاءُ من جنس العمل

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى في مخالفةِ الهوى، والشَّقاءُ في مجانبةِ الهدى.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ اللهُ الخَلقَ لعبادتِهِ وأَمرهم بِالإحسانِ إلى خَلْقِه، وهُو سبحانه مهيمنٌ على عبَادِه، رقيبٌ عليهم، مُطَّلعٌ على أحوالهم، سميعٌ لأقوالهم، بصيرٌ بأفعالهم، وإذا عملَ المسلمُ عملاً صالحاً أثابَه عليه في الآخرة وأذاقه آثارَ عملِه في الدُّنيا، قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. وغيرُ المسلم حرَّم الله عليه الجنة، ويُزاد عليه العذابُ في النَّار بما زاد من ذنوبٍ على الشِّرك، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ [النّحل: ٨٨]، وإذا عمل غيرُ المسلم

عملاً فيه صلاح لم يقع في ميزان آخرته منه شيء؛ إنّما يُكافأ عليه في الدُّنيا، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ الكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا** ـ وفي روايةٍ: **حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا** ـ، **وَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَإِنَّ اللهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقاً فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ**» رواه مسلم، قال النَّوويُّ ﵀: «أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الكَافِر الَّذِي مَاتَ عَلَى كُفْره لَا ثَوَاب لَهُ فِي الآخِرَة، وَلَا يُجَازَى فِيهَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَله فِي الدُّنْيَا، مُتَقَرِّباً إِلَى الله، وَيُطْعَمَ فِي الدُّنْيَا بِمَا عَمِلَهُ مِنْ الحَسَنَاتِ مُتَقَرِّباً بِهِ إِلَى الله، مِمَّا لَا يَفْتَقِر صِحَّتهُ إِلَى النِّيَّة ـ كَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالعِتْقِ، وَالضِّيَافَةِ، وَتَسْهِيلِ الخَيْرَاتِ، وَنَحْوِهَا ـ».

والله سبحانه شكور، مَنْ عامله بالطَّاعةِ زاده له في العطاء، وهو سبحانه قويٌّ قهَّار، مَن بَارَزَه بالمعصيةِ عُوقبَ من جنسِ فِعلِه، وما يعفو عنه الرَّبُّ أكثر، كما قال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشّورىٰ: ٣٠]. والجزاءُ من جنسِ العمل ـ في الثَّوابِ والعقاب، في التَّعاملِ مع الخالقِ والمخلوق ـ فمِنْ أفعالِ اللهِ في الثَّواب: أنَّه يُجازِي على الإحسان، وإحسانُه فوقَ كلِّ إحسان؛ فمن صَدَق مع الله في إخلاص الأعمال له أعطاه الله على حسب صِدْقِه معه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنْ تَصْدُقِ اللّهَ يَصْدُقْكَ**» رواه النسائي، ومَن وَفَّى بعهود الله بالوقوفِ عند حدودِه، وَفَّى الله بعهوده إليه بالعطاء والثواب، قال سبحانه: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ٤٠]، ومَنْ حفظَ اللهَ بطاعتِه واجتنابِ معاصيه، حفظه اللهُ في دينِه ودنياه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**اِحْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**» رواه الترمذي، وإن زاد في الطَّاعةِ قَرُبَ الله منه قُرباً يليق بجلاله وعظمته، وكلّما زاد العبدُ في الطَّاعةِ

زاد منه في القُرْب، قال ﷻ في الحديثِ القدسي: «**وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**» متفق عليه.

ومَن ذكرَ ربَّه ذكره الله في السَّماء، ومَن ذكرَ الرَّبَّ عند النَّاس ـ بموعظةٍ أو تعليمٍ، أو مدحٍ لله أو لدينه، ونحوِ ذلك ـ ذكره الله عند ملائكته بالثَّناء عليه، قال ﷻ في الحديث القدسي: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي؛ فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**» متفق عليه، ومَن أَوَى إلى الله والتجأ إليه آواه وكفاه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ: أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**» متفق عليه، ومَن ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً ممَّا تركه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئاً للهِ ﷻ، إِلَّا بَدَّلَكَ اللهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ**» رواه أحمد، ومَنْ نَصَرَ اللهَ بفعلِ أسبابِ النَّصرِ نَصَرَهُ الله وأيَّده، قال سبحانه: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمَّد: ٧]، ومَنْ أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءَه، ومَنْ كره لقاء الله كره الله لقاءَه، ومَن عمل حسنةً ضاعفها له أضعافاً كثيرة وجازاه بجنةٍ لا تَخْطُر على قلبِ بشر.

ومِنْ أفعال الله في العقاب: أنَّ مَنْ عمل ذنباً عُوقب بمثل عمله، فمَن ترك توحيدَ اللهِ زالت عنه ولايةُ الله وحِفْظُه، قال ﷻ في الحديثِ القدسي: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» رواه مسلم، ومَن صَرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره بالرِّياءِ أو السُّمْعةِ أَظْهَرَ اللهُ حقيقتَه للنَّاس بأنَّه غيرُ مخلصٍ لله، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي**

يُرَائِي اللهُ بِهِ» متفق عليه، ومَن علَّق قلبَه بغيرِ اللهِ لم تَتَحقَّقْ مُناه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ**» رواه الترمذي. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَا رَجَا أحدٌ مَخْلُوقاً أَوْ تَوَكّلَ عَلَيْهِ؛ إِلَّا خَابَ ظَنُّهُ فِيه».

والإيمانُ بالقضاءِ والقدرِ ركنٌ من أركان الدِّين، مَن رضي به رضي الله عنه، ومَن لم يرضَ به سخط الله عليه، قال النَّبيُ ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْط**» رواه الترمذي، ومَن نسيَ الله بترك طاعته نسيه الله بعدم تفريجِ كروبه وزوالِ همومه وغير ذلك، قال سبحانه: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التّوبَة: ٦٧]، ومَن ظنَّ أنه يُخادِعُ الرَّبَّ في أفعالِه خَادَعهُ اللهُ باستدرَاجِه ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النِّساء: ١٤٢]، ومَن مكرَ في فعلِ السَّيِّئاتِ مكرَ اللهُ به من حيثُ لا يشعر، قال سبحانه: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النَّمل: ٥٠]، ومَن زاغ عن طاعة الله أزاغ الله قلبه إلى المعاصي ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصَّف: ٥].

وكما أنَّ لله أوامرَ وحدوداً فللعباد بعضُهم مع بعض واجباتٌ وحقوق، ومَن عظّم عبادَه المؤمنين عظّمه اللهُ ومن أهانهم أهانه الله، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «ومَن عاملَ خلقَه بصفةٍ عامَلَهُ اللهُ بتلكَ الصِّفةِ بعينِها في الدُّنيا والآخرة، فاللهُ تعالى لعبدِه على حسبِ ما يكونُ العبدُ لخلقِه، وَكَمَا تَدِينُ تُدَان، وكنْ كيف شئتَ فإنَّ اللهَ لك كمَا تكون أنت له ولعباده، وكما تعملُ مع الناس في إساءَتِهم في حقِّكَ يَفعلُ اللهُ معك في ذنوبِك وإساءتِك».

والمسلمُ معظَّمٌ عند اللهِ في دمِه ومالِه وعرضِه، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «وليست السَّموات بأعظم حرمة من المؤمن»، ولحرمة المسلمين عند الله فإنَّ

مَنْ أحسن إليهم أحسن الله إليه، وَمَن رحمهم ولطَف بهم أنزل الله عليه رحمته، قال النَّبيُّ ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ**» رواه أبو داود، ومَنْ رَفَقَ بالعباد ويسَّر أمورَهم رَفَقَ الله به، ومن شقَّ عليهم شقَّ الله عليه، قال النّبيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَارفُقْ بِهِ**» رواه مسلم، ومن أجزلَ العطاءَ على عباده أعطاه الله وأغْدَقَ عليه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**قَالَ اللهُ** ﻷ: **أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**» متفق عليه.

ومَن رَفَقَ بمعسرٍ أو وَضَعَ عنه دَيْنه أوشيئاً منه؛ كافأه الله بتيسير وقوفه في المحشر وأظلَّه تحت عرشه، ومَن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومَن نفَّس عن مؤمنٍ كربةً من كُرَبِ الدُّنيا نفّسَ اللهُ عنه كروبه، ومَن يسَّر على معسرٍ وفرَّجَ عنه همَّه يسَّر اللهُ عليه في الدُّنيا والآخرة، ومَن أعانَ غيرَه في قضاءِ حاجتِه كان الله عونه في أمورِه.

ومن عفَّ فرجَه عفَّتْ نساؤُه، وَمَنْ حفظَ لسانَه عن الخلقِ صَانَ ألسنةَ النَّاسِ من الوقوع فيه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ومَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله**» متفق عليه، ومن ستر مسلماً وقع في ذنبٍ ستره الله في الدُّنيا والآخرة، ومن أقال زلةَ مسلمٍ وعفَا عنه أقَالَ الله عَثْرتَه يومَ القيامة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ أَقَالَ مُسْلِماً أَقَالَ اللهُ عَثْرَتَهُ**» رواه أبو داود، ومَن استغنى عمَّا في أيدي الخلقِ أغناه الله «**ومَن يستَغْنِ يُغْنِهِ الله**» متفق عليه، ومَن حبَسَ نفسَه عن الوقوعِ في المعاصي أو على فعلِ الطَّاعاتِ أو عند حلولِ المصائب؛ أنزل الله عليه الصَّبرَ وأعانَه «**ومنْ يتصبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله**» متفق عليه، والرَّحِم معلَّقةٌ بالعرش فمن كان واصلاً لرَحِمِه وَصَلَه اللهُ ومن كان قاطعاً لها قطعه الله.

ومَن أساء إلى عبادِ الله عُوقِبَ بمثل ما أساءَ به لخلقِه، فَمَن شقَّ على عباده شقَّ الله عليه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَمَنْ يُشَاقِقْ يَشْقُقِ اللهُ عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**» رواه البخاري، ومن استهزأ بعبادِه المؤمنين استهزأ اللهُ به ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البَقَرَة: ١٥]، ومَن سخِرَ بهم سَخِرَ الله منه ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التّوبَة: ٧٩]، ومَن عمل معصيةً لإرضاءِ النَّاس لم يحصِّلْ مأمولَه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَمَنِ التَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخَطَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ**» رواه ابن حبان، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وقد استقرَّتْ سنةُ اللهِ في خلقِه شرعاً وقدَراً على معاقبةِ العبدِ بنقيضِ قصدِه».

و«**مَن ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا؛ لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلَّا قِلَّةً**» رواه مسلم، ومَن فتح على نفسه بابَ سؤال النَّاس العطايا نزل به الفقر، قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ**» رواه الترمذي، و«مَن سأل الناسَ ليَكْثُرَ مالُه أتى يوم القيامة وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحمٍ» رواه مسلم، ومَن أنفق على غيرِه وأحصى عليهم ما يبذلُه وشدَّدَ عليهم فيه، أَحْصَى اللهُ عليه العطاءَ وضيَّق عليه، قال النَّبيُّ ﷺ لأسماء رضي الله عنها: «**أَنْفِقِي وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِي اللهُ عَلَيْكِ**» متفق عليه، «**وَمَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ** ـ وصدقت نيَّته في أدائِها ـ **أَدَّى اللهُ عَنْه، وَمَنْ أَخَذَهَا** ـ وهو ناوٍ عدم أدائها ـ **أَتْلَفَهُ اللهُ**» رواه البخاري، ومن ضَارَّ النَّاسَ وآذاهم أضَرَّ الله به، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ ضَارَّ أَضَرَّ اللهُ بِهِ**» رواه أبو داود.

والذُّنوبُ لها عقوباتٌ مماثلةٌ في الآخرة، فَمَن تعجل لذّةً محرَّمةً عليه في الدُّنيا حُرِم نعيمُها في الآخرة؛ فَمَن شرب الخمر في الدُّنيا لم يشربها في

الآخرة، ومَن لبس الحرير في الدُّنيا لم يلبسه في الآخرة، ومَن أعمى قلبه في الدُّنيا عن الحق أُعمِيَ بصرُه في المحشر يوم القيامة ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٢].

والمغتابُ مزَّقَ الأعراضَ بلسانِه في الدُّنيا، ويومَ القيامةِ يُجازَى بِخَمْشِ وجهِه بأظافرَ له من نحاسٍ يراه أهلُ النَّار، و«**مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ؛ صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ** ـ وهو الرّصاص المذاب ـ» رواه البخاري، ومَنِ اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طُوِّقَه يومَ القيامة إلى سبع أرضين، و«**مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ؛ عَذَّبَهُ اللهُ بِهِ يومَ القيامة**» متفق عليه.

ومَن كانت له امرأتان فمالَ إلى إحداهما جاءَ يومَ القيامة وشقُّه مائل، ومن كذَب كَذْبةً شاع أمرها فإنَّه يُشَرْشِرُ ـ أي: يُقْلَبُ ـ شِدْقَهُ يومَ القيامة إِلَى قَفَاهُ، ومن وقع في الزِّنا أتاه لهبٌ منْ أسفلَ منه يعذَّبُ به في النَّار، ومن أكل الرِّبا أُلْقِم حجراً في فمِه جزاءَ أكلِه أموالَ الناس.

والأعمالُ الصَّالحة يُرى أثرُها يوم القيامة؛ فمن كانَ من أهل الصَّلاة نُودِي من بابِ الصَّلاة، ومن مات مُحْرِماً بُعث ملبِّياً، ومن مات شهيداً بُعث يوم القيامة ودمُه يَثْعَبُ لونُه لونُ الدَّم وريحُه ريحُ المسك، وأمةُ محمَّدٍ ﷺ في المحشرِ يبعثون غُرّاً محجَّلين من آثار الوضوء، والمؤذِّنون أطولُ النَّاس أعناقاً يومَ القيامة.

وبعد؛ أيُّها المسلمون:

فأوامرُ الله حقّ، ونواهيه زَجْر، ووعدُه صدق، فمن عملَ صالحاً جوزي، ومن فعلَ سيئاً عوقب، وإذا أردت أن تعرف منزلتك في الآخرة

فانظر إلى أعمالك في الدنيا، فتزوَّدْ من الصَّالحات وسابقْ إليها، واجتنب المحرمات، وَانْأَ عنها.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصّلت: ٤٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

كما تحبُّ أن يكون الله لك فكنْ لله تعالى، ومن أقبل على الله بكُلِّيته أقبل الله عليه جملة، ومن أعرض عن الله بكُلِّيته أعرض الله عنه جملة، ومن كان مع الله حيناً وحيناً كان الله له كذلك، ومَنْ أحب أن يَعْلَمَ منزلتَه عند الله فلينظرْ كيف منزلة الله عنده؛ فإنَّ الله يُنزِلُ العبدَ منه حيث أنزله من نفسه، ومَنْ طلب لذةَ العيش وطِيبَه بما حَرَّمه الله عليه عاقبه ربُّه بنقيض قصده، فإن ما عند الله لا يُنالُ إلا بطاعته، ولم يجعل الله معصيتَه سبباً إلى خيرٍ قط.

ثم اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه . . .

نعمُ الله لا تُحصى

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقى.

أيُّها المسلمون:

معرفةُ الله بأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه تُوجِبُ محبَّتَه وتعظيمَه وإفرادَه، ومن أسمائِه: الوهَّاب، ومن صفاته: الكرَم، ومن كرمِه: ما امتنَّ به على عبادِه من النِّعَم؛ فأسبغَ عليهم ما لم يسألُوه إياها، ومنَحَ لهم ما سألُوه ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وفتحَ عليهم نِعَماً من السَّماءِ والأرض ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النّحل: ١٨]، وتذكُّرُ نعَمِ الله داعِيةٌ لشُكرِه وتوحيده وكثرةِ عبادته، وهي من أسبابِ الفَلَاح، قال جلَّ وعلا: ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩].

واللهُ أمرَ رُسُلَه بتذكُّر نعَمِه عليهم، فقال لعيسى بنِ مريم عليه السلام: ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠]، وقال لنبيِّنا محمَّدٍ ﷺ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦-٨].

وأمر الرُّسُلُ أقوامَهم بتذكُّر أفضالِ اللهِ عليهم، فقال هودٌ لقومِه: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ﴾ [الأعراف: ٦٩]، وقال صالحٌ لقومِه: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ﴾ [الأعراف: ٧٤]، وقال شعيبٌ لقومِه: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ﴾ [الأعراف: ٨٦]، وقال موسى لقومِه: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ﴾ [إبراهيم: ٦].

وقال سبحانه ـ مُمتنّاً على الأوسِ والخزرَج ـ: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال لعباده المؤمنين: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الأنفال: ٢٦]، ولما انْقَضَتْ غزوةُ الأحزابِ قال: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]، وقال نبيُّنا ﷺ للأنصار: «**أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي؟**» متفق عليه، وكان الصَّحابةُ رضي الله عنهم يتذاكَرون نعَمَ الله عليهم؛ فخرجَ عليهم النَّبيُّ ﷺ، فسألَهم فقالوا: «جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِهِ» رواه مسلم، وجلسَ الفُضيلُ وابنُ عُيينة رحمهما الله يتَذاكران النِّعَمَ إلى الصَّباح.

والله سبحانه بفضلِه نوَّعَ النِّعَمَ لعباده؛ منها ما هو نازلٌ من السَّماء، ومنها ما هو خارجٌ من الأرض، ومنها ما هو في جوفِها، والبحارُ المُتلاطِمةُ الأمواجِ مُذلَّلةٌ للإنسان، الفُلكُ تمخُرُ في أعلاها، وما في بطنِها من الصَّيدِ والطَّعام بما فيه مَيتَتُه حلالٌ لهم، وجواهِرُها من اللُّؤلؤ والمَرجان ونفائِسَ أُخرَ حِليَةٌ لهم ومال. والنُّجومُ والكواكبُ من فوقِهم ـ منها الجواري ومنها الكُنَّس، وفيها الوهَّاج وفيها ما هو زينة، منها ما يُبصَر ومنها ما لا يُرى ـ، وما بين السَّماء والأرض رياحٌ بُشرىً بين يدَي رحمته. والزَّمانُ خُلِق ودُبِّر؛ فلا نهارَ سرمَدٌ ولا ليلَ بَهِيم؛ بل هذا وذاك. والأرضَ مدَّها فلا تضيقُ بالخلق، وبالجبال أرساها وأنبتَ فيها من كلِّ زوجٍ بهيج. والإنسانَ خلقَه وركَّبَه وفي أحسن صُورةٍ صوَّرَه، وأمرَه بالتفكُّر بما في جسدِه من الآيات، وقال لعباده: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١]؛ بل كلُّ ما في السَّموات وما في الأرض وما بينهما فهو هبةٌ من الله للإنسان يستعينُ بها على طاعته، قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

ولا تتمُّ على العبد النِّعَمُ إلا بالدِّين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المَائدة: ٣]، ومن المِنَّة على هذه الأمة أن بعَثَ فيها أفضلَ رُسُلِه، قال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٤]، وأمرَ اللهُ بالفرحِ بنعمةِ نُزولِ القرآن: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يُونس: ٥٨] ـ قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أي: بالقرآن ـ، ولعظيم منَّة الهداية أمرَ اللهُ عبادَه أن يسألُوه الثَّباتَ عليها والزِّيادة في كلِّ ركعةٍ من صلاتِهم؛ فكان من دُعائِهم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفَاتِحَة: ٦]. ومن رأى أنَّ اللهَ هداه وأدخَلَه الجنَّةَ، وأضلَّ غيرَه وأدخلَه النَّار؛ عظُمَت نعمةُ اللهِ عليه في قلبِه، قال تعالى إخباراً عن المؤمنِ الذي رأى قرينَه في النَّار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۞ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصَّافات: ٥٦-٥٧].

والعافيةُ أعظمُ نعمةٍ دُنيوية، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**سَلُوا اللهَ العَافِيَةَ** ـ أي: السَّلامةَ من الآفات والمصائب والشُّرور ـ؛ **فَإِنَّهُ لَمْ يُعْطَ عَبدٌ شَيئاً أَفْضَلَ منَ العَافِيَةِ**» رواه أحمد. والفراغُ كالصِّحَّةِ في قدر النِّعمة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**» رواه البخاري.

وكرمُ الله وافِر، وعطاؤُه جَزيل، ونِعمُه تزيدُ بالشُّكر، ومن شُكرِها: الإقرارُ بأنها منَ الله ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النّحل: ٥٣]، وكان عليه الصَّلاة والسَّلام يقول في صباحِه ومسائِه: «**اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ**» رواه أبو داود، ومن شُكرِها: حمدُ اللهِ عليها، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى**

عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» رواه مسلم، والتَّحدُّثُ بها من شُكرِها ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضّحىٰ: ١١]، فمن شُكرِ نعمةِ الهداية: الفرحُ بأنَّ الله هداهُ وثبَّتَه، ومن شُكرِ نعمةِ المال: التَّحدُّثُ بفضلِ الله عليك به، والتَّواضُعُ لعبادِه، والإنفاقُ ممَّا أعطاك الله ابتغاءَ وجهه، والمُعافَى يتحدَّثُ بعافيةِ الله له، ويُعمِلُ جوارِحَه في طاعتِه.

وتَذَكُّر المحرومين من النِّعَم يزيدُ من قدرِها، وكان عليه الصَّلاة والسَّلام إذا أوَى إلى فراشِهِ يحمدُ ربَّهُ على النِّعَم، ويتذكَّرُ من حُرِمَها، قال أنسٌ رضي الله عنه: «كان النَّبيُّ ﷺ إذا أوَى إلى فراشِهِ قال: **الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِي**» رواه مسلم.

والنَّظرُ إلى من هو دونَه في الدُّنيا يفتَحُ بابَ القناعة؛ قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**اُنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**» متفق عليه. والطَّاعةُ تحفظُ النِّعمةَ وتزيدُها، ومن أسبابِ دوامِهَا: دعاءُ الله أنْ يُبقِيَها، ومن دُعاءِ النَّبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِك**» رواه مسلم.

وبقاءُ النِّعمةِ مقرونٌ بالشُّكر؛ فإن لم تُشكَر زالَت، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. والمعاصِي تدفَعُ حُلولَ نعمةٍ نازِلَة، أو ترفَعُ نعمةً حادِثة، وقد لا ترفَعُها ولكن تُنزَعُ البركةُ منها، أو تكونُ عذاباً لصاحبها، وما أذنبَ عبدٌ ذنباً إلا

زالَت عنه نعمةٌ بحسب ذلك الذَّنبِ؛ قال ابنُ القيِّم ﵀: «المعاصِي نارُ النِّعَم تأكلُها، كما تأكُلُ النَّارُ الحَطَب».

وإذا رأيتَ نعَمَهُ سابِغةً عليك وأنت تعصِيه؛ فاحذَرْه فقد يكون استِدراجاً لك، قال سبحانه: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ۞ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾ [القَلَم: ٤٤-٤٥] قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي العَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ؛ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاج**، ثم تلا رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]» رواه أحمد.

وإذا حلَّتْ بك نعمةٌ ـ وإن قلَّت ـ فكنْ حذِراً منها؛ فقد تكونُ سببَ هلاكِك إذا لم تُشكَر؛ في عهد النَّبيِّ ﷺ لما نزلَت قطَرَاتٌ من السَّماء قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِر**» متفق عليه، وكلُّ نعمةٍ ـ وإن كانت يسيرةً ـ سيُسألُ عنها العبدُ هل شكرَها أم جحدَها، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ** ـ أي: من النِّعَم ـ: **أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيَكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ؟**» رواه الترمذي.

والنِّعَمُ بذاتِها لا تُقرِّبُ من اللهِ وإنما يُستعانُ بها على طاعته، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، وقد يُعذَّبُ المرءُ بالنِّعمةِ إذا لم يتَّقِ اللهَ فيها، قال سبحانه: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ

كَٰفِرُونَ﴾ [التّوبَة: ٥٥] قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ الله ليُمتِّعُ العبدَ بالنِّعمةِ ما شاءَ؛ فإذا لم يشكُرْ ربَّه عليها قلَبَها عذاباً».

وبعدُ؛ أيُّها المسلمون:

فاللهُ وهَّابٌ كريمٌ، يدُه ملآى سحَّاءُ اللَّيل والنَّهار، وهو عليمٌ حكيم، يُعطِي كلَّ عبدٍ ما يُلائِمُه من النِّعَم، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشّورىٰ: ٢٧]، وهو سبحانه لطيفٌ رحيمٌ يَحْرمُ العبدَ نعمةً يتمنَّاها، أو يُنزِلُ عليه نعمةً في لباسِ مُصيبةٍ ليرفَعَ درجتَه، والمؤمنُ يتقلَّبُ في حياتِه بين الشُّكرِ والرِّضا، والصَّبرِ والاستغفار.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمَان: ٢٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِهِ وامتِنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

جُبِلَت القلوبُ على حبِّ من أحسنَ إليها، ولا أحدَ أعظمُ إحساناً من الله؛ فالمخلوقُ يتقلَّبُ في جميع أحوالِه في نعَمِ الله، ومن استعانَ بها على معصيةِ الله فقد جحدَها، ومع كثرةِ النِّعَم وتوارُدِها على العبادِ قلَّ مَنْ يشكُرُها، قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سَبَإ: ١٣]، والمُفلِحُ من تذكَّر نعَمَ اللهِ عليه في القليلِ والكثيرِ وشكرَها.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاةِ والسَّلامِ على نبيِّه . . .

طهارةُ القلب والبدن

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى أكرمُ ما أسررتم، وأبهى ما أظهرتم.

أيُّها المسلمون:

دينُ الإسلام دينُ الجمالِ والكمال، أمَرَ بطهارةِ القلْبِ والبَدن، قال سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]، وأمر بتطهير أماكن العبادة من الشِّرك والدَّنس ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحجّ: ٢٦].

ووصف اللهُ الرُّسلَ بنقاءِ القلوب، فقال عَن إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصَّافات: ٨٤]. وحفظَ اللهُ نبيَّنا محمَّداً ﷺ في صِغَره من أدواء الصُّدور، قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أتى جبريلُ النّبيَّ ﷺ ـ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ القَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ

عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ» رواه مسلم. ولما أُرْسل أَمَرَهُ اللهُ بالحفاظِ على سلامةِ قلبه، فقال له: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدَّثر: ٤] قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللهُ: «وقلبَك ونيّتَك فطهِّر»؛ فكان من دعاء النَّبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ نقِّنِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ**» متفق عليه، ولما أراد الله أن يكرمه بالإسراء والمعراج غسل قلبه مرةً أخرى؛ إذ لا يدنو منه سبحانه إلا سليمُ الصَّدر، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**نَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ عَنْ صَدْرِي** ـ أي: شقَّه ـ، **ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِىءٍ حِكْمَةً وَإِيمَاناً، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاء**» متفق عليه.

وأثنى على أهلِ قُباءَ بتقواهم وملازمتِهم كمالَ الطَّهارة، قال سبحانه: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ [التوبَة: ١٠٨]، والطُّهورُ شطرُ الإيمان، ومَنْ تطهر أَحبَّه الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢]، ومِفتاح الصَّلاة الطُّهور؛ فلا يدخل المصلِّي في صلاته حتى يتطهر.

وجَعَل سبحانه الدُّخول إلى الجنَّةِ موقوفاً على الطِّيب والطَّهارة؛ فلا يَدْخلُها إلا طيِّبٌ طاهر، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزُّمَر: ٧٣]، فمن تطهرَ في الدُّنيا ولقيَ الله طاهراً دخل الجنَّة، ومن لم يتطهر في الدُّنيا فإن كانت طهارته معدومة ـ كالكافر ـ لم يدخلْها بحال، وإن كانت نجاستُه كسبيةً عارضةً وشاء الله عذابه دخلها بعد ما يتطهر في النَّار من تلك النجاسة ثم يخرُجُ منها.

وَأهلُ الإيمان إذا جازوا الصِّراط حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار؛ فيهذَّبون وينقَّون من بقايا بقيت عليهم قَصُرَتْ بهم عن الجنَّة ولم توجب لهم دخولَ النَّار، إذْ طهارةُ القلبِ شرطٌ لدخول الجنَّة، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٨-٨٩] قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يجاورُ الرَّحمنَ قلبٌ دُنِّس بأوساخ الشَّهوات والرِّياءِ أبداً».

وللباطن زينةٌ كما للظاهر زينة، ومِنْ دعاءِ النَّبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ**» رواه النَّسائي، والقلوبُ كالأبدان ـ منها الصَّحيحُ، ومنها السَّقيم، ومنها الحيُّ، ومنها الميِّت ـ، وإذا نُقِّي القلبُ من الأدران امتلأ بالرَّحمة والخير، فاهتمَّ الإسلامُ بكلِّ ما يُصْلِحُ القلبَ ونهى عن جميع ما يُفسدُه، وأعظمُ صلاحٍ له هو التَّوحيدُ بإخلاص الأعمال لله وحده، وفسادُ القلب وموتُه بالشِّرك بالله، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، وتوعَّدهم بالخزي والنَّكال فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المَائدة: ٤١]، والمنافقون وصفهم الله بقوله: ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ [التوبة: ٩٥] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: خبثاءُ نجِسٌ بواطنُهم وظواهرُهم».

والحقدُ والحسدُ داءٌ في القلوب إنْ لم يُتدارَك بالدُّعاءِ وسلامةِ الصَّدر أظلم بها، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً**» متفق عليه، وقدِمَ رجلٌ على النّبيِّ ﷺ فقال لأصحابه: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**، ولما سُئل عن عملِه قال: إِنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ غِشّاً، وَلَا أَحْسُدُ أَحَداً

عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ» رواه أحمد، ومِن دعاء المؤمنين: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحشر: ١٠] قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «ما رأيتُ أحداً أجمعَ لخصالِ الصَّفحِ والعفوِ وسلامةِ الصَّدرِ من ابنِ تيمية».

والقلبُ شديدُ الصَّفاء، سريعُ التَّأثر، أدنى معصيةٍ تؤثِّرُ فيه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ**: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]» رواه الترمذي.

وواجبٌ على العبد أن يَغْسِلَ قلبَه في كلِّ يوم وليلة، ومما ينقِّيه الصَّلواتُ المفروضة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ**؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: **فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا**» متفق عليه، ومَنْ صلَّى بعد تطهُّرِه كان سبباً في دخول الجنَّة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، يُقْبِلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ**» متفق عليه.

والوُضوءُ دواءٌ للقلوب والجوارح، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسْلِمُ أَوِ المُؤْمِنُ؛ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ المَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ المَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاء، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ المَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيّاً مِنَ الذُّنُوبِ**» متفق عليه. ومَن أضافَ إلى وُضوئِه كلمةَ التَّوحيد؛ فُتِّحت له أبوابُ

الجنَّة الثَّمانية، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأ فَيُبْلِغُ، أَوْ فَيُسْبِغُ الوَضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِلَّا فُتِّحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**» رواه مسلم.

والزَّكاةُ تُطهِّر القلبَ وتنيره، قال سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التّوبَة: ١٠٣]، وكلامُ ربِّ العالمين شفاءٌ للأبدان والصُّدور، قال ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسـراء: ٨٢]. وإخلاصُ الأعمالِ لله، ولزومُ جماعةِ المسلمين، والنَّصيحة؛ مما يصلحُ القلوب، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ثَلَاثٌ لَا يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ العَمَلِ للهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ**» رواه الترمذي.

والحجابُ طُهرٌ وعفاف، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ومجالسةُ الصَّالحين وحفظُ اللِّسان نقاءٌ للقلب، والبعدُ عن الفتن طهارةٌ له، قال النَّبيُّ ﷺ: «**تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ كَالحَصِيرِ عُوداً عُوداً، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاء**» رواه مسلم.

وطهارةُ الظَّاهر متمِّمَةٌ لطهارةِ الباطن؛ فاهتمَّ الإسلام بطهارة بدن الإنسان منذ ولادته إلى وفاته، فإذا ولد أُمِرَ بختانِه وحَلْقِ رأسِه، وإذا مات غُسِّل وأُحسن كفنُه وطِيبُه. وكان نبيُّنا ﷺ يُحبُّ الطِّيبَ ويُرى وَبِيصُ طيبِ المسكِ يَسيل مِن مِفْرَق رأسه، وكان يتسوَّك عند كلِّ وُضوءٍ وصلاةٍ وعند دخولِ المنزل وإذا استيقظ من النَّوم، وأمر بما جاءت به الفِطْرة ـ من قصِّ الشَّارب، وإعفاءِ اللِّحية، والسِّواك، واستنشاقِ الماء، وقصِّ الأظفار،

وغسلِ البراجم، ونتفِ الإبط، وحلقِ العانة، وانتقاصِ الماء ـ أي: الاستنجاء ـ، والختان. ووقَّت في قصِّ الشارب وتقليمِ الأظافر ونتفِ الإبط وحَلْقِ العانة ألا تُترَكْ أكثرَ مِن أربعينَ ليلة.

وأَمرَ كُلَّ مسلمٍ بالاغتسالِ كلَّ أسبوع، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ: أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيّامٍ يَوْماً يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَه**» متفق عليه، وكانَ إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَى فِيهِ، وَخَفَض بالعُطَاس صوتَه. رواه أبو داود، وأَمَرَ بإماطةِ الأذى عن طُرقاتِ المسلمين وقال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي ـ حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا ـ فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا: الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ**» رواه مسلم.

ووصف كيفيةَ التَّطهُّرِ بعد قضاءِ الحاجة وبم يستنجي؟ وعددَ الأحجار؛ فنهى عن الاستنجاء باليمين، ونهى عن الاستجمار بالرَّوْثِ والعِظام، وألا يُسْتَجْمرَ بأقلَّ من ثلاثةِ أحجار. ونهى عن كُلِّ ما فيه مجانبةُ التنزُّه أو تمامَه؛ فنهى عن التَّنفُّس في الإناء حالَ الشُّرب وعن نَفْخِ الطَّعام وعن الشُّربِ مِن فَمِ القِرْبة أو السِّقاء؛ لأنَّه ينتنه. وإذا استيقظَ النَّائم لَا يَغْمِسُ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثلاثاً، وإذا وَلَغَ الكلبُ في الإناء أَمَرَ بغسلِه سبعاً أُولاهُنَّ بالتُّراب. ووقَّت في مسحِ الخفَّين يوماً للمقيم وثلاثةً للمسافر؛ لئلا يتأخَّر غسلُ القدم بالماء؛ بل توعَّدَ من لم يغسلْ كاملَ قدمِه بالنَّار «**وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ**» متفق عليه، وزجر عمَّا فيه رائحةٌ تؤذي فقال: «**مَنْ أَكَلَ ثُوماً، أَوْ بَصَلاً؛ فَلْيَعْتَزِلْنَا، أَوْ لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِه**» متفق عليه.

ولنجاسةِ الخمر وإسكارِها توعَّد من شربها ألا تُقبلَ منه صلاةُ أربعين يوماً. ونهى عن التَّخلِّي في طريقِ النَّاسِ أو ظلِّهم، وعنِ البُصاقِ في

المساجدِ ورغّبَ في تطهيرِها وعظَّم من يقومُ بذلك؛ فكانت امرأةٌ سوداءُ أو رجلٌ يقمُّ المسجد ففقده النَّبيُّ ﷺ، فسأل عنه؟ فقيل: مات، فقال: «**أَلَا آذَنْتُمُونِي بِهِ**؟» فكأنّهم صغَّروا أمرَها أو أمرَه قال: «**دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ**»؛ فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْه. متفق عليه.

وبين الثِّيابِ والقلُوبِ مناسبةٌ ظاهرةٌ وباطنة، كلٌّ منهما يُؤَثِّرُ في الآخَر؛ فنهى عن لُبسِ الحريرِ والذَّهب، وجلودِ السِّباع، وعن الإسبال؛ لما تُؤَثِّرُ في القلبِ من الهيئةِ المنافيةِ للعبوديَّةِ والخشوع.

وبعدُ؛ أيُّها المسلمون:

فدِينُ الإسلام دينٌ لا أكملَ ولا أعظمَ منه، ولا أزكى للعبدِ وأطهرَ له سواه، يأمرُ بمسحِ الأُذن داخلِها وخارجِها في اليوم مرات، والنُّقطةُ الواحدةُ من البولِ تَنقُضُ الوضوء، والكلمةُ الواحدةُ من الكفرِ أو عملٌ واحدٌ يناقضُ الإسلامَ يَخْرجُ به المرء من الدِّين.

والسَّعيدُ من طهَّرَ قلبَه وجوارحَه ولسانَه وظاهرَه ممَّا يغضبُ ربَّه، واستعملَها فيما يحبُّه اللهُ ويرضاه، وشَكَرَ نعمَ اللهِ عليه.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحمدُ لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

لا يستقيم إيمانُ عبدٍ حتى يستقيم قلبُه، ولا يستقيمُ قلبُه حتى يستقيمَ لسانُه، والقلبُ السَّليمُ هو الذي سَلِمَ من الشِّركِ والبدع، والغلِّ والحقدِ والحسد، والشُّحِّ والكِبْر، وحُبِّ الدُّنيا، وسَلِمَ مِن كلِّ شهوةٍ تُعارِضُ أمرَ الله ومِنْ كلِّ شُبهةٍ تُعارِض خَبَرَه، ومِن أحقِّ ما يطهِّرُ به العبدُ حياتَه طهارةُ قلبِه ولسانِه ومالِه مِن المحرَّماتِ والشُّبُهات.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاةِ والسَّلامِ على نبيِّه . . .

ذنوبٌ زمنُ فعلِها قليلٌ وإثْمُها عظيم

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً .

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عبادَ الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى في مُخالفةِ الهوى، والشَّقاءُ في مُجانبةِ الهُدى.

أيُّها المسلمون:

تفضَّل الله على عبادِه بدينٍ كاملٍ شاملٍ لأمور الدُّنيا والدِّين، من تمسَّك به أنارَ الله قلبَه وقرَّبَه إليه، ومن فرَّط فيه جُوزِيَ على عصيانه، والله سبحانه يُحبُّ الطَّاعةَ وأهلَها ويأمرُ بها، ويُبغِضُ المعصيةَ وأهلها وينهَى عنها؛ بل ويغارُ سبحانه إن ارتُكِبَت مناهيه، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**إنَّ اللهَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللهُ**» رواه البخاري، وضررُ الذُّنوبِ كضرر السُّموم في الأبدان؛ منها ما تُخرِجُ المرءَ من مرتبةِ الإيمان إلى مرتبة الإسلام، ومنها ما تُخرِجُه من الإسلام.

وكما أنَّ الله تكرَّم على عباده بأعمالٍ يسيرةٍ ثوابُها عظيم، حذَّرَهم مِن ذُنوبٍ زَمَنُ فِعلِها يسيرٌ وإثمُها كبير؛ فناسٌ يُكبُّون في النَّار على وجوههم من حصائدِ ألسنتِهم. وأقبحُ ما تحرَّك به اللِّسانُ: دعوةُ غيرِ الله معه، ورفعُ الحوائجِ إلى غيره سبحانه ـ من الأمواتِ والأوثان ـ؛ إذْ هو يُحبِطُ الأعمال، ويُخلِّدُ صاحبَه في النَّار، ولا يُحَصِّلُ الدَّاعي ما أراد، قالَ سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥].

والطَّعنُ في اللهِ أو دينِه أو رسُولِه نقصٌ في العقل، وفقدٌ للدِّين؛ قال سبحانه: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۞ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التّوبَة: ٦٥-٦٦] قال الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسنٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإنسانُ قد يكفُرُ بكلمةٍ يتكلَّم بها، أو عملٍ يعملُ به، وأشدُّها خطراً إراداتُ القلوبِ؛ فهي كالبحر الذي لا ساحلَ له، ومن هذا البابِ: الاستهزاءُ بالعلمِ وأهله، وعدمُ احترامهم لأجله».

واللهُ وحدَه هو المُعظَّمُ في القلوب، ومن زاحمَ غيرَ الرَّبِّ في قلبِه، أو أظهرَ تعظيمَ غيرِ اللهِ على لسانِه بالحلِفِ به ـ كمن يحلِفُ بالنَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام، أو بالنِّعمةِ، أو بالولدِ؛ فقد أشركَ ـ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من حلفَ بغير الله؛ فقد كفرَ أو أشركَ**» رواه الترمذي، ومن بدرَ منه فعلٌ من أفعال الشِّرك ولو يسيراً ـ من طوافٍ على الأضرحة، أو ذبحٍ لها، أو نذرٍ ـ لم يرَح رائحةَ الجنَّة، ولعظيم قُبحِهِ لهضمِهِ لربوبيَّة الله وتنقُّصِه لألوهيَّته، لا يغفِرُه الله بحال، قال جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

والسَّاحرُ مُفسِدٌ للدِّينِ والدُّنيا، يُنازِعُ الرَّبَّ في ربوبيَّته فيما يدَّعيه من نفعٍ أو ضرٍّ؛ فكان حدُّه ضربَه بالسَّيف، ومن أتى إليه طالباً منه السِّحرَ فقد كفرَ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ليس منَّا مَن سحَرَ، أو سُحِرَ له**» رواه البزَّار.

وتعليقُ التَّمائمِ شركٌ بالله، ولا تزيدُ العبدَ إلا وهناً، ولن يُتِمَّ اللهُ له ما أراد. وعلمُ الغيبِ أخفاه الله حتى عن ملائكته، قال ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النَّمل: ٦٥]، ومن صدَّق من يدَّعِي علمَ الغيبِ من الكُهَّان ـ ممن ينظرُ في الأبراج، أو يقرأُ في الكفِّ، أو نحو ذلك ـ؛ فقد كفرَ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ أَتَى كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**» رواه أبو داود.

وإن سلِمَ العبدُ من الكُفر قولاً أو عملاً؛ فإنَّ الشَّيطانَ يؤُزُّه لما دُونَه من الكبائر، فيدعُوه إلى إطلاق لسانه إلى ما حرَّم اللهُ وأعظمُها الوقيعةُ في عِرضِ المُسلِم؛ فحذَّر الله من غِيبتِه، وشبَّه غِيبتَه بأكل لحمه وهو ميِّت، ويومَ القيامة يكونُ للمُغتابِ أظفارٌ من نحاسٍ يخمِشُ بها وجهَه وصدرَه جزاءَ ما خمشَ أجسادَ المُسلمين. وقولُ المُغتابِ لو خُلِطَ بماء البحرِ لأنتنَه؛ قالت عائشةُ للنَّبيِّ ﷺ: «حسبُك من صفيةَ أنَّها كذا ـ تعني: أنها قصيرة ـ، فقال النَّبيُّ ﷺ: **لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**» رواه أبو داود. وقد صانَ السَّلفُ رحمهم الله ألسنتَهم عن هذه المعصيةِ، قال البخاري رحمه الله: «أرجو أن ألقَى اللهَ ولا يُحاسِبُني أني اغتبتُ أحداً».

والنَّمَّامُ قريبُ المُغتابِ، وعقوبتُه تُعجَّلُ عليه في قبره، وفي الآخرة توعَّده الله بحِرمانه من الجنَّة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا يدخلُ الجنَّةَ**

قتَّات ـ أي: نمَّام ـ» متفق عليه. وكما حرَّم الإسلامُ الحديثَ في غيبة المُسلمِ بما يكرَه؛ نهى أيضاً عن التَّطاوُلِ عليه باللِّسان في حُضوره، فقال ﷺ: «**سِبابُ المُسلم فُسوقٌ**» متفق عليه، وقال: «**ولعنُه كقَتلِه**» متفق عليه، «**وَمَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ؛ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْه**» متفق عليه.

ومن قذفَ عفيفاً في عِرضِه؛ لعنَه الله في الدُّنيا والآخرة، وله عذابٌ عظيمٌ، ومن اقتطعَ حقَّ امرئٍ مُسلمٍ بيمينه؛ أوجبَ الله له النَّارَ وحرَّم عليه الجنةَ، فقال رجلٌ للنَّبيِّ ﷺ: «وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله! قال: **وإنْ قَضِيباً مِنْ أَرَاك** ـ يعني: وإن كان قَدْرَ المِسواك ـ» رواه مسلم. ومن أطلقَ لسانَه باللَّعن؛ حُرِم أن يشفعَ أو يشهدَ لأحدٍ يومَ القيامة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ**» رواه مسلم.

ولكونِ الكذبِ من علاماتِ النِّفاقِ نهى الإسلامُ عنه ولو على سبيلِ الهَزل، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَه**» رواه الترمذي. ومن ادَّعى أنه رأى رُؤيا في منامه وهو كاذِبٌ؛ كُلِّف يومَ القيامة بعملٍ يعجَزُ عنه تنكيلاً به، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ؛ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَل**» رواه البخاري. ومن سألَ ما عند النَّاسِ من أموالٍ وعنده ما يُغنيه؛ فإنما يستكثِرُ من النَّار، ومن استمعَ إلى حديثِ قومٍ وهم له كارِهون؛ صُبَّ في أُذنيه الآنُك يوم القيامة ـ وهو الرّصاص المُذابُ ـ.

وكما أنه واجبٌ على العبدِ أن يصونَ لسانَه؛ فمتَحتِّمٌ عليه كذلك أن يحفَظَ جوارِحَه، فهناك أفعالٌ دون الشِّركِ وقتُ فِعْلِها قليلٌ ولكن ذنبُها عند اللهِ

كبيرٌ، وأعظمُها قتلُ المُسلِم، واللهُ توعَّدَ قاتلَه بعقوباتٍ مُتنوِّعة، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: ٩٣]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ؛ لأَكَبَّهُمُ اللهُ فِي النَّارِ**» رواه الترمذي. والمسلمُ أكرمُ عند الله من الدُّنيا، قال ﷺ: «**لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ**» رواه الترمذي؛ بل نهى أن يَقْتُلَ المرءُ نفسَه؛ لأنَّ الله خلقَه لعبادتِه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**» متفق عليه. ولِكي يأْمنَ المُسلمُ في حياته؛ فكلُّ وسيلةٍ إلى القتلِ سدَّ الإسلامُ ذريعتَها؛ فـ «**مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ؛ فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ ـ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ ـ**» رواه مسلم. ومن عادَى وليّاً من أولياء الله فقد آذنَه الله بالحرب.

والزِّنا سبيلُه سيِّئٌ، ما وقعَ فيه امرؤٌ إلا ساءَ حالُه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، والله قرَنَه مع الشِّرك والقتل، قال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللهُ: «أعظمُ الذنوبِ عند اللهِ: الشِّركُ، ثم القتلُ، ثم الزِّنا». والجزاءُ من جنسِ العمل؛ فمن عفَّ عفَّتْ نساؤُه، ولبشاعتِه كانت عقوبةُ المُحصَنِ الرَّجمَ حتى الموت.

وقليلُ الربا يُدنِّسُ المالَ الكثير، وينزِعُ بركتَه ويَحُلُّ الفقرُ بصاحبه، قال سبحانه: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البَقَرَة: ٢٧٦]، والله لعنَ آكِلَه وأذِن بحربه، ومن حاربَه الله فقد هلكَ. والسَّارقُ لعنَه الله لأخذِه حقوقَ الآخرين، وآكِلُ مالِ اليتيم يأكلُ في بطنه ناراً، ومن أخذَ أموالَ النَّاس يُريدُ إتلافَها أتلفَه الله، ومن اقتطعَ شِبراً من الأرض ظلماً خُسِفَ به إلى سبع أراضين.

ومن آوَى مُبتدعاً في الدِّينِ أو جانِياً؛ فقد لعنَه الله. ومن دفعَ مالاً ليتوصَّلَ به إلى ما لا يحِلّ؛ كان راشِياً، والرَّاشي والمُرتشِي لعنَهما رسولُ الله ﷺ. و«**ثلاثةٌ ربُّ العالمينَ خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَة: رَجُلٌ أَعْطَى بِهِ سُبْحَانَهُ ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرّاً فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيراً فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَه**» رواه البخاري. ومن شرِبَ الخمرَ لم تُقبَل منه صلاةُ أربعين يوماً، ولم يشربها في الجنَّة؛ بل ويَسقِيه اللهُ من طِينَةِ الخَبالِ يوم القيامة ـ وهي: عَرَقُ أهلِ النَّار، أو عُصارةُ أهلِ النار ـ.

واللِّباسُ من نعم اللهِ وإذا عصَى الرَّجلُ ربَّه في ملبسه بالإسبال؛ تعرَّضَ لعذابِ الله، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم الله يوم القيامةِ ولا ينظُرُ إليهم، ولا يُزكِّيهم، ولهم عذابٌ أليم: المُسبِلُ، والمَنَّانُ، والمُنفِّقُ سلعتَه بالحلِفِ الكاذِبِ**» رواه مسلم.

والمرأةُ إن تزيَّنَت بغير ما أذِنَ الله فيه ـ بأن وصلَت شعرَها، أو وصلَت لغيرها، أو نمصَت حاجبها، أو نُمِصَ لها؛ فقد تعرَّضَت للعنةِ الله. والله أوجبَ على الزَّوجةِ طاعةَ زوجها، وإذا دعا الرَّجلُ امرأتَه إلى فِراشه فأبَت أن تجِيءَ؛ لعنَتها الملائكةُ حتى تُصبِح، والعدلُ أساسُ المودَّة والرَّأفة، و«**مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا؛ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ**» رواه أبو داود، و«**ما خَلَا رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا**»، ومن قطعَ رحِمَه قطعَه الله.

وعملُ المصوِّرِ يسيرٌ ولكنَّ جُرمَه عند اللهِ عظيم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّار**» متفق عليه، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لعن اللهُ المصوِّر**» رواه البخاري. ومن اقتنى كلباً لغيرِ حاجةٍ نقَصَ كلَّ يومٍ من أجره قيراطان،

ومَنْ وسم دابةً لعنه الله. وحبَست امرأةٌ هرَّةً ومنعت عنها الطَّعامَ فدخلت النَّار. ومَن لَبِسَ خاتمَ ذهب، قال عنه النَّبيُّ ﷺ: «**يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ**» رواه مسلم.

وأفعالٌ في العبادات من فرَّط فيها توعَّده الله بعقابٍ؛ فـ «**المَارُّ بَيْنَ يَدَيِ المُصَلِّي لَوْ يَعْلَمُ مَاذَا عَلَيْهِ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ، خَيْراً لَهُ مِنْ أَنَّ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْه**» متفق عليه، و«**الذي يُسابِقُ الإمامَ يُخشَى أن يُحوِّلَ الله رأسَه رأسَ حمارٍ، أو صورتَه صورةَ حمارٍ**» متفق عليه، ونهى النَّبيُّ ﷺ عن رفع البصر في الصَّلاة، وقال: «**لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُم**» رواه البخاري.

والمُسلمُ مُعظَّمٌ حيّاً وميتاً، وكسرُ عظمِه وهو ميِّتٌ ككسرِه وهو حيٌّ، والجلوسُ على قبره من إهانته، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ**» رواه مسلم. وإذا عمِلَ العبدُ عملاً صالحاً سعى الشَّيطانُ في إفساده بالرِّياء أو السُّمعة أو إرادة الدُّنيا، ومن وقعَ في ذلك كان عملُه هباءً.

والعبدُ يُعاقَبُ باعتقادٍ فاسدٍ في قلبِه وإن لم يعمل أيَّ عملٍ؛ فمن اعتقدَ أن غيرَ الله ينفعُ أو يضُر، أو عطَّل أسماءَه وصفاتِه فقد كفرَ، و«**آيةُ النِّفاقِ: بُغضُ الأنصار، وحبُّهم من الإيمانِ**» متفق عليه. ومن قنطَ مِن رحمةِ الله الواسعة فقد ضلَّ، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

والعُجْبُ بالنَّفسِ أو المالِ أو اللِّباسِ مُوجِبٌ للعقوبة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ**

خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» متفق عليه. والحسدُ مُظلمٌ للقلبِ، مُفسِدٌ للحسناتِ.

والكبرياءُ من خصائصِ صفاتِ الله من نازعَه فيها عذَّبَه، ومن تكبَّر على الله أهانَه، قال فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النَّازعَات: ٢٤]؛ فأغرقَه الله بالماءِ، ومن استكبرَ على خلقِه أهلكَه، فرِحَ قومُ عادٍ بقوتهم وقالوا: ﴿مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فُصّلَت: ١٥]؛ فأهلكَهم الله بريح.

وبعدُ؛ أيُّها المسلمون:

فالدِّينُ أغلى ما يملِكُه المُسلم، وهو أصلُ الضَّرورات التي جاءَ الإسلامُ بحِفظِها؛ فيجبُ على المُسلمِ أن يحفظَ لِسانَه وجوارِحَه، وما يعتقدُ بقلبِهِ مما يُضادُّه أو يُنقِصُه. والإسلامُ دينُ الفِطرة، الدخولُ فيه بكلمةٍ مع عِلْمٍ بمعناها وعملٍ بمُقتضاها، وهو أيضاً أرقُّ شيءٍ وألطفُه، من ارتكبَ شيئاً من نواقضِه ولو بكلمةٍ زالَ عنه، والسَّعيدُ من تمسَّكَ به وأحبَّه ومدحَه، ودعا غيرَه إليه، ومن ثبَّته الله على ذلك سعِد في دنياه وأخراه.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ [النِّسَاء: ١٢٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِهِ وامتِنانِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

النَّصيحةُ أصلٌ من أصول الدِّينِ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**الدِّينُ النَّصِيحَة**» رواه مسلم. والمُسلمُ ناصِحٌ لغيره مُحِبٌّ له الخير، وإذا أُظهِرَت النَّصيحةُ في مُجتمعٍ سادَه الوِفاقُ والمودَّةُ والصَّلاح، والخطيئةُ إذا خفِيَت لم تضُرَّ إلا صاحِبَها، وإذا ظهرَت فلم تُغيَّر ضرَّت العامَّة. ومِفتاحُ حياة القلوبِ: تدبُّر القرآنِ العظيمِ، وتركُ الذُّنوبِ.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاةِ والسَّلامِ على نبيِّه ...

أعمالٌ يسيرةٌ تغفر الذُّنوب

إنّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد:

فاتّقوا الله ـ عبادَ الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فتقوى الله منارُ الهدى، والإعراضُ عنها سبيلُ الشَّقا.

أيُّها المسلمون:

خلق الله الثَّقَلَيْن لعبادتِه؛ فمن أطاعه وعدَه بالجنَّة، ومن عصاه توعَّده بالجزاءِ الأليم، والحسابُ عنده سبحانه بمثاقيلِ الذَّرِّ، قال ﷻ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزّلزلة: ٨]. وذنوبُ العبادِ كثيرةٌ، منها ما هو كأمثال الجبال، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ المُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الجِبَالِ**» رواه مسلم. ومنها ما هو كزَبَدِ البحر، في الحديث عنه: «**حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**» متفق عليه.

والذُّنوبُ منها ما هو قلبيٌّ؛ كاعتقاد أنَّ غيرَ الله ينفعُ أو يضرّ، أو ضعفِ التَّوكُّلِ على اللهِ أو الكِبر، أو الحسَد. ومنها: أوزارٌ قوليَّة ـ كدعاءِ غيرِ الله من الأموات وغيرِهم، أو الحلِفِ بغيرِ اللهِ أو الكذِب، أو الغِيبة ـ. ومنها: خطايا فِعليَّة ـ كالطَّوافِ على القبور، أو القتل، أو السَّرقة، أو الزِّنا ـ.

والشِّركُ بالله لا يغفِرُه الله إلا بالتَّوبة، وفي الآخرة صاحبُه مُخلَّدٌ في النَّار، والكبائرُ لا يغفرُها الله إلا بالتَّوبة، وقد تُكفَّرُ بعملٍ صالحٍ إذا قوِيَ الصِّدقُ والإخلاص؛ كما سقَتِ البغِيُّ كلباً فغُفِرَ لها، وفي الآخرة صاحبُ الكبيرة إن لم يَتُبْ؛ فهو تحتَ المشيئةِ ـ إن شاءَ عذَّبَه، وإن شاءَ غفرَ له ـ.

وصغائرُ الذُّنوبِ يُكفِّرُها اللهُ إن اجتُنِبَتِ الكبائر، قال سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٣١] قال ابن كثيرٍ رحمه الله: «أَيْ: إِذَا اجْتَنَبْتُمْ كَبَائِرَ الآثَامِ الَّتِي نُهِيتُمْ عَنْهَا؛ كَفَّرْنَا عَنْكُمْ صَغَائِرَ الذُّنُوبِ، وَأَدْخَلْنَاكُمُ الجَنَّةَ». ومُكفِّراتُ صغائرِ الذُّنوبِ: اعتقادٌ صحيح، أو قولٌ أو عملٌ صالحٌ تُغفَرُ الزَّلَّةُ به.

وهو سبحانه توَّابٌ يبسُطُ يدَه بالنَّهار ليتوبَ مُسيءُ اللَّيل، ويبسُطُ يدَه باللَّيل ليتوبَ مُسيءُ النَّهار، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النِّسَاء: ٢٧].

وذنوبُ بني آدم ـ وإن كثُرت ـ ففضلُ الله سابغٌ على عبادِه، إذْ شرعَ لهم طاعاتٍ يُوالِيها عليهم لتُكفَّرَ عنهم سيئاتُهم؛ فالتَّوحيدُ الخالصُ المُتَّصِفُ بالصِّدقِ واليقينِ المُجانبُ لنواقضِه يُكفِّرُ الذُّنوب، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**قال الله عز وجل: وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئاً؛ لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**» رواه مسلم.

وشأنُ التَّوحيدِ عندَ الله عظيمٌ لمن حقَّقه؛ فيومان في الأسبوع يغفِرُ الله فيهما لكلِّ مُسلمٍ لا يُشرِكُ بالله شيئاً، إن لم تُغشَ كبيرةٌ من كبائرِ الذُّنوبِ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الخَمِيسِ؛ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً، إِلَّا رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**» رواه مسلم.

ولأهميَّةِ الصَّلاةِ وفضلِها وعظيمِ شرفِها كانت إقامتُها وأفعالٌ وأقوالٌ تسبِقُ أداءَها سببَ غُفرانِ الذُّنوب؛ فالأذانُ عبادةٌ قوليَّةٌ يوميَّةٌ مراراً يَحُطُّ اللهُ به الخطايا؛ بل ويُغفَرُ للمُؤذِّن مدَّ صوته، و«إذا قال المُؤذِّنُ: أشهد أنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ فقال من سمِعَه: وَأَنَا أَشْهَدُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلَامِ دِيناً؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُه» رواه مسلم. و«مَنْ أحسنَ الوُضوءَ خرجَتْ ذنوبُه مع قَطْرِ الماء أو معَ آخرِه، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لله، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّه» رواه مسلم. و«لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ فَيُحْسِنُ الوُضُوءَ فَيُصَلِّي صَلَاةً، إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي تَلِيهَا» متفق عليه. وخُطواتُ المشيِ إلى الصَّلاة إحداهُما تحُطُّ خطيئةً والأُخرى ترفعُ درجةً. وإسباغُ الوُضوءِ على المكارِه، وكثرةُ الخُطى إلى المساجِد، وانتظارُ الصَّلاة بعد الصَّلاة؛ تمحُو الخطايا وترفعُ الدَّرجات.

ومن أتى المسجدَ ينتظرُ الصَّلاةَ تعرَّضَ لنفحاتِ الله؛ بدُعاءِ الملائكةِ له بالمغفرةِ والرَّحمة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَ يَنْتَظِرُهَا، وَلَا تَزَالُ المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا كَانَ فِي المَسْجِدِ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ**» رواه البخاري. قال

ابن بطَّالٍ رَحِمَهُ اللهُ: «فمن كان كثيرَ الذُّنوبِ وأراد أن يَحُطَّها الله عنه بغيرِ تعبٍ؛ فليغتنِم مُلازمةَ مكان مُصلَّاه بعد الصَّلاة ليستكثِرَ من دُعاء الملائكة واستِغفارِهم له».

وإذا أمَّنَ الإمامُ بعد قراءةِ الفاتحةِ وأمَّن المأمومُ؛ فـ «**وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلَائِكَةِ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» متفق عليه. و«إِذَا قَالَ الإِمَامُ سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، وقَال المأْمومُ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلَائِكَةِ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» متفق عليه.

وأقوالٌ بعد الصلاة تُكفِّرُ الخطايا؛ فـ «**مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ المِئَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**» رواه مسلم.

والصَّلواتُ الخمسُ تحُطُّ السَّيِّئات، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟** قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: **فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا**» متفق عليه.

وفي كلِّ أسبوعٍ عبادةٌ تُكفِّرُ صغائرَ الذُّنوب، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ؛ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى**» رواه البخاري.

وصومُ رمضان يُكفِّرُ ما بينه إلى رمضان المُقبِل إذا تُركت المُوبِقات، «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه**» رواه البخاري. وصومُ يومِ عرفةَ يُكفِّرُ السَّنةَ الماضيَةَ والباقية، وصيامُ عاشوراء يُكفِّرُ السَّنةَ الماضية. والصَّدقةُ تُكفِّرُ الخطايا، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**والصَّدقةُ تُطفِئُ الخطيئةَ كما يُطفِئُ الماءُ النَّارَ**» رواه الترمذي. والحجُّ يمحُو الذُّنوبَ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ حجَّ فلم يرفُثْ ولم يفسُقْ؛ رجعَ كيومَ ولدَتْه أمُّه**» متفق عليه.

ومِنْ فَضْلِ الله على المُؤمن: أنَّ أقوالَه وأعمالَه الصَّالحةَ إن قصُرَت به فإنه يُكفِّرُ عنه ذنوبَه بما يُصيبُ قلبَه من الهموم والأحزان والغموم، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ما يُصيبُ المُسلِمَ مِنْ هَمٍّ ولا حزنٍ ولا أذىً ولا غمٍّ، إلا كفَّر الله بها من خطاياه**» متفق عليه. و«**الأمرُ بالمعروفِ، والنَّهيُ عن المُنكر، والصَّلاةُ، والصَّدقةُ، والصَّومُ؛ تُكفِّرُ فتنةَ الرَّجلِ في أهلِه ومالِه وولدِه**» متفق عليه.

والأعمالُ الصَّالحةُ المُطْلَقَةُ بأنواعِها ـ كتلاوةِ القرآن، وبرِّ الوالدين، وصِلةِ الأرحام ـ تُكفِّرُ السَّيِّئات، قال جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هُود: ١١٤]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**وأَتْبِعِ السَّيِّئةَ الحسَنةَ تَمْحُهَا**» رواه الترمذي.

وتكرَّم الله بأقوالٍ لم تُقيَّدْ بزمنٍ تُكفِّرُ الآثام؛ فـ «**مَنْ قال: سبحانَ الله مئةَ مرة؛ كُتِبَتْ له ألفُ حسنة، أو حُطَّتْ عنه ألفُ خطيئة**» رواه مسلم. وكلماتٌ من الأذكار تَغفِرُ الذُّنوب؛ فـ «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي**

يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ» متفق عليه.

وشرَعَ الله أفعالاً غيرَ مُقيَّدةٍ بزمنٍ تُغفَرُ بها الذُّنوب؛ فالعُمْرةُ إلى العُمرةِ كفَّارةٌ لما بينهما. والإحسانُ إلى الخلق يَحُطُّ الخطايا؛ فـ «**بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَسَقَتْهُ؛ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ**» متفق عليه. والعفوُ والصَّفحُ يغفِرُ الذُّنوب، قال سبحانه: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ﴾ [النُّور: ٢٢].

وتكرَّم اللهُ على عبادِه بمغفرةِ ذنوبِ مجالسِهم بأقوالٍ يسيرةٍ يقولونها قبلَ أن يقوموا منها، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ كَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، ثُمَّ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ؛ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِك**» رواه النَّسائي.

والطَّعامُ مُتعةٌ وقوَّةٌ للأبدان، وإذا شكَرَ المُسلمُ ربَّه عليه؛ غُفِرَت ذنوبُه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ أَكَلَ طَعَاماً ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه**» رواه أبو داود.

وإنْ أصابَ الجسدَ مشقَّةٌ أو جَهدٌ أو شِيكَ بشوكةٍ، أو نحوَ ذلك، كانت حطّاً لمعاصِيه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذىً وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا؛ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**» متفق عليه. والمرضُ كفَّارةٌ للمريض، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذىً ـ مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ ـ؛ إِلَّا حَطَّ اللهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**» متفق عليه.

ومجالِسُ الذِّكرِ تَحُطُّ الأوزار، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ ـ مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قال: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَك، ثُمَّ يَقُولُ الرَّبُّ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قدْ غَفَرْتُ لَهُمْ**» متفق عليه.

والدُّعاءُ الصَّادقُ سببُ مغفرةِ الذُّنوب، قال الرَّبُّ ﷻ: «**يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**» رواه مسلم. والثُّلُث الأخيرُ من كلِّ ليلةٍ مظِنَّةُ غُفرانِ الذُّنوب؛ إذ «يَنْزِلُ ربُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا في الثُّلُثِ الأخيرِ من اللَّيل، فيقولُ: مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟!» متفق عليه. وما دعا سبحانه عبادَه ليستغفروهُ إلا ليغفِرَ لهم.

والتَّوبةُ تمحُو جميعَ الذُّنوبِ ـ الشِّركَ فما دونَه ـ وليس شيءٌ سبباً لغُفرانِ جميعِ الذُّنوبِ سِوَاها، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٥٣]. وخيرُ أيَّامِ العُمُر: يومُ التَّوبة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام لكعبٍ ـ لما نزلَتْ توبتُه ـ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّك**» رواه مسلم؛ بل إنَّ العبدَ إذا تابَ لم يُؤاخَذْ بِجَريرَةِ ذنبِه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ تَابَ اللهُ عَلَيْه**» رواه مسلم. قال ابنُ أبي العِزِّ رحمه الله: «وَكَوْنُ التَّوْبَةِ سَبَباً لِغُفْرَانِ الذُّنُوبِ وَعَدَمِ المُؤَاخَذَةِ بِهَا، مِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الأُمَّة».

وبعدُ؛ أيُّها المُسلِمون:

فللخطيئةِ أثرٌ على البَدَن والمالِ والولَد، والعبدُ بحاجةٍ إلى مَحْوِ خطاياه في اليومِ واللَّيلة، والنِّعَمُ تزولُ بالذُّنوبِ، والنِّقَمُ تَحُلُّ بالخطايا، «**الحَجَرُ الأَسْوَدُ نَزَلَ مِنَ الجَنَّةِ وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ؛ فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ**» رواه الترمذي. واللهُ غفورٌ رحيم، نوَّع لخلقِه مُكفِّراتٍ يطرُقُونها كلَّ حينٍ لتُغفَرَ لهم الزَّلَّات، وما تقرَّبَ أحدٌ إليه سبحانه إلا دنا منه، والسَّعيدُ من تعرَّضَ لنفحَاتِ الله ومغفرتِه في يومِه وليلتِه.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أن نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الذَّنبُ قبيحٌ، وأقبحُ منه عدمُ التَّوبةِ والاستِغفار، ومَنْ طرقَ بابَ التَّوبةِ وجدَه مفتوحاً، ومِنْ صفاتِ الله المغفرَةُ والعفوُ والسِّتر، والله يفرحُ بتوبة التَّائب إليه، ويُبدِّلُ سيِّئاتِه حسنات، وتركُ الذَّنبِ أيسرُ من طلبِ التَّوبة، وقد يخفَى أثرُ الذَّنبِ عنِ الخلقِ لكنَّ اللهَ يعلمُه، وقد يظهرُ أثرُه على حياةِ العبدِ في شِقْوتِه وهمِّه وكبَدِ حياته.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاةِ والسَّلامِ على نبيِّه ...

نهاية العام

الحمد لله مصرِّفِ الأيَّام والشُّهور، ومدبِّرِ الأوقاتِ والدُّهور، ومُفْنِي الأعوامِ والعصور، أحمده سبحانه على ما أولى من النِّعم، وأشكره تعالى على ما دفع من النِّقم، وأشهد ألا إله إلا وحده لا شريك له المتفرِّدُ بالكمالِ والدَّوام، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه أفضلُ الأنام، صلَّى الله عليه وعلى أصحابه هُداةِ الأنام ومصابيحِ الظَّلام، صلاةً وسلاماً دائمَيْن إلى يوم الحشرِ والمُقام.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فإنَّ مَنْ أطاعه نجَّاه، ومن أقبَلَ إليه أرضاه، ومن شَكَرَهُ جازاه.

أيُّها المسلمون:

اللَّيلُ والنَّهار يقرِّبان كلَّ بعيدٍ، ويَخْلِقان كلَّ جديد، ويأتيان بكلِّ موعود، والمؤمنُ بين مخافتين: أجلٍ قد مضى لا يدري ما الله صانعٌ فيه، وأجلٍ قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه، وفي مطلِع العام تُستَفتح صفحاتٌ بيضاءُ لا يدري العبد ما يسطِّر فيها، يغدو ويروح إلى أجلٍ قد غُيِّب عنه علمُه.

وفي مراحلِ العمر وتقلُّبات الأيَّام وقفاتٌ يحاسب فيها الحصيفُ نفسه؛ فيستثْقلُ ذنبَه، ويستغفرُ ربَّه، ويراجع أعمالَه، فمن الخيرِ يزداد، وعن التَّقصير يقلع، ولا يزال العبد على هدىً ما كان له واعظٌ من نفسه وكانت المحاسبةُ من همَّته، فمن راجع نفسَه ربح، ومن غفل عنها خسر، قال الحسن البصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما يَثْقُلُ الحسابُ يومَ القيامة على الذين جازفوا الأمور فأخذوها من غير محاسبة؛ فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيلَ الذَّرّ».

وإنَّ عمُراً ينقضي مع الأنفاس لَسريعُ الانصِرام. وحوادثُ الدَّهر كثيرة، وعبرُ الأيام جَمَّة، مدائنُ تُعمَّرُ وأخرى تدمَّر، يصبحُ ابنُ آدم معافىً في صحته ثمَّ يُمسي بين أطباق الثَّرى. إنَّها الدُّنيا! العيشُ فيها مذموم، والسُّرور فيها لا يدوم، تغيِّرُ صفاءَها الآفاتُ، وتكثرُ فيها الرَّزايا، ولا يعرف حقيقتَها بصفوها وكدرها إلا المحاسبُ نفسه.

القلوبُ لا يحييها إلا الإقبالُ على اللهِ ولا يَلُمُّ شَعَثَهَا إلا حفظُ الجوارح واجتنابُ المحرَّمات واتِّقاءُ الشُّبهات والتَّعلُّقُ الدَّائم بالله عَزَّ وَجَلَّ، قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ قلوبَ بني آدم كلَّها بين أصبعين من أصابع الرَّحمن عَزَّ وَجَلَّ؛ كقلبٍ واحدٍ يصرِّفه حيث شاء**» رواه مسلم، ولا ينفع عند الله إلا القلبُ السَّليم ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٨-٨٩]، أما القلبُ الميِّتُ فقد قُبِرَ في جسده لا تُؤْلِمُه جراحات المعاصي، ولا يوجعه جهل الحق.

إنَّ تغيُّرَ الأحوال، وانقضاءَ الآجال، وانقطاعَ الأعمال والآمال، وما يحدث من الفواجع والأهوال، كلٌّ ذلك مما يشعر بعجز المخلوق وضَعْفِه

وشدةِ افتقاره إلى بارئه؛ فالدُّنيا محفوفةٌ بالأنكادِ والأكدار، والشُّرورِ والأخطار، مشحونةٌ بالمتاعب، مملوءةٌ بالمصائب، طافحةٌ بالأحزانِ والآلام، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البَلَد: ٤]. نعيمُها يزول، وعزيزُها يذِلّ، وسعيدُها يشقى، مُزِجتْ أفراحُها بأتراح، وحلاوتُها بمرارة، وراحتُها بتعب، لا يدومُ لها حال، ولا يطمئنُّ لها بال، فأيُّ امرئ سلِم فيها من الشِّدَّة والمشقَّة؟! وأيُّ امرئ لم تمسَسْه مصيبة؟!

إنَّ الإنسانَ معرَّضٌ فيها للأمراض والأعراض، عيشُها حقير، وزمانُها قصير، الأحوال فيها إما نعمٌ زائلة، وإما بلايا نازلة، وإما منايا قاضية، قيل لعليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: «صفْ لنا الدُّنيا؟ فقال: من صحَّ فيها ما أمن، ومن سقِم فيها ندم، ومن افتقر فيها حَزِن، ومن استغنى فيها فُتِن، في حلالِها حساب وفي حرامِها عقاب»، وقد ذكر الله حقيقتَها بقوله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحَديد: ٢٠].

حُبُّها رأسُ كلِّ فتنةٍ وخطيئة، وسببُ كلِّ معصيةٍ ورزيَّة، ومن عرف الدُّنيا حقَّ المعرفة لم يفرح فيها برخاء ولم يحزن على بلاء، والحياةُ بغير الدِّين تحفُّها المنغِّصات، وهي عند المؤمن دار ممرٍّ وابتلاء، وأسعدُ النَّاس بها أرغبُهم عنها، والهالكُ من رَغِبَ فيها، فإيَّاكم والاغترارَ بزهرتها، فقد اغترَّ قومٌ قبلَكم؛ فأوردتهم مواردَ العطَبِ والرَّدى، أبهرتهم بِرَوْنَقِها فما أفاقوا إلا وهم في عداد الموتى.

أيُّها المسلمون:

في انقضاءِ العامِ تذكُّرٌ بانقضاء العمر، وسرعةُ مرورِ الأيَّامِ تذكُّرٌ بقربِ الرَّحيل والنُّقلة، ومن ذكر الموتَ حقَّ ذكرِه حاسبَ نفسَه في عمله وأمانيه، وتوشك الأرضُ أن تُدَالَ منَّا كما أدَلْنا منها فتأكلَ لحومَنا، وتشربَ دمائَنا، كما مشينا على ظهرها وأكلنا من ثمارها وشربنا من مائها؛ فتأهَّبوا للموت الذي ما طلب أحداً فأعجزَه، ولا تحصَّنَ منه متحصِّن إلا أبرزه، ولا أمَّلَ مؤَمِّلٌ إلا قَصَره دون أملِه، قيل لعطاءِ السّلمي ـ في مرضه الذي مات فيه ـ: «كيف أنت؟ فقال: الموتُ في عنقي، والقبرُ في يدي، والقيامةُ موقفي، وجسرُ جهنَّمَ طريقي، ولا أدري ما يُفعل بي».

فأكثروا من ذكر الموت، فإنَّ ذكرَه نِعْمَ العونُ على الاستعداد، ونِعْمَ الباعثُ على التزوُّد للمعاد. وإيَّاكم والاغترارَ بالسَّلامةِ والإمهال، ومتابعةَ الأمانيِّ الكاذبة، وكلُّ عملٍ كرِهْتَ الموتَ من أجله؛ فاترُكْه ثم لا يضرُّك متى ما مت.

فمهِّدوا لأنفسكم قبل أن تعذَّبوا، وتزوَّدوا للرَّحيل قبل أن تندموا؛ فإنما هو موقفُ عدل، واقتضاءُ حقٍّ، وسؤالٌ عن جواب، وخيرُ الزَّاد ما صحبَه التَّقوى، وخيرُ العمل ما تقدَّمه صالحُ النِّيَّة، وأعلى النَّاس عند الله منزلةً أخوفُهم منه.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا اللهَ تعالى وأطيعُوه؛ فإنَّ طاعتَه هي أقومُ وأقوى، واحذَرُوا أسبابَ سخطِ الجبَّار؛ فإنَّ أجسامَكم على النَّار لا تَقْوَى، واعلموا أنَّكم لم تُخْلَقُوا عبثاً ولن تُترَكُوا سدى؛ بل خُلقتم لأمرٍ عظيم، وهُيِّئْتم لخطبٍ جسيم، وما بينكم وبين ذلك إلا الموت، وليس لكم منه بدٌّ ولا فوت، إن أقمتم له أخذكم، وإن هربتم منه أدرككم، وإن تخطَّاكم لغيركم فسيتخطَّى غيرَكم إليكم، فإمَّا إلى خيرٍ لا شرَّ معه أبداً، وإمَّا إلى شرٍّ لا خيرَ معه أبداً، واعلموا أنَّكم غداً بين يدي الله موقوفون، وبأعمالكم مَجزيُّون، وعلى تفريطكم نادمون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢٧].

والمعاصي تُفسدُ الدِّيارَ العامرة، وتزيلُ نعماءَها، وتورثُ الخزيَ في الدُّنيا والآخرة؛ فاحذروا سوء عقباها، ولا تغترُّوا بدار الغرور، وحاسبوا أنفسكم؛ فما كان من طاعة الله فاستقيموا عليه، وما كان من معصية الله فانزعوا عنه، واعلموا أنَّ التَّوبةَ مبسوطة، وأنَّ تركَ الذَّنبِ أيسرُ عليكم من

طلب التَّوبة، ولا تَدَعُوا ذنباً يُخْلِفُ ذنباً، والعملُ الصَّالحُ ثوابُه الجنَّة؛ فأدْلِجُوا في السَّير إليها، وعملُ السُّوءِ متوعّدٌ عليه بالنَّار؛ فاجتهدوا في الهرب منها، وبادروا بالتَّوبة الصَّادقة وزكُّوا النُّفوس؛ فالحياةُ ميدانٌ فسيحٌ لصالح الأعمال.

وهأنتم تزدَلفون إلى عامٍ جديد، وقد ودَّعتم عاماً من عمركم مضى بما أودعتموه من عمل، والسَّعيدُ من استودع مدَّة عمُره صالحاً من عمله، والشَّقيُّ من شهدت عليه عمُره بقبيح زلَلِه؛ فاحفظوا أيَّام أعماركم قبل خُلوِّكم في قبوركم، واغتنموا أيام حياتكم قبل الفوات، وأكرموا نُزُلَ عامكم الجديد بالطَّاعاتِ والقرباتِ والبعد عن السَّيئات.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

بداية العام

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عِبادَ الله ـ حقَّ التَّقْوَى، وراقِبوه في السِّرِّ والنَّجْوى.

أيُّها المسلِمون:

اللَّيالي والأيَّامُ خزائنُ الأعمال ومراحلُ الأعمار، تُبْلِي الجديدَ وتُقرِّبُ البعيد، أعوامٌ تترى، وأجيالٌ تتعاقب على دربِ الآخرة، فهذا مُقْبلٌ وذاك مُدْبِر، وهذا صحيحٌ وآخَرُ سقيم، والكلُّ إلى الله يسير، أيَّامٌ تمرُّ على أصحابِهَا كالأعوام، وأعوامٌ على أصحابِهَا كالأيَّام، وفي سَيرْها عِبرةٌ ومُدَّكَّرٌ للجميع، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النُّور: ٤٤].

وقد ودَّع النَّاسُ عاماً من أعمارِهم استَوْدَعُوا فيه أعمالَهُم، تُنْشَر يومَ الحشرِ أمامَهم ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القِيَامَة: ١٣]؛ فطوبى لعبدٍ انتفعَ بعمُره فاستقبَلَ عامَه الجديدَ بمحاسبةِ نفسِه على ما مضى، ووقَفَ مع نفسِه

وقفةَ حسابٍ وعِتاب، يصحِّحُ مسيرتَهَا، ويتداركُ زلَّتَها، يتصفَّحُ في ليلِه ما صدرَ منه من أفعالِ نهارِه.

وصلاحُ القلبِ بمحاسبةِ النَّفس، وفسادُه بإهمالِهَا، قال ابن حبَّان رَحِمَهُ اللهُ: «أفضلُ ذوي العُقولِ منزلةً أدوَمُهم لنفسِهِ محاسبة»، وغيابُ محاسبةِ النَّفسِ نذيرُ غَرَقِ العبدِ في هواه، وما أَرْدَى الكفَّارَ في لُجَجِ العَمى إلا ظَنُّهُم أنهم يَمْرَحُون كما يَشْتَهُونَ بلا رقيب، ويفرَحُون بما يَهْوَوْن بلا حسيب، قال سبحانه عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النَّبإ: ٢٧].

والاطِّلاعُ على عيبِ النَّفسِ ونقائِصِهَا يُلجِمُها عنِ الغَيّ، ومعرفةُ العبدِ نفسَه وأنَّ مآلَهُ إلى القبر؛ يُورِثُه تذلُّلاً وعبوديةً لله، فلا يُعْجَبُ بِعَملِهِ مَهْمَا عَظُم، ولا يحتقرُ ذنباً مَهْمَا صَغُر، والتَّعرُّفُ على حقِّ اللهِ وعظيمِ فضلِهِ وآلائِهِ يُطَأْطِئُ الرَّأسَ للجبَّارِ جلَّ وعلا، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «بدايةُ المحاسبة: أنْ تُقايِسَ بين نعمتِه عَزَّ وَجَلَّ وجنَايَتِك؛ فحينئذٍ يَظْهرُ لكَ التَّفاوت، وتعلمُ أنَّه ليسَ إلا عفوُه ورحمتُه أو الهلاكُ والعَطَب». وتفقُّدُ عيوبِ النَّفسِ يُزكِّيهَا ويُطَهِّرُها، قال جلَّ وعلا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشَّمس: ٩-١٠].

وإنَّ أضَرَّ ما على المكلَّف: إهمالُ النَّفسِ وتركُ محاسبتِهَا والاسترسالُ خَلْفَ شهواتِهَا حتى تهلَك، وهذا حالُ أهل الغرور الذين لا يَحْترِزُون من الوقوع في المعاصي، ويتَّكِلون على العفوِ والرَّحمة، وإذا فعلوا ذلك سَهُلَتْ عليهِم مُوَاقَعَةُ الذُّنوب وَصَغُرَ في أعينِهم وَبالُهَا، والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] قال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ اللهُ: «لا يليقُ بالمؤمنِ إلا أنْ يعاتِبَ نفسَه، وأما الفَاجرُ فيَمضِي قُدُماً لا يُعاتِبُ نفسَه».

والمؤمنُ قوَّامٌ على نفسِه يحاسبُها، قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. وإنَّما خَفَّ الحسابُ على قومٍ حاسبُوا أنفسَهُم في الدُّنيا، وشقَّ الحسابُ على قومٍ أَخذُوا هذا الأمرَ من غيرِ محاسبة؛ فَتَوَقَّ الوُقوعَ في الزَّلَّة، فتَرْكُ الذَّنبِ أَيسرُ منْ طلبِ التَّوبة.

وأَنِّبْ نفسَك على التَّقصيرِ في الطَّاعات، فالأيَّامُ لكَ لا تدوم، ولا تعلمُ متى تكونُ عن الدُّنيا راحلاً، وخاطِبْ نفسَك ماذا قدَّمتَ في عامٍ أدبر؟! وماذا أعددْتَ لعامٍ أَقْبَل؟! قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا».

وعاهِدْ نفسَكَ في مَطْلِعِ هذا العامِ على المحافَظَةِ على الصَّلواتِ الخمْسِ في المساجدِ جماعةً مع المسلمين، والتَّزوُّدِ من العِلمِ النَّافعِ والسَّعيِ في نشرِه وتعليمِه، وحفظِ اللِّسان عن المحرَّمات ـ من الكذبِ والغيبةِ والفُحش ـ، وعليكَ بالوَرَعِ في المطاعمِ والمشارب، واجتنابِ ما لا يَحِل. واحرصْ على برِّ الوالدينِ وصلةِ الأرحام، وبذلِ المعروفِ للقريبِ والبعيد، وتَطهيرِ القلبِ من الحسدِ والعداوةِ والبغضاء. واحذرِ الوقوعَ في أعراضِ المسلمِين، واجتهدْ بالقيامِ بشعيرةِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكر، وأداءِ حقوقِ الأولادِ والزَّوجةِ على الوجهِ الأكمل، وغُضَّ البصرَ عن النَّظرِ إلى المحرَّمَاتِ في الطُّرقاتِ أو الفضائيات.

وما أجملَ أن يكونَ العامُ الجديدُ مُنْطَلقَ إصلاحٍ في المجتمعات، تحافظُ فيه النِّساءُ على حجابِهِنّ، ويلتزمْنَ بالسِّترِ والحياءِ امتثالاً لأمرِ الله، واتِّباعاً لسنَّةِ النَّبيِّ ﷺ، واقتفاءً بِسِيَرِ الصَّحابيَّات والصَّالحات.

فَطُوبى لعبدٍ انتفَعَ بعمُره؛ فاستقْبلَ عامَه بمحاسبةِ نفسِه على ما مضى، فكُلُّ يومٍ تَغْرُبُ فيه شمسُه يُنذِرُكَ بنُقصَانِ عُمُرِك، والعاقلُ من اتَّعظَ بأَمْسِهِ واجتَهَد في يومِه، واستعدَّ لغَدِه، فخُذِ الأُهْبَةَ لِآزِفِ النُّقْلَة، وأَعِدَّ الزَّادَ لقُرْبِ الرِّحلَة، وخَيرُ الزَّادِ ما صَحِبَه التَّقوى، وأعْلى النَّاسِ عندَ الله منزلةً أخوفُهم منه.

أعوذُ بالله من الشَّيطانِ الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحَمدُ لله علَى إحسَانِه، والشُّكرُ لَه علَى تَوفِيقِه وامتِنانِه، وأَشهَد أَلَّا إلهَ إلَّا الله وَحدَه لا شَريكَ لَه تعظيماً لشَأنه، وأَشهَد أنّ نبيَّنا محَمّداً عبدُه ورَسولُه، صلّى الله عَلَيه وعلَى آلِه وأصحَابه وسلّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

نصيبُ الإنسانِ من الدُّنيا عمُرُه، فإنْ أحسنَ اغتنامَه فيما ينفعُه في دارِ القرارِ فقد ربحتْ تجارَتُه، وإن أساءَ اغتنامَه وأكثرَ من المعاصي والسَّيئات بَارَتْ بِضَاعَتُه، والموفَّقُ من حَاسَبَ نفسَه قبلَ أنْ يحاسبَه الله، واغتنمَ وقتَه وعرَفَ دواءَه من دائِه، ولم يُهْمِلْ فيُهْمَل. والخيرُ في الطَّاعة والشَّرُّ في المعصية.

والحياةُ ميدانٌ فسيحٌ لِصالحِ الأعمال، والتَّسويفُ لا يُورِثُ سوى النَّدَم، والتَّوبَةُ تَمْحُو الزَّلَّة، وهأنتم تَزْدَلِفُونَ إلى عامٍ جديدٍ وقد ودَّعَتم عاماً من عُمُرِكُم مضى بما أودعتُمُوه من عمل، والسَّعيدُ من اسْتَودَعَ مدَّةَ عُمُره صالحاً منْ عملِه، والشَّقيُّ مَن شَهَدتْ عليه جوارِحُه بقبيحِ زلَلِـه؛ فاحفَظُوا أيَّامَ أعمارِكُم قبلَ تَفرُّدِكُم في قبورِكُم، واغتنِمُوا أيَّامَ حياتِكم قبلَ الفوات، وأكرمُوا نُزُلَ عامِكمُ الجديدَ بالطَّاعات.

ثُمَّ اعلَمُوا أنّ اللهَ أَمرَكم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

عامٌ جديد

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى هي النَّجاةُ غداً، والزَّادُ أبداً.

أيُّها المسلمون:

في مُرورِ الشُّهورِ والأعوامِ عبرةٌ وعِظَة، وفي طلوعِ الشَّمسِ وغروبِها إيذانٌ بأن هذه الدُّنيا شروقٌ ثم أُفول، أيامٌ تَزول، وأجيالٌ تتعاقَبُ على دربِ الآخرة، هذا مُقبلٌ وذاك مُدبِر، وهذا شقيٌّ وآخرُ سعيد، وكلٌّ إلى الله يسير، والزَّمانُ وتقلُّباتُه أبلغُ الواعِظين، والدَّهرُ بقوارِعه أفصحُ المُتكلِّمين، ولئن طالَت الحياةُ بأحزانِها، أو مضَت بأفراحِها؛ فغايتُها الفناء. والنَّاسُ يعيشون في آخرِ مراحلِ الدُّنيا، نظرَ النَّبيُّ ﷺ إلى الشَّمسِ عند غروبِها فقال: «**لَمْ يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ**» رواه أحمد.

والوقتُ ثمينٌ بلحَظاته، ويزيدُ نفاسةً إذا لم يبقَ منه سوى اليسير، واللهُ

أقسمَ به فقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العَصر: ١-٢]، ومن النَّاسِ من كتبَ الله له فُسحةً في العُمر، ومنهم من يخطَفُه الأجلُ سريعاً، وخيرُ الناس من عاشَ في لحَظاتها ليرتقِيَ بها في آخرتِه، قال رجلٌ للنَّبيِّ ﷺ: «أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قال: **مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ**، قال: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قال: **مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ**» رواه أحمد.

والنَّاسُ في حياتهم منهم من قَصَرَها على معاشِه دون معادِه، ومنهم من عَمَرَ آخرتَه فيها فأدَّى ما أمرَهُ الله به واجتنبَ ما نهاه عنه، ومنهم من خلَطَ عملاً صالحاً بآخر سيئاً من غفلةٍ واتِّباعِ هوى، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا**» رواه مسلم.

واللهُ ﷻ أقسمَ أحدَ عشرَ قسماً بأنَّ المُفلِحَ هو من زكَّى نفسَه، وأنَّ الخاسرَ من أوقعَها في المعاصي، فقال: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا * وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا * وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا * وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا * وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا * وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشّمس: ١-١٠].

والحياةُ مليئةٌ بالمِحَن والفِتن، وقد يكبُو المرءُ في زلَّاتها من حيث لا يشعُر، ومِن دُعاء النَّبيِّ ﷺ: «**وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**» رواه مسلم، وكلما دنَت الحياةُ من الزَّوَالِ لاحَت فتَنُها وظهَرَت شُرُورُها، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا**» رواه مسلم.

ويَزدادُ البلاءُ عاماً بعد عام، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْه**» رواه البخاري.

وإذا ابتعَدَ الناسُ عن الله ولم يمتثِلوا أوامرَه ووقعُوا في نواهيه

اضطرَبَت أحوالُهم ومعايِشُهم؛ إذ الذُّنوبُ مُذهِبَةٌ للنِّعَم مُزيلةٌ لأمنِ النفوسِ والبُلدان، قال عَجَلَّ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النّحل: ١١٢]. وأعظمُ بُعدٍ عن الله: التَّوجُّه إلى غيره بالدُّعاء والاستغاثةِ والنُّذور وغيرها، قال عَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [آل عِمران: ٥٦]، فمن أشركَ بالله استحقَّ العذابَ الشَّديدَ في الدُّنيا ـ من الفقرِ وقلَّةِ المالِ والمرضِ وفقدِ الأمنِ وغيرِ ذلك ـ، وله في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ. وإذا جاهَرَ العبادُ بالمعاصي عظُمَ خطرُها، وأذِن الرَّبُّ بالعقوبةِ بسببِها، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافى؛ إِلَّا المُجَاهِرِينَ**» رواه البخاري.

ومن الفتنِ: تقديمُ العقلِ والهوى في النَّوازِلِ وغيرِها، ونبذُ الكتابِ والسُّنَّةِ لتحقيقِ الأعمالِ والآمال، قال عَجَلَّ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النِّسَاء: ٨٣]. وما من نازلةٍ إلا ولها أصلٌ في الكتاب والسُّنَّة، قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النّحل: ٨٩]، ولن يُصلِحَ ما حَلَّ بهذه الأُمَّةِ من اضطرابٍ وفوضَى وكُروبٍ إلا برجوعِها إلى ربِّها، قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ [الأنعام: ٤٣].

ومن لازمَ الاستغفارَ جعل الله له من كلِّ همٍّ فرَجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرَجاً، ومن كلِّ بلاءٍ عافية، وإذا ألمَّت بالنَّاسِ مُصيبةٌ فَعليهم أن يُراجِعوا أنفسَهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ [الرّعد: ١١]. والحاذِقُ

لا ينظرُ إلى كثرةِ المُذنِبين؛ فإنَّ اصطفاءَ الله لك بالسَّلامةِ من المعاصِي يُوجِبُ عليك التَّمسُّك بهذه النِّعمة؛ إذ أضلَّ غيرَك وهداك.

وعلى المرءِ أن يُحاسِبَ نفسَه في كلِّ حينٍ: ماذا قدَّمَ لآخرته، وماذا عمِلَ لرِضَا الرَّحمن عنه؛ ليسألَ نفسَه عن فرائضِ الإسلام وعن أدائها، وعن حقوق المخلوقين والتَّخلُّصِ منها، وعن مالِه كيف جمعَه وفيمَ أنفقَه؟! خطبَ أبو بكرٍ رضي الله عنه في الناس فقال: «إنَّكم تغدُون وتروحون إلى أجلٍ قد غُيِّبَ عنكم علمُه، فإذا استطعتُم ألا يمضِيَ هذا الأجلُ إلا وأنتم في عملٍ صالحٍ فافعلوا».

وليست الغِبطةُ بكثرةِ السِّنينَ والنِّعَم، إنما الغِبطةُ بالشُّكرِ وكثرةِ العملِ الصَّالحِ والإخلاص؛ فعُمُرُ الإنسان عملُه، قيل لنوحٍ عليه السلام ـ وقد لبِثَ في قومه ألفَ سنةٍ إلا خمسين عاماً ـ: «كيف رأيتَ هذه الدُّنيا؟ فقال: كداخلٍ من بابٍ وخارجٍ من آخر». فاحذروا الدُّنيا وتقلُّباتها؛ فجمعُها عناء، ونعيمُها ابتلاء، واغتنِموا ما بقِيَ لكم من النِّعمِ الخمس ـ الشبابَ قبل الهرَم، والصِّحَّةَ قبل المرض، والغِنَى قبل الفقر، والفراغَ قبل الشُّغل، والحياةَ قبل الموت ـ.

والمُحاسبةُ الصَّادقةُ ما أورثَتْ عملاً صالحاً، وتحوُّلاً عن المعصية، ومن غفلَ عن نفسه تصرَّمَت أوقاتُه واشتدَّت عليه حسَراته؛ فاستدرِكوا ما فاتَ بما بقِي، ومن أصلحَ ما بقِيَ غُفِر له ما مضى.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِهِ وامتِنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

المُحسِنُ من كان يومُه خيراً من أمسِه، وغدُه خيراً من يومه، واغتنَمَ الحياةَ بما يُقرِّبُه إلى مولاه، وشغلَها بالطَّاعات، ونأَى بها عن السَّيِّئات، واتَّعَظَ بما فيها من تقلُّبات الأمور والأحوال، وكان حذِراً من الاغتِرار بالسَّلامةِ والإمهالِ والآمال؛ فما أساءَ أحدٌ العملَ إلا من التَّسويفِ وطولِ الأمل.

ومن أصلَح ما بينه وبين ربِّه كفاه ما بينه وبين النَّاس، ومن صدقَ في سريرته حسُنَت علانيتُه، والعبدُ إذا أنابَ إلى الله مما اجترحَ من السَّيِّئات والتمسَ عفوَه ورِضاه، وطمِع في واسع رحمته وعطاياه؛ أعطاه الرَّبُّ بإذنه فوقَ ما يتمنَّاه.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه . . .

مكانةُ المسلم عند الله

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عبادَ الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى في اتِّباعِ الهدى، والعمَى في اتِّباع الهوى.

أيّها المسلمون:

خلقَ اللهُ آدمَ بيدَيْه وأَمرَ الملائكةَ بالسُّجودِ له؛ فسجدوا إلّا إبليسَ أبى واستكبرَ وكان من الكافرين، فاستحقَّ الإبعادَ من رحمة الله، وسنّةُ الله في خلقه: أنَّ من أطاعَ ربَّه واتَّبع رسلَه؛ فاز بالسَّعادة في الدَّارَيْن، ومن عصى واستكبرَ ولم يتَّبعِ المرسَلين؛ كان من الأشقِياء الهالكين، قَالَ سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

وقد أعلا اللهُ مكانَةَ المؤمنين الموحِّدين؛ فأمر الملائكةَ بالدُّعاء لهم ولِذُرِّيَّاتهم وزَوجَاتهم، قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا

فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٧-٨].

ودَعا الأنبياءُ لِكلِّ مؤمِنٍ ومؤمنةٍ بالمغفرة، فقال نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نُوح: ٢٨]، وقال الله لنبِيِّنا محمّدٍ ﷺ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾ [محَمَّد: ١٩].

وأحبَّ الله المؤمنَ وقرَّبه إليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التّوبَة: ٤]، وأيَّده ونصرَه ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٧]، وهو سبحانه مع المؤمنين بالتّأييد والتّثبيت ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ﴾ [الأنفَال: ١٢]، وأنزل جنوداً من السَّماء لنُصرتِهم ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفَال: ٩]، وقلَب نِعَماً في الأرض نِقماً على أعداء المسلمين؛ فجعل نسيمَ الرِّياح ريحاً صَرصَراً على من عاداهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ﴾ [الأحزَاب: ٩]، والله يرمِي سَهمَهم ويسدِّد نَبْلَهم ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ [الأنفَال: ١٧]، وهو الذي يكشِف كُربَهم ويهدِيهم في الشَّدائد ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ [العَنكبوت: ٦٩]، وهو الذي ينتصِر لهم على عدوِّهم، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**قال الله ﷻ: من عادى لي ولياً؛ فقد آذنته بالحربِ**» رواه البخاري.

وجعَلَ لهم المودَّةَ والمحبّةَ والقبولَ في قلوب العباد، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مَريَم: ٩٦]،

ويثبِّتُ اللهُ أقدامَهم ويُسدِّدُ أقوالَهم ويَرْبِطُ على قلوبهم ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

والله يتولَّى حِفظَ ذرّيّةِ المسلمِ ونسلِه ـ ولو بعد قرون ـ بِبَركة عملِه الصَّالح ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢]، والمؤمنُ موعودٌ بالحياةِ الطَّيِّبة ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النّحل: ٩٧]، وجعل سبحانه أعمالَ المسلم في حياته وبعد مماته مُباركة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا يغرِسُ المسلمُ غرساً ولا يزرَع زرعاً، فيأكُلُ منه إنسانٌ ولا دابّة ولا شيء؛ إلّا كانت له صَدقةً إلى يوم القيامة**» رواه مسلم.

والقُرْبُ من المؤمنِ خير، وزيارتهُ من أجلِّ العبادات، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إذا زَارَ المسلِمُ أخاه في الله أو عادَه، قال الله ﷻ: طِبتَ وتبوَّأتَ من الجنّة مَنْزِلاً**» رواه أحمد، وبياضُ لحيتِه ورأسِه ضياء؛ فنهى النَّبيُّ ﷺ عن نَتْفِ الشَّيْبِ وقال: «**إنَّه نورُ المسلم**» رواه الترمذي.

وجميعُ أحوالِه وتقلُّباتِه في الدُّنيا ـ من الأحزانِ والأفراحِ ـ خَيرٌ له، قال النَّبيُّ ﷺ: «**عَجباً لأمرِ المؤمِن، إنَّ أمرَه كلَّه خير، وليس ذلك إلا للمؤمن؛ إن أصابَته سرَّاءُ شكَرَ فكان خيراً له، وإن أصابَته ضرَّاءُ صَبر فكان خيراً له**» رواه مسلم. وأعمالُه الصَّالحة مُضاعَفة، ومصائبُه مكفِّرةٌ لسيِّئاته، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ما من مصيبةٍ تصيب المسلمَ؛ إلا كفَّر الله بها عنه، حتى الشَّوكةُ يُشاكُها**» متفق عليه، ومرضُه ذُخرٌ له عند ربِّه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَرضُ المسلم يُذْهِبُ الله به خطاياه، كما تُذهِبُ النَّارُ خَبَثَ**

الذَّهبِ والفضَّة» رواه أبو داود، وعينَاه إنْ فَقَدَهما عوَّضه عنهما الجنَّة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**قال الله ﷻ: مَن أذهبتُ حَبِيبَتَيْه فصَبرَ واحتسَب؛ عوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّة**» رواه البخاري، وجَسدُه طاهرٌ حيّاً وميِّتاً، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ المسلمَ لا يَنْجُس**» متفق عليه.

ولا يُغسَّل أحدٌ من ذرّيّة آدم بعد وفاتِه سِوى المسلِم، ومن تبع جنازَته وكان معها حتى يصلَّى عليها ويُفْرَغَ من دفنِها؛ رجع من الأجر بقيراطين. وكَسرُ عظمِه بعد موته ككسرِه وهو حيٌّ، ودِيتُه على الضِّعف من ديةِ غيره.

ولفضلِ الله عليه جعل أعمالَه الصَّالحةَ تجرِي أجورُها له وهو في قبره؛ فـ «**إذا مات الإنسانُ انقَطَع عملُه إلا من ثلاثة؛ إلا من: صدقةٍ جارية، أو عِلم يُنتَفَع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**» رواه مسلم، وجنّاتُ النَّعيم أعِدَّت له ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشُّعَراء: ٩٠]، والملائكةُ على أبوابِ الجِنان تسلِّم عليهم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرّعد: ٢٤].

وجماعُ الشّرِّ في احتقارِ المسلم وازْدِرَائِه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**بحسْبِ امرِىءٍ من الشَّرِّ أن يحقرَ أخاه المسلم**» رواه مسلم، ولحرمتِه عِندَ الله أمَرَ أن تَكونَ نفسُ المسلم مُطمئنَّةً في الحياة، فلا تُراعُ ولا تُؤذَى؛ بل كلُّ أمرٍ يُخشى أن يناله أذى منه نهى الله عنه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**من مرَّ في شيءٍ من مساجدنا أو أسواقِنا ومعه نَبْلٌ؛ فليُمْسِكْه أو ليقبِضْ على نِصَالِها بكفِّه أن يصيبَ أحداً من المسلمين منها بشيءٍ**» متّفق عليه. والملائكةُ تَلعَنُ من أشار على مسلمٍ بحديدة، قال الرَّسولُ ﷺ: «**من أشارَ إلى أخيهِ بحديدةٍ؛ فإنَّ الملائكةَ تلعَنُه حتى ينزع، وإن كان أخاه لأبيه وأمِّه**» رواه مسلم. قال النَّوويّ رَحِمَهُ اللهُ: «ترويعُ المسلمِ حرامٌ بكلِّ حالٍ»، ونهى النَّبيُّ ﷺ عن كلِّ فعلٍ

يُحْزِنُه فقال: «**إذا كنتُم ثلاثةً؛ فلا يتناجَ اثنان دونَ الآخر حتى تختَلِطوا بالنَّاس، من أجلِ أنَّ ذلك يُحْزِنُه**» متّفق عليه.

وإن وَقَعَتْ منه هنّةٌ أو هَفوة فالسِّترُ عليه سِترٌ يومَ القيامة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ومَن سَتَر مسلماً سَتَره الله يومَ القيامة**» متفق عليه. وإذا تكالَبَتْ عليه النَّوائِبُ فأزِيلَت عنه كُربة؛ انفَرَجَت على من أَعانَه كربةٌ يومَ القيامة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ومن فرَّج عن مسلمٍ كربة؛ فرَّج الله عنه كربةً من كرَبِ يوم القيامة**» متفق عليه.

وأذِيَّتُه باللِّسانِ محرَّمة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**قتالُ المسلم: كُفر، وسِبابُه: فسوقٌ**» متفق عليه، ولَعنُه كقتلِه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَعنُ المؤمن كقَتلِه**» متفق عليه، ومَن قَذَفَه بغير بيِّنةٍ جُلِد ثمانين جلدة، وتوعَّد الله من آذاه بالنَّكال والعذاب، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ـ أي: عذَّبوا ـ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البُرُوج: ١٠].

ومالُ المسلم مصانٌ لا يُسلَب ولا يُنهَب ولا يُغتَصب «**كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرام: دمُه ومالُه وعرضُه**» رواه مسلم. ومن حَلَفَ يميناً بغيرِ حقٍّ ليأخُذَ مالَ أخيه المسلم؛ أكبَّه الله في النَّارِ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من اقتطَع حقَّ امرئٍ مسلمٍ بيمينِه؛ فقد أوجب الله له النَّارَ، وحرَّم عليه الجنّة**، فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: **وإن كان قَضِيباً من أرَاك**» رواه مسلم، ومالُه محترَمٌ بعد مماته؛ فلا يحِلُّ مالُه لأحدٍ إلا لورثته ممَّن كان على الإسلام، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا يرِثُ المسلمُ الكَافرَ، ولا الكافرُ المسلِم**» متفق عليه.

وأمّا دِماءُ المسلمين فشأنُها عندَ الله عظيم، فهي أوّلُ ما يفصَل فيها من الخصومات؛ لعظيم أمرِها وكبيرِ خطَرِها، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أوَّلُ ما يُقضَى بينَ النَّاسِ يومَ القيامةِ في الدِّمَاء**» متفق عليه، ودمُ المسلم أعزُّ الدِّماء عند الله، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَزوالُ الدُّنيا أهونُ على الله من قتلِ رجلٍ مسلم**» رواه الترمذي. قال الطِّيبِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَن حاول قتلَ من خُلقت الدُّنيا لأجلِه؛ فقد حاول زَوالَ الدُّنيا»، ومن تعدَّى على نفسٍ مسلمةٍ فكأنَّما تعدَّى على الخلقِ كلِّهم، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ [المَائدة: ٣٢]. ودمُ المسلِمِ لا يُستباح إلا بإحدَى ثلاثٍ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا يحلُّ دمُ امرئٍ مسلِم يشهد ألا إلهَ إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النَّفسُ بالنَّفس، والثَّيِّبُ الزَّاني، والتَّاركُ لدِينِه المفارقُ للجماعة**» متفق عليه، وسَفكُ دم المسلم موجِبٌ لغضب الله ولعنتِه، قال جلّ وعلا: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٩٣]. قال القُرطبيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس بعد الكفر أعظَم مِن قتل النَّفس بغير حقّ».

وبعد؛ أيُّها المسلمون:

ومع علوِّ مكانة المسلمين الموحِّدين عند الله؛ إلّا أنَّ دماءَهم تنزِف في بلدانٍ ليلاً ونهاراً سِراً وجهاراً، يُصبحُ الرّجلُ حزيناً ويمسِي خائفاً، ويمسي جريحاً ويصبِحُ قتيلاً، تُسلَبُ الأموال، وتُنتهبُ الممتلكات، وتُتلَفُ الخيرات، وتُغتَصبُ المدَّخرات، وتُقتَلُ الذَّراري، وتُرَمَّلُ النِّساء، ويُيَتَّمُ الصِّبيان، ويُسقَمُ الصَّحيح، ويُفْقَرُ الغنيّ، ويُؤسَرُ الحرّ، ويُستَذَلُّ العزيز، وتُبدَّلُ الشَّرائع، وتطمَسُ معالم الدِّين.

أخبارٌ متوالِيةٌ مفجِعَة، وأحداثٌ متتالِيَةٌ موجِعة، ألا فلْيكُفَّ الجميعُ عن إراقةِ دِماء المسلمين، ولْيرجِعوا إلى رُشدهم، ولْيَنبُذوا الظُّلم، ولْينهَلوا من منبع العدل والإسلام، وليعمَلوا بوصيّة النَّبيِّ ﷺ: «**لا ترجِعوا بعدي كفّاراً يضرِبُ بعضُكم رقابَ بعض**» متفق عليه.

ولقد عاشَ غيرُ المسلمين أحقاباً مِن الزَّمان تحت رايَةِ المسلمين بأمنٍ وأمانٍ واطمِئنان، وحقٍّ محفوظٍ لهم من غير بخسٍ ولا ظلمٍ ولا قتل، فلِمَ لا يُنشَر الأمنُ والرّغَد على الشُّعوبِ المسلمة؛ لتعبدَ ربَّها كما أمر، وتُسدِيَ الخيرَ للشُّعوب كافَّة؟! واللهُ مطَّلِعٌ على من ظَلَم، وأخذُه أليمٌ شَديد، ونصرُه للمستضعفين إذا التَجَؤوا إليه قريب.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البُرُوج: ١٢].

بارك الله لي ولكم في القرآنِ العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفِيقِه وامتنانِه، وأشهد ألا إلهَ إلّا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشَأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيّها المسلمون:

الأيّامُ واللَّيالي مطيَّة العبدِ فيها إلى ربِّه، وكلُّ يومٍ وليلةٍ مرحلةٌ من المراحل، فلا يزال يطويها مرحلةً بعد مرحلةٍ حتى ينتهيَ سَفرُه ويُطوَى عمرُه، والكيِّسُ الفَطِنُ هو الذي يجعَلُ كلَّ مرحلةٍ نصبَ عينَيْه، فيعطيها حقَّها من العِبادة والطَّاعةِ والبَذلِ والإحسان، ومن تيقَّن قِصَرَ الحياة وسرعةَ انقِضائِها هانَ عليه العمل، والطَّالبُ الصَّادقُ في طَلَبِه كلَّما نَقَص شيءٌ مِن دُنياه جعله زيادةً في آخرَتِه، وكلّما مُنِع شيئاً من لذّاتِ دُنياه جعَلَه زيادةً في لذّات آخرته، وكلّما نالَه همٌّ أو غَمّ جعَلَه في أفراحِ آخرته.

ثم اعلَموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه . . .

أسسٌ في السَّعادة

إنَّ الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا اللهَ ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فتقوى اللهِ طريقُ الهدى، والإعراضُ عنها سبيلُ الشَّقا.

أيُّها المسلمون:

راحةُ القلب وطمأنينةُ البال مطمعُ كلِّ البشر، ولن تتحقَّقَ سعادةٌ إلا باستقامة، وما أحوجَ كلَّ مجتمعٍ للبحثِ عن صلاحِه وسعادتِه، وصلاحُ المجتمع وسعادتُه لا تكون إلا بالله وتعلُّقِ القلبِ به وتفويضِ الأمور إليه، قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] قال شيخ الإسلام رحمه الله: «الإيمانُ بالله ورسولِه: هو جماعُ السَّعادةِ وأصلُها»؛ فلا سعادةَ بلا إيمان.

والقرآنُ وتلاوتُه والعملُ به: أصلُ الهدايةِ والاستقامه، قال سبحانه: ﴿هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٨]. والصَّلاةُ عمودُ الدِّين وعِمادُ

الصَّلاح، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العَنكبوت: ٤٥]، والخوفُ من الله يجْمَحُ النَّفسَ عن العصيان ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النَّازعَات: ٤٠-٤١].

والأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المنكرِ ركنٌ من الدِّين متين، وهو عونٌ للمقصِّرين، وشرفٌ للآمرين، حتمٌ على الذَّكر والأنثى، علتْ به هذه الأمَّةُ على الأمم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ١١٠]، والنَّصيحةُ هي الدِّين، تُقوِّمُ الجانح، وتُذكِّرُ الغافل، حاجةُ الوُلاةِ والعامَّةِ إليها سواء، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**الدِّينُ النَّصِيحَة**، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: **لله، ولكتابِه، ولرسولِه، ولأئمَّةِ المسلمن وعامَّتِهم**» رواه مسلم.

والدِّينُ الخلُق، فمن زاد عليك في الخلُق زاد عليك في الدِّين، وحسنُ الخلُق يَكتَسبُ به العبدُ كمالَ الإيمان، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أكملُ المؤمنين إيماناً: أحسنُهم خلقاً**» رواه الترمذي.

والتَّوبةُ فتحٌ لبابِ الآمال، ومحوٌ للآلام، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويُغلَقُ بابُ الشُّرورِ بالتَّوبةِ والاستغفار». والقربُ من العلماء تَزَوُّدٌ من الفضائلِ والمحاسن، وسموٌّ بالرُّوح إلى المعالي، قال الشعبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «جالِسُوا العلماء؛ فإن أحسنتم حَمَدُوكم، وإن أسأْتم تأَوَّلُوا لكم وعذَرُوكم، وإن أخطأتم لم يعنِّفُوكم، وإن جهِلْتُم علَّمُوكم، وإن شهدوا لكم نفعوكم».

والنَّظرُ في سيَرِ الأنبياءِ والصَّحابةِ والصَّالحين يُعلِي الهمم، ويَحْدُو بالسَّيرِ على خطاهم إلى الآخرة، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعَام: ٩٠].

وذِكرُ الله يَشرحُ الصُّدورَ ويُنيرُ القلوب ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨]. وإحياءُ العلم في البيوت حياةٌ لها، وقد دَأَبَ على ذلك النَّاصحون، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**» رواه مسلم. وسلامةُ القلب من الحسدِ والضَّغائنِ تَفْتحُ أبواباً من الخير، قال الله عن إبراهيمَ عليه السلام: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصَّافات: ٨٤]. وصفاءُ القلبِ كنزُ الآخرة، يدفعُ الجوارحَ لفعلِ الطاعات ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٨-٨٩].

والكسبُ الحلالُ بركةٌ في المال، وصلاحٌ في الذُّرِّيَّة، قال بعضُ السلف: «إني لَأَعرِفُ حِلَّ مَكْسبِ الرَّجلِ من أولادِه». والقناعةُ بالرِّزقِ منعٌ من وقوعِ النَّفسِ في جمع ما حُرِّم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافاً، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاه**» رواه مسلم. وحفظُ المالِ من الإسْرَافِ والتَّبذيرِ بُعْدٌ عن أُخُوَّةِ الشَّيطان، قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

والإحسانُ إلى الضُّعفاءِ والمحاويجِ ـ من ذوي القربى وغيرِهم ـ يُذكِّرُ بالنِّعمةِ ويُقرِّبُ من الله، قال النَّبيُّ ﷺ: «**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ** ـ وَأَحْسِبُهُ قَالَ: ـ **وَكَالقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ**» متفق عليه. وزيارةُ المريضِ تُدْنِي من الرَّبّ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنَّ اللهَ عز وجل يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ! مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ! كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَاناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟!**» رواه مسلم، قال ابن القيم رحمه الله: «واللهُ سبحانه عند المبتلى بالمرض رحمةً منه

له، وخيراً، وقرباً منه؛ لكسر قلبه بالمرض؛ فإنه سبحانه عند المنكسرةِ قلوبُهم».

والرِّضا بالمكتوبِ من الأقدار سكونٌ؛ يبعث على الفأل، والتَّعلُّقِ بالله، والطُّمأنينةِ في الحياة، «**وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَك، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُف**».

والجليسُ الصَّالحُ معينٌ على الهدايةِ والثَّبات ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ورفيقُ السُّوءِ رفيقُ حسرةٍ وندامة ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]

والاستماعُ إلى المعازفِ حسرةٌ في القلب، وضَعْفٌ عن الطَّاعة، قال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦] قال ابن مسعود رضي الله عنه: «هو واللهِ الغناء». وغضُّ البصر حلاوةٌ في الإيمان، ونورٌ في القلب، وزكاءٌ للنَّفس، قال ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ﴾ [النُّور: ٣٠]. والبعدُ عن الفتنِ دواءٌ للرُّوح من اتِّباعِ الهوى، ويجلبُ الفرحَ والسُّرور، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «من أحبَّ شيئاً لغيرِ الله؛ عذِّب به».

وحقُّ الأبناءِ إحسانُ تربيتِهم، ومِمَّا يُسأَلُ عنه الوالدان يوم القيامة: صلاحُ أولادهم «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ**

رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه» متفق عليه، والغفلةُ عن الأبناء والبُعدُ عنهم لا يُسقِطُ الواجب، ولا يَحْجُبُ المساءلة من الله. وإصلاحُ ما بين الزَّوجين من شقاقٍ صلاحٌ للأولاد، فقد جاء هَجْرُ الزَّوجِ لزوجتِه في المضجع عند الحاجة إليه؛ ليخْفَى عن الأولاد ما قد يكون بينهما ﴿فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ﴾ [النِّساء: ٣٤].

وحجابُ المرأةِ سترٌ لها وحمايةٌ من الفتنة، وعَفافُها وسترُها من صلاح المجتمعِ والأفراد ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وتساهُلُها في حجابِها أو اختلاطُها بالرِّجال الأجانب فتنٌ وآفاتٌ وشرور، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تمكينُ النِّساءِ من اختلاطِهنّ بالرِّجال أصلُ كلِّ بليةٍ وشرّ، وهو من أعظمِ أسبابِ نزولِ العقُوباتِ العامَّة، كما أنَّه من أسبابِ فسادِ أمور العامَّة والخاصَّة، واختلاطُ الرِّجالِ بالنِّساء سببٌ لكثرةِ الفواحش، والزِّنا من أسبابِ الموتِ العامِّ والطَّواعينِ المتَّصلة».

واللجوءُ إلى اللهِ بالدُّعاءِ بالهدايةِ يسدِّدُ الأسباب، ويحقِّقُ المَرام، دعا زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربَّه فقال: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۞ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٨-٣٩]. والسَّعيدُ من هُدِيَ وأَصلَحَ جوارحَه، والشَّقيُّ من حُرِمَ واتَّبعَ هواه.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمَّدُ لله على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِهِ وامتِنانِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الاستقامةُ على أوامرِ اللهِ تَفتحُ على العبادِ بركاتٍ من السَّماءِ والأرض، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعرَاف:٩٦]، والفَطِنُ من جعلَ سعادتَه في دنياهُ موصولةً بآخرتِه، واجْتَهَدَ في صلاحِ نفسِه وأَصْلَحَ غيرَه، قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصّلَت: ٣٣]، والموفَّقُ من أصلحَ نفسَه ودعا غيرَه للطَّاعاتِ ـ من أهلِه وولدِه وقرابتِه وإخوانِه المسلِمين ـ، وعَلِمَ أنَّ الحياةَ قصيرة، واغْتَنَمَ أوقاتَه بالصَّالحات، ودَانَ نفسَه، وعملَ لما بعد الموت، ولم يُتْبع نفسَه هواها، أو يَتمنَّى على الله الأمانيّ.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

بيتٌ مثالي

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى ذكرٌ جميلٌ في الأولى، وذخرٌ يبقى في العُقبى.

أيُّها المسلمون:

إنَّ دينَ الإسلام يبني مجتمعاً قوياً سليماً من الانحرافات في العقيدة، ومن الآفات في العبادة، يهدفُ إلى رضوانِ اللهِ وعمارةِ الآخرة، والأسرةُ المنبعُ الأوَّلُ في المجتمع، ففي ظِلِّهَا تلتقي النُّفوسُ على المودَّةِ والرَّحمةِ والتَّعاطفِ والمحبَّة، ومن سماتها تأخذ النَّاشئةُ طابعَها وسلوكَها، بسواعدِها يقوم بأمرِ اللهِ الدِّينُ وبعزائمِها يُنْشَرُ الإسلام، إنَّ الأبناءَ ثمارُ القلوب، يُقدِّمون لوالدَيْهم براً وإحساناً، ويَرِثُون مجداً وذكراً، الحديثُ عنهم في القرآن يفيض بالهبات والبشائر، أقسم الله بهم وبآبائهم ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البَلَد: ٣]، وهم قرَّةَ عيونِ الآباء والأمهات ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾

[الفُرقان: ٧٤]، وهم بَهجةٌ وبُشرى ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ [مَريَم:٧]، وهبةٌ من الله ومنَّة ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصَّافات: ١٠٠].

إنَّ هذه البشرى علينا أن نَقْدُرَ قدرَها بشكر واهبِها ومُنعمِها، والاجتهادِ في صلاحِها وإصلاحِها، والذُّرِّيةُ في بكور حياتها ديوانٌ مفتوح وسجلٌّ ناصع، يتلقَّى ما يَرِدُ عليه من حوادثٍ وانطباعات، أرضٌ تَسْتَنْبِتُ أيَّ غراسٍ من صحيحِ العقائدِ وفاسدِها، ومكارمِ الأخلاقِ ومساوئِها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**كلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرة؛ فأبواه يُهوِّدانِه، أو يُنصِّرانِه، أو يُمجِّسانِه**» رواه البخاري. هم الوسيلة النَّاقلة لعلمِ الأُمَّةِ ومَعْقِدُ الأعمال، فما أشدَّ حاجةَ الأُمَّةِ إلى ناشئةٍ صالحة، وذريَّةٍ ذوي عقيدةٍ صافيةٍ وخلقٍ كريم، تتمتع بوعيٍ ناضج، وفهمٍ ثاقب، ونظرٍ بعيد، ووازعٍ من الدِّين سديد.

إنَّ رعايةَ الإسلام للأبناء لم يبدأ بالبشارة بحياته؛ بل إنَّ رعايتَه لهم يبدأ قبل تكوينهم وتخلُّقهم، باختيار امرأةٍ صالحةٍ تُعنى بصلاحهم وإصلاحهم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاك**» متفق عليه، ورعى الإسلامُ هذه النَّبتةَ بعد تخلُّقها وحرَّم إسقاطَها وإجهاضَها، وجعل على من تعدَّى في ذلك عقوبةً وجزاء، وألزمَ الإنفاقَ على الحامل والمرضِع، وأمرَ بالإحسانِ إليهما إجلالاً لشأنه ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖ﴾ [الطَّلَاق: ٦]، وحثَّ على اختيارِ اسمٍ حسنٍ له، وأبدل ما فيه غمزٌ أو لمزٌ أو شؤم؛ تفاؤلاً بالمولود، وتُذبحُ للمولود عقيقةٌ تكريماً له وشكراً لله على ما وهب.

ومقصودُ الحضانة: حسنُ الرِّعاية، ودقَّةُ العناية، وصدقُ الاهتمام

بشؤون المحضون ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القَصَص: ١٢]، وأُمِرَ بالصَّلاة لسبعٍ وضربِه عليها لعشر. وولادتُهم على الفطرة من رأفةِ اللهِ بالآباء تسهيلاً لتربيتهم؛ فلم يُكلَّفوا بنزعهم من ملَّة غيرِ الإسلام إلى الإسلام، قال سبحانه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الرُّوم: ٣٠].

ومع هذه العنايةِ الدَّقيقةِ من الإسلام للنَّاشئة في مراحلها المختلفة ترى تفريطاً من بعض الآباء بِلَيِّ أعناق أبنائهم عن الاستقامة، وتلويثِ فطَرِهم، وتيسيرِ سبلِ الانحراف لهم، والتَّقصيرِ في إصلاحِهم، والاستسلامِ لِمُلْهِيَات العصر بدعوى العجزِ عن هدايتهم، والتَّواكُلِ في إصلاحِهم بين الآباء والأمَّهات.

إنَّ العنايةَ بالنَّشءِ مسلكُ الأخيارِ وطريقُ الأبرار، وصلاحُ الذُّرِّية محلُّ اهتمام الأنبياء والمرسلين قبل وجودهم وبعد مجيئهم؛ فمِنْ دعاء زكريَّا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عِمـران: ٣٨]، وقال خليل الرَّحمن: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصَّافات: ١٠٠]، والعبدُ الصَّالحُ يدعو ربَّه ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

من الأبناء يَنْشأُ العلماءُ والدُّعاةُ والعبَّادُ والصَّالحون، وبصلاحهم بهجةُ الآباء والأمَّهات ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفُرقان: ٧٤]، ويمتدُّ لقاء الوالد وما ولد في دار الكرامة ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرّعد: ٢٣-٢٤]، وباختلافِ الملَّة بينهما تدوم الفُرقة ـ وذلك الفراق الذي لا لقاء بعده ـ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الرُّوم: ١٤].

أوَّلُ لَبِنَةٍ في بناء الأبناء: العقيدةُ ورسوخُ الإيمان، وصدقُ التَّعلُّق بالله والاعتمادُ عليه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام لابن عبَّاسٍ ـ وهو غلامٌ صغير ـ: «**يا غلامُ! احفظِ الله يحفظْك، احفظِ الله تجدْه تُجاهك، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله**» رواه الترمذي. والذُّرِّيَّة بحاجةٍ إلى التَّربيةِ على المعرفة بالعزائم من الأمور، والعالي من الهمم، لا الانغماس في الملهيات والمحرَّمات ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ [مَريَم: ١٢]، وقال النَّبيُّ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**» رواه مسلم.

وعلى الوالد أن يسعى في جلبِ ما ينفعُهم، ودفعِ ما يضرُّهم، وينتقيَ الصَّالحين لصحبتهم، وخيرُ الآباء للأبناء من لم يقع منه تقصيرٌ في الحقوق يَبْعثُ على العقوق، ومن أدَّب ولدَه على الاستقامة صغيراً سَرَّه كبيراً، وأسعده وهو أسيرٌ بين القبور، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلاثةٍ؛ إِلَّا مِنْ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**» رواه مسلم. وحُسْنُ منشئِهم مرتبطٌ باستمساكِ والدَيْهم بدينهم، وكلَّما استقامَ الوالدان كان الأبناء بمنجاةٍ من عوامل الضَّياعِ وأسبابِ الضَّلال، وللأمِّ الصَّالحةِ صورٌ مثلى مع التَّربية، وليحرص الوالدان على لزوم الصَّلاحِ والتَّقوى، وربطِهم بسير السَّلفِ الصَّالح في الاقتداء والاهتداء.

أيُّها الابن:

أَملُ والدَيْك أن تكون ممَّن سِيَرُهُم فاضلة، وأخلاقُهم سامية، مع صحَّةِ الاستقامةِ والبعدِ عن محقَّراتِ الأعمال ورذائلِ المهالك، وألَّا تقع فريسةً للانحراف، أو أسيراً للملذَّات والشَّهوات، أو مطيَّةً للجهل والهوى، فلا تُضيِّعْ أملَك وأملَهم أمامَ لحظةٍ من شهوة، أو ساعةٍ من غفلة، وعليك

بانتقاءِ الأصحاب في المخالطة والمؤانسة؛ فالنَّفس إنْ تُركتْ وهواها ضلَّت وأضلَّت، وإن هُذِّبَتْ اكتسبت حسنَ الاستقامةِ، ولطفَ الشَّمائل، وجميلَ الأخلاق. ومن لم يمنعْ نفسَه عن الإهمال في الملاذِّ والرُّكونِ إلى المشتهيات؛ فقد دخل في الغفلة، وأضاع نفسه، وقتَلَ أملَ غيرِه.

أيُّها المسلمون:

لا تكتملُ زينةُ الأولاد إلا بالدِّين، ومن آلاءِ الله أنَّ المولودَ يُولَدُ على الفطرة، ورعايتُهم تتطلَّب مجاهدة النَّفسِ بين النَّوازع والدَّوافع، واقتحامِ العقبات ومقاومةِ العوائق، وإنْ رأى الوالد من أولاده إعراضاً أو نفوراً أو تمادياً، فلا يَيْأَسْ من صلاحهم؛ فاليأسُ من روح الله ليس من صفات المؤمنين، ولعلَّ نفحةً من نفحات الرَّحيم تعيدُ الولدَ إلى رشده وتُقْصِرُهُ عن غيِّه؛ فسفينة النَّجاة فيما عمَّ من البلاء بالإيمانِ بالله واللَّجوءِ إليه.

وللبنتِ نصيبٌ أوفى من التَّربية، وعلى الأمِّ كِفْلٌ عريضٌ منها؛ وذلك بمجالستِها، وحسنِ توجيهِها، وأَمْرِهَا بالصَّلاة، واختيارِ صُحْبَتِها، والسُّؤالِ عن رُفْقَتِهَا، وتفقُّدِ مَلْبَسِهَا، وقوامةُ الأبِ فوق ذلك كلِّه، وواجبُه ليس مقتصراً على تغذيتهنَّ؛ فربُّك الرَّزَّاق، ومهمَّتُه في تربية أبنائه ساميةٌ على ذلك؛ فلا تُعِرْ عقلَ غيرك لتربيتهم، ولا تُسْنِدْ لغير الصَّالحين رعايتَهم؛ فهدايتُهم لك سَنَاء، وفي انحرافِهم عليك عناء.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التّحريم: ٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على ما أولى، والشُّكر له على ما أسدى، حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الآخرة والأولى، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه الصَّفيُّ المصطفى، والخليلُ المجتبى، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم واهتدى.

أيُّها المسلمون:

تظافرت النُّصوصُ الشَّرعيةُ من الكتاب والسُّنَّة الآمرةُ بالإحسانِ إلى الأولاد وأداءِ الأمانة إليهم، والمحذِّرةُ من إهمالِهم والتَّقصيرِ في حقوقِهم، فكم من أبٍ أشقى ولدَه بإهماله وتركِ تأديبِه، وإعانتِه على شهواته ـ وهو يزعُمُ أنه يُكرمُه أو يَرحمه ـ وهو بذلك قد ظَلَم نفسه وظلمه؛ ففاته انتفاعُه بولده، وفوَّت عليه حظَّه في الدُّنيا والآخرة.

أيُّها الأب:

لا تُفْسِدِ الفطرةَ وتقتلِ الاستقامةَ وتقضي على المروءة، اِغرس الإيمانَ والعقيدةَ الصَّحيحةَ والقِيَمَ الحميدةَ والأخلاقَ الكريمةَ في نفوسِ أبنائِك، واحذر المبالغةَ في إحسانِ الظَّنِّ بهم أو التَّفريقِ بينهم في العطايا والهِبَات والملاطفةِ والممازحة؛ فإنَّ ذلك مما يُوغِرُ صدورَ بعضِهم على بعض،

ويسببُ شيوعَ البَغضَاء، ويَبْعَثُ على نفورِهم وتَنَافُرِهِم، فالحياةُ الاجتماعيَّةُ السَّويَّةُ لا تقومُ إلا إذا أُقيم العدل في أهلها، وحياةُ الأُسر تنهض على هذا الأساس المتين. وتأسَّ بالنَّماذج العطرة والصُّور المشرقة من سير السَّلف في التَّربية، ومن أهملَ تعليمَ أولاده ما ينفعُهم وتركَهم سدى؛ فقد جانبَ الصَّواب معهم، ومن أضاعهم صغاراً؛ لم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوه كباراً.

فاقبلْ ـ أيُّها الأب ـ هبةَ الله قبولاً حسناً؛ فلقد متَّع الله عينك وأبهج قلبَك برؤية هذه الذُّريَّة التي ما خلقْتَها وما شَقَقْتَ سمعَها ولا بصرَها ولا أوجدْتَها؛ فحافظ عليها واعتنِ بها، وقِهَا عواملَ الضَّلال فإنها وُلِدت على الفطرة، ونَشِّئْها على الدِّين. وتقرَّبْ إلى الله تعالى بإحسان تربية أبنائك والإخلاص فيها، واغتنم ما منحك الله إياه من دعوة مستجابة منك لأبنائِك؛ فالدُّعاءُ دأبُ الأنبياء مع أبنائهم، قال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وقال النَّبيُّ ﷺ: «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ ـ لَا شَكَّ فِيهِنَّ ـ: دَعْوَةُ الوَالِدِ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ المَظْلُوم**» رواه أبو داود، وأبْشِرْ وأمِّلْ، فما توكل عبدٌ على الله ولجأ إليه وعمل الأسبابَ المأمورَ بها، إلا أُعطيَ وأَفلح.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه . . .

اللهُ هو الرَّزَّاق

إنّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى أجملُ ما أَظهَرتم، وأكرمُ ما أَسرَرتم.

أيُّها المسلمون:

خَلَق الله الخلقَ وأَجرَى فِيهم أمرَه، وقضى فيهم بحُكْمِه، وامتنَّ على بَني آدمَ بالرِّزقِ والتَّكريم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، وجَعَل الرِّزقَ بيَدِه وحدَه، وأسبغَه على خلقِه، وقَسَمَهُ بينهم بحِكمَتِه ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]، وجَعَله من آياتِ وحدانيَّتِه في الكون ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النَّمل: ٦٤].

قدَّر أرزاقَ العبادِ وهَدَاهُم إليها، وهَدَى مَن يَأتي بها إِلَيهِم؛ فأعطى من شاءَ بفضلِه، ومَنَع من شاء بعِلمِه وعدلِه ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِۚ﴾ [النّحل: ٧١]، وليس ضِيقُ الرِّزق هواناً، ولا سَعَتُهُ فضيلةً عِند الله، قالَ عَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ * وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفَجر: ١٥-١٧]؛ بَل عَطاؤُه ومَنْعُه امتحانٌ وابتِلاء، والإكرامُ إنَّما هو بالطَّاعة، والهوانُ بالمعصية.

وطَلبُ الرِّزق ممّا أَقَضَّ مَضاجِعَ بعضِ النَّاس؛ فأصبَحَ الصَّغيرُ ينشدُه والكَبيرُ يطلُبُه، وأحاديثُهم عَنه وحولَه ـ مِنْ طلبِ مالٍ وولدٍ وأهلِين ـ. والرِّزقُ ليس باجتهادٍ وكسبٍ فحَسْب، إنَّما هو فضلٌ مِنَ اللهِ تولَّى قِسمَتَه بين عباده، لَن يأخُذَ أحدٌ مَا لم يُقدَّر له، ولن يُحرَمَ عَبدٌ ما كُتِب له، قال سبحانَه: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ﴾ [الزّخرُف: ٣٢]، يُغْنِي ضعيفَ الحواسِّ والبَدَن، ويُفقِرُ قوِيَّ الجَسَدِ والمدارك، يختارُ لهم مِنَ الرِّزق ممّا فِيه صلاحُهُم وابتلاؤُهم ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الشّورىٰ: ٢٧]، وما مَنَع عَبدَه إلّا ليُعطِيَه، ولا ابتلاه إلا لِيُعافِيَه، لا يمنَعُ عبدَه المؤمنَ شَيئاً من الدُّنيا إلّا ويُؤتيه أفضلَ منه، ولا يُغلِق عليه باباً إلّا ويَفتَحُ له أبواباً أخرَى أنفَعَ له منه. وهو سبحانه ضَمِن رزقَ العبد، وجَعَلَ لرزقِهِ أسباباً، أوجَبَ على العبد فِعلَها، مع توكُّل القلبِ عَلَى الله في حُصُولها.

والإسلامُ يأمرُ بالعمل ويحثُّ عليه، وينهى عن الكسل ويزجر عنه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لأَنْ يأخُذَ أحدُكُم حَبْلَه فيحتَطِبَ على ظهره؛ خيرٌ مِن أن يَأتيَ رَجلاً أعطاهُ اللهُ مِن فضلِه، فيسألَهُ أعطاهُ أو مَنَعَه**» متفق

عليه. ومَنْ فَعَلَ السّبَبَ وعلَّقَ أطماعَهُ بالبَشَر في تحقيقِ مَأمُولِه خُذِل، قال سبحانه: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ [العَنكبوت: ١٧] قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من رجا رزقاً من غير الله؛ خذلَهُ الله». والخلقُ لا ينفعون إلّا بأمر الله ولن يضرّوا إلّا بإذن الله، قال النَّبيُّ ﷺ: «**واعلمْ أنَّ الأمّةَ لو اجتمعَتْ على أن يَنفعُوكَ بشيءٍ؛ لم ينفعُوكَ إلا بشيءٍ قد كتبَه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيءٍ؛ لم يضرّوك إلا بشيءٍ قد كتبَهُ الله عليك**» رواه الترمذي. قال الفضيل بنُ عياضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ عرَف النَّاسَ استراح ـ أي: أنَّهم لا ينفعون ولا يضرّون ـ»، فما دامَ الأجلُ باقياً كانَ الرِّزق آتياً، ولَن تموتَ نفسٌ حتى تستكمِلَ رِزقَها، قال بعض السَّلف: «ما اهتممتُ بالرِّزق ولا تعِبتُ في طلبه منذ سمعتُ اللهَ يقول: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ [الذّاريَات: ٢٢]». كَم مِن سَبَبٍ سعيتَ فيه فقُدِّر لغيرك، وكم مِن أمرٍ سَعى فيه غيرُك له فقُدِّرَ لَك؛ فتوكَّلْ على اللهِ في الرِّزق، وامْلَأْ قَلبَكَ من الثِّقةِ به ورجائِه وحُسنِ الظَّنِّ به، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**قال الله تعالى: أنا عِندَ ظَنِّ عبدي بي**» متفق عليه.

ومَن فوَّضَ أمرَه إلى الله؛ كَفاه مَا أهمَّه وكَشَف عنه ما أغمَّه، وهو سبحانه الكريمُ المتفضِّل على عِبادِه بالإنعامِ والإكرام ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: ٥٣]. خَزائنُ الأَرزاقِ بِيَدِه وَحدَه، ويمينُه مَلْآى لَا تَغيضُها نفقَةٌ سحَّاءُ اللّيلِ والنَّهار، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أَرأَيتُم ما أنفَقَ منذُ خَلَقَ السَّمواتِ والأرض؛ فإنّه لم يَنقُصْ ما في يمينِه**» متفق عليه، وكَرَمُه وعطاؤُه دائِمٌ لا انقِطاعَ له ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾ [النّحل: ٩٦].

وهو سبحانه الرَّزَّاق ذُو القوَّةِ المتين، أرْغَدَ على قرىً وأمصارَ بنِعَمٍ تتدفَّق إليها، قال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا

رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [النّحل: ١١٢]، وتفضَّل على سَبأ بجنَّتين عن يمينٍ وشمالٍ تَسرُّ النَّاظرين، وأنزل على بني إسرائيلَ ـ وهم في أرضٍ جرداءَ ـ المنَّ والسَّلوى، وقال لهم: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البَقَرة: ٥٧].

ومنَحَ أيّوبَ عليه السلام جَراداً من ذَهَبٍ بعد طول بلاءٍ وشِدّةِ عناء، وألانَ لداودَ الحديد، وسخَّر معه الجبالَ تُؤَوِّبُ معَهُ والطَّير، وعلَّم سليمانَ مَنطِقَ الطّير، وأمرَ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ، وقوّاه بجنودٍ مِن إنسٍ وجنٍّ وطير، ووهبَهُ ملكاً لن ينالَه مَن بعدَه، قال عليه السلام: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النَّمل: ١٦]، قال الله له: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [صٓ: ٣٩]، ومكَّنَ لِذِي القَرْنَيْنِ في الأرضِ وآتاه من كلِّ شيءٍ سبباً، وساق إلى مريم عليها السلام رزقَها وهي في مُصلَّاها. وضَمِن رزقَ الصَّغيرِ والكبير ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعَام: ١٥١]، لم يَدَعْ مخلوقاً إلَّا ورَزَقه ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العَنكبوت: ٦٠] قال ابن كثير رحمه الله: «يبعَث إلى كلِّ مخلوقٍ مِنَ الرِّزق ما يُصلِحُه». وكَتَبَ سبحانَه رزقَ كلِّ عبدٍ وهو في بطن أمِّه قبلَ نفخِ الرُّوح فيه، وجعَل الرِّزقَ يطلب صاحِبَه كما يطلبه أجلُه، وسيأتي ما قُدِّر له على ضعفه، ولن ينالَ ما لم يُقدَّرْ له مع قوَّتِه، ولو هرب من الرِّزق لأدركَه كما يدركُه الموت.

تابَعَ جلَّ وعلا على العِبادِ أرزاقَهم، وأمرهم بتذكُّر أفضالِهِ عليهم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فَاطِر: ٣]؛ فأيقن الرُّسُلُ بذلك، وقال موسى عليه السلام: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، وقالت مريمُ عليها السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عِمرَان: ٣٧]، وأغدق آلاءَهُ على عباده؛ فأقرَّ الجميعُ بأنَّه هو الرَّزَّاق

وحــده ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [سَبَإ: ٢٤]، قـال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتأمّلْ ظهورَ اسمِ الرَّزَّاق في الخلِيقَةِ وكيف وَسِعَهُم رزقُهُ؛ تَرَ مَا تَعْجَبُ منه العقول»، فلا تُشغِل همَّك بما ضُمِن لك من الرِّزق، فرزقُكَ لا يغدو لغيرِك، ورزقُ غيرك لن يصِلَك ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحجّ: ٧٠]، لا يأكُلُ أحدٌ رِزقَ أحَدٍ ولا يزاحمُه فيه، قال سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرّعد: ٨] قال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَمَّا علِمتُ أنَّ رِزقِي لَن يَأْكلَهُ غيري اطمَأنَّ قَلبي».

والدُّعاءُ بابُ الرِّزقِ المفتوح، أمر الكريم عبادَه بمناجاتِه في الرِّزق؛ لينالوا إِنعامَه، فقال سبحانه: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النِّسَاء: ٣٢]، وأمرَهُم أن يَسأَلُوه حتى اللُّقمَةَ والكسوَة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**قال الله تعالى: يا عبادِي! كلُّكُم جَائِعٌ إلّا مَن أطعمته؛ فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي! كلُّكُمْ عارٍ إلّا من كسوتُهُ؛ فَاسْتَكْسُوني أَكْسُكُمْ**» رواه مسلم. والأنبياءُ لجؤوا إلى الله؛ لينالوا فضلَه ورزقَه، فقال عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المَائدة: ١١٤]، وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ عِلْماً نافِعاً، ورِزقاً طيِّباً، وعَمَلاً متقبَّلاً**» رواه ابن ماجه، وكان النَّبيُّ ﷺ يعلِّم من أسلم أن يقولَ: «**اللَّهمَّ اغفرْ لي، وارحمني، واهدِني، وارزقني**» رواه مسلم. قال شَيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي للمهتَمِّ بأمر الرِّزقِ أن يلجَأَ فيه إلى اللهِ ويدعُوَه».

ومن أصلَحَ آخِرتَه صَلَحَتْ دنياه، ولا يُنال ما عندَ الله إلا بطاعتِه، قال جلّ وعلا: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجنّ: ١٦]، قال أبو الدَّرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «صلاحُ المعيشةِ من صلاحِ الدِّين، وصلاحُ الدِّين من صلاحِ العقل، وبالطَّاعةِ يُرزَقُ العبد»، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إنَّ الكافرَ**

إذا عمِل حسنةً أُطعِم بها طعمةً مِنَ الدُّنيا، وأمّا المؤمنُ فإنَّ اللهَ يدَّخرُ له حسناتِه في الآخرة، ويُعقِبُه رِزقاً في الدُّنيا على طاعته» رواه مسلم.

والمتَّقِي يُرزَقُ من حيث يحتَسِب ومن حيث لا يحتَسِب بأسبابٍ مُباحة، ويكون كَسبُه طيِّباً سهلاً مباركاً، قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۞ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطَّلَاق: ٢-٣]، وغيرُ المسلِم قد يُرزَق لكن بتكلُّفٍ أو بأسبابٍ محرَّمة، وتُنزَع البركةُ من ماله.

والاستغفارُ يزيد في الأموالِ والأولادِ ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۞ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۞ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّـٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾ [نُوح: ١٠-١٢]، قال بعض السلف: «آثارُ الحسناتِ والسَّيِّئات على القلوبِ والأبدان والأموالِ أمرٌ مشهودٌ في العالم».

والصَّلاةُ رِزقٌ للعبدِ من غير حُسبان، قال سبحانَه: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ﴾ [طه: ١٣٢] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا قمتَ إلى الصّلاةِ أتاك الرِّزقُ مِن حيثُ لا تحتَسِب».

والصّدقةُ تنمِّي المالَ وتضاعِفُه، قال جلّ وعلا: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٥]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**قالَ اللهُ تعالى: يا ابنَ آدم! أَنفِقْ أُنفِقْ عليك**» متفق عليه.

وصِلةُ الأرحام مَثْرَاةٌ للمال، قال النَّبيُّ ﷺ: «**من أحبَّ أن يُبسِطَ له في رزقه ويُنسَأ له في أجله؛ فليصِلْ رحمَه**» متفق عليه. والصِّدقُ في المعامَلَةِ بَرَكَةٌ في المالِ، «**فإن صَدَقا وبيَّنا بورِكَ لهما في بَيعِهِما**» متفق عليه. وتَفريجُ هُمومِ المسلمين وقَضاءُ حوائِجِهم ييسِّر ما استَصعَبَ من الكَسب ويحقِّق

المأمول، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ومَن كان في حاجةِ أخيه؛ كان الله في حاجَتِه**» متّفق عليه.

وطالِبُ الرِّزق معانٌ من الله ما أعانَ غيرَه، قال النبيُّ ﷺ: «**واللهُ في عونِ العبد ما كان العبدُ في عون أخيه**» رواه مسلم، والقربُ منَ الضُّعفاء والمساكين يَفتَحُ أبواب الرِّزق، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّما تُرزَقون وتُنصَرون بضعفائِكم**» رواه الترمذي.

وإِن أتاك المالُ مِن كسبٍ حلالٍ؛ فخُذْه بسَخَاوَة نفسٍ ليُبارِكَ لك فِيه، وإن رُزِقتَ فلا تجحد نعمَ الله عليك، قال جلَّ وعلا: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [النَّمل: ٧٣]، وبِشكرِ النِّعمةِ المُسدَاة يَزيد الخيرُ والإنعامُ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، ومَن لم يشكر النِّعمةَ سَلبَه الله إيّاها ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وكلُّ نَقصٍ فَسَبَبُه الذُّنوبُ، وما استُجْلِبَ رِزقُ الله بمثلِ تَرْكِ معاصيه، قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ويُحرَمُ العبدُ الرِّزقَ بالذَّنبِ يصيبُه، قالَ شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «وضِيقُ الرِّزقِ علَى عبدٍ من أهلِ الدّين قد يكون لما له من ذنوبٍ وخطايا». والشُّحُّ والبُخل يمنعان العطاءَ من الله، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تُحصِي فيحصِي الله عليك**» متفق عليه، وقال النَّبيُّ ﷺ لأسماءَ بنتِ أبي بكر: «**لا تُوكِي فيُوكَى عَليكِ**» رواه البخاريّ. قال الجَزَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «أي: لا تَدَّخِري وتَشُدِّي ما عِندكِ، وتَمنعي ما في يَدِكِ؛ فتنقَطِعَ مادّة الرِّزقِ عنكِ».

والغنيُّ غنيّ النَّفس وإن لم يملك مالاً، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ليس الغِنَى عنْ كَثْرَةِ العَرَض** ـ أي: كثرةِ المال ـ، **ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْس**» متفق عليه، ومَن قَنِع بما قُسِم له؛ فهو من أغنى الناس، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**قد أفلح من أسلَمَ، ورُزِق كفافاً، وقنَّعه الله بما آتاه**» رواه مسلم.

وسَعَةُ الرِّزق ليسَت في كثرتِه؛ إنَّما هيَ بِالبركة فيهِ. وفي صُحبَة من هو دونك يظهر لك قدر النِّعم، قال عوف بن عبد الله رَحِمَهُ الله: «صَحِبتُ الأغنياء فلم أرَ أحداً أكبرَ همّاً مِنِّي؛ أرَى دابّةً خيراً من دابَّتي، وثوباً خيراً من ثوبي، وصحِبتُ الفقراء؛ فاسترحت».

والحرصُ يُقمَعُ بالقناعة، والطّمَع دواؤُه الرِّضا والتَّسليم، قال إبراهيم الحربيّ رَحِمَهُ الله: «اتَّفَقَ العقلاءُ من كلِّ أمّةٍ: أنَّ من لم يَتَمشَّ مَع القَدَرِ لم يتهنَّأ بعيشٍ». ولا تحسِد ذا نعمةٍ على فضلِ الله، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [النِّسَاء: ٣٢]. ومِن علامةِ سَعادةِ العبد: اهتمامُه بأوامر الله دونَ مَا ضُمِن له مِنَ الرِّزق، والدُّنيا دارُ ممرٍّ، والتَّفاضل الحقيقيُّ في الرِّزق؛ إنَّما هو في دَرَجَات الآخرة.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسرَاء: ٢١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبِه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مَنْ عَلِمَ أنَّ الرِّزقَ قَد فُرِغَ منه لم ييْأَسْ على ما فاتَ منه، ولا يحملَنَّك استبطاءُ الرِّزق على أن تطلبَه بمعصية الله. وخيرُ العيشِ ما لا يُلهي ولا يُنسي، وأربَحُ الناسِ من جعَل المالَ وَسيلَةً إلى الله والدَّارِ الآخرة، وأَخسرُهم من توسَّل به إلى هواه ونيلِ شهواته. وما ادُّخِر للمؤمن من رزقٍ في الآخرة خيرٌ ممّا مُتِّع به أهلُ الدّنيا، قال ﷻ: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]، والغَنيُّ مَن استغنى عن النَّاسِ وافتقر إلى الله.

ثمَّ اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

اغتنام الإجازة

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أمّا بعد:

فاتّقوا الله ـ عبادَ الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فتقوى الله طريقُ الهدى، ومخالفتُها سبيلُ الشّقا.

أيُّها المسلمون:

الحياةُ سببُ الرِّفعةِ في الدُّنيا والآخرة، أو السُّفولِ فيهما، ولشرفِ ما حوَتْه من الزَّمانِ أقسمَ اللهُ بأجزائه؛ فأقسمَ بالفجر، والضُّحَى، والعصر، والشَّفَق؛ بل أقسمَ بالزَّمنِ كلِّه ـ ليلِه ونهارِه ـ، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۞ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١-٢]. والله يُقلِّبُ حالَ الزَّمانِ من ظُلمةٍ إلى إشراقٍ لإيقاظِ القلوبِ بعمارةِ الكونِ بعبادةِ الله، قال جلَّ شأنُه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، وأمرَ النَّبيُّ ﷺ باغتنامِ الزَّمانِ بالعملِ الصَّالحِ، فقال: «**احرِصْ على ما ينفعُك**» رواه مسلم.

وأيَّامُ الحياةِ معدودةٌ إن ذهبَ يومٌ نقصَ عُمرُ ابنِ آدم، وإن ذهبَ بعضُه زالَ كلُّه، قال ابن القيِّم رحمه الله: «العبدُ من حينِ استقرَّت قدمُه في هذه الدار فهو مُسافرٌ فيها إلى ربِّه، ومُدَّةُ سفرِه هي عُمرُه الذي كُتِبَ له». ومن مِنَن الله الجِسامِ على العبد: طُولُ العُمرِ مع صلاحِ العمل، قال عليه الصَّلاة والسلام: «**خيرُ النَّاسِ: من طالَ عُمرهُ، وحسُنَ عملُه**» رواه الترمذي.

وحياةُ النَّبيِّ ﷺ ليلَها ونهارَها كانت كلُّها لله، قال الله له: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وأثنى الله على الصحابةِ لعِمارةِ أوقاتهم بالعبادة، فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]. ومن وصايا أبي بكرٍ لعُمر رضي الله عنهما: «إن لله عملاً بالنَّهار لا يقبَلُه باللَّيل، وعملاً باللَّيل لا يقبَلُه بالنَّهار»، وكان السَّلفُ رحمهم الله يغتنِمُون لحظاتِ أعمارِهم، فعمَروا زمانَهم بما يُرضِي ربَّهم، قال الحسنُ البصريُّ رحمه الله: «أدركتُ أقواماً كانوا على أوقاتهم أشدَّ منكم حرصاً على دراهِمِكم ودنانيرِكم».

وقد انقضَى عامٌ من تحصيلِ العلمِ أو المعرفةِ المُنتظِمِ في دورِ التعليم، وفي حالِ انقِضائه يبقَى في وقتِ المُتعلِّمين سَعَةٌ من الفراغ، والرَّابحُ منهم من اغتنَمَ زمنَه بما ينفعُه، والمغبونُ من فرَّطَ في لحظاته، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا** ـ أي: يُفرِّطُ فيهما ـ **كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**» رواه البخاري. قال ابن بطَّال رحمه الله: «الذي يُوفَّقُ لذلك ـ أي: لاغتنامِ الصِّحَّةِ والفراغِ ـ قليلٌ».

ومن خيرِ ما يُعمرُ به زمنُ الإجازةِ ويُنتفَعُ به: حِفظُ كتابِ الله العظيمِ ومُراجعتُه؛ فهو كنزٌ ثمينٌ وتجارةٌ رابحة، قال عُقبةُ بن عامرٍ رضي الله عنه: «خرجَ علينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: **أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى العَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْن** ـ أي: عظيمتَي السَّنام ـ **فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟** فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله! نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: **أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى المَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عز وجل؛ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ**» رواه مسلم، ومن نالَ حِفظَ القُرآن شرُف، ومن تلاهُ عزَّ، ومن قَرُبَ منه عظُم، ومنزلةُ العبدِ في الجنَّةِ عند آخر آيةٍ يُرتِّلُها منه، وفي زمنِ الفتنِ وانفتاحِ أبوابِ الشُّبُهات والشَّهوات يكونُ الاعتصامُ بكتابِ الله ألزَم، والقُربُ منه أوجب، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**تَرَكْتُ فيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُما: كِتابَ الله وسُنَّتي**» رواه الحاكم.

والتَّزوُّدُ من العلمِ الشَّرعيِّ بحفظِ الأحاديث النَّبويةِ ومُتونِ أهلِ العلم المُصنَّفةِ في علومِ الشَّريعة؛ تأصيلٌ للطَّلَب، ورُسوخٌ في العلم، ورفعةٌ للمُسلم، قال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجَادلة: ١١] قال الإمام مالكٌ رحمه الله: «أفضلُ ما تُطوِّعَ به: العلمُ وتعليمُه».

وبرُّ الوالدَين طاعة، وصُحبتُهما سعادة، والقربُ منهما توفيق، قال سبحانه عن عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مَريَم: ٣٢] قال ابن كثيرٍ رحمه الله: «من برَّ بوالدَيه كان مُتواضِعاً سعيداً». والابنُ الفَطِنُ يسعَدُ بالإجازةِ لمزيدِ البرِّ بوالدَيْه وإدخالِ السُّرورِ عليهما، ومما يُفرِحُهما:

استقامتُك على الدِّين، ومن برِّهما: زيارةُ صديقِهما، وإكرامُهما من بعدِهما، قال عليه الصَّلاة والسلام: «**أبَرُّ البرِّ: أن يصِلَ الرَّجلُ وُدَّ أبيه**» رواه مسلم. وصِلةُ الرَّحِم تُرضِي الرَّحمن، وتُطيلُ العُمُر، وتَزيدُ في المال، وتُبارِكُ في الوقت، وتُقرِّبُ ما بين النُّفوس، وتُظهِرُ مكارمَ الأخلاق، وتُبدِي جميلَ المُروءات، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من أحبَّ أن يُبسَطَ له في رِزقِه، ويُنْسَأَ له في أثرِه؛ فليصِلْ رحِمَه**» متفق عليه.

وزيارةُ أهلِ العلم والصَّالحين تُهذِّبُ النَّفوس، وتسمُو بالرُّوح، وتُذكِّرُ بالآخرة، وتُعلِي الهِمَم، وتُصلِحُ الحال، وينالُ بها الزَّائرُ معرفةً وعلماً؛ فَهُمْ ورثةُ الأنبياء، ودُعاةُ الهُدى. والتَّنافُسُ في الخير والتَّقوى من صفاتِ الصَّالحين، قال سبحانه: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطفّفين: ٢٦] قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا رأيتَ النَّاسَ في خيرٍ؛ فنافِسْهم فيه».

والصُّحبةُ الصَّالحةُ خيرُ مُعينٍ على العملِ الصَّالح، تدفعُ إلى البرّ، وتُغلِقُ عنك أبوابَ الشُّرور، وتحثُّ على الطَّاعة، ولا غِنَى لأحدٍ عن الصُّحبةِ الصَّالحة؛ فقد كان لنبيِّنا ﷺ صاحبٌ يُعينُه على طريقِ الدَّعوةِ وتبليغِ الرِّسالة، قال سبحانه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التّوبَة: ٤٠]، والمُتحابُّون بجلال الله على منابرَ من نور، يغبِطُهم النَّبيُّون والشُّهداء. ورفيقُ السُّوءِ يدعُو إلى الشُّرور، ويصدُّ عن أبوابِ الخير، وقد أخبرَ الله أنَّ رُفقتَه ندامة، قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٨] قال ابن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «اعتبرِ الرَّجلَ بمن يُصاحِب ـ أي: انظُروا إلى رُفقاء الرَّجُل ـ؛ فإنَّما يُصاحِبُ الرَّجلَ من هو مِثلُه».

والتَّطلُّعُ إلى مواطنِ الفتنِ وأسبابِها ـ من المرئيَّات في القنواتِ وغيرِها ـ يعيشُ المرءُ معها وهماً، وتُورِثُه نُكرانَ النِّعَم، وترفعُ القناعةَ من النَّفس، وتُورِدُ على القلبِ الظُّلَم.

والإجازةُ مغنَمٌ لقُرب الأبِ من أبنائِه، يملأُ فراغَ قلوبِهم، ويُهذِّبُ سُلُوكَهم، ويُقوِّمُ عِوَجَهم، والأبناءُ يسعَدون بمُرافقَتهم لأبيهم وأُنسِهم به، وانتِفاعهم بأخلاقه، واكتِسابِهم الصِّفاتِ الحميدةَ منه، قال ابن عقيلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العاقلُ يُعطِي للزوجةِ وللنَّفسِ حقَّهما، وإن خلا بأطفالِه خرجَ في صُورةِ طفلٍ، وهجَرَ الجِدَّ في بعضِ الوقت». وتغافُلُ الأبِ عن أبنائِه وبُعدُه عنهم إهمالٌ لتنشِئَتهم، وتيسيرٌ لأهل السوءِ للوصولِ إليهم، ويجنِي من ذلك الأبُ النَّدامةَ والحسرةَ.

والسَّفَرُ المُباحُ بهم يُقرِّبُ ما بين الوالدَين والأبناء، ويُوارِي هُوَّة الفجوةِ بينهم. والعُمرةُ سَفَرُ عبادةٍ يَحُطُّ الأوزار، ويرفعُ الدَّرجات، وصلاةٌ في مسجدِ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سِواه.

والسَّفَرُ المُحرَّمُ إهدارٌ للمال، وعُرضةٌ للفتن، وقد تقعُ بسببِه في قلوبِ الأولاد شُبُهاتٌ أو شهواتٌ لا يملِكُ الأبُ منعَها أو تحويلَها، وقد يعودُ المرءُ من السَّفرِ المُحرَّم أسوأَ من حاله قبل السَّفَر.

وفي الإجازةِ تُبنَى أسرٌ في المُجتمع بالزواج، ومن شُكر تلك النِّعمة: ألا يَصْحَبَ وليمتَها مُحرَّم ـ من إسرافٍ، أو عُرْيٍ، أو غناءٍ، أو تصويرٍ ـ، وأن يكون زواجاً لا معصيةَ فيه.

واللهُ جعلَ اللَّيلَ سكَناً، قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النّبَإ: ١٠]، ومن هديِه عليه الصَّلاة والسَّلام: النَّومُ أولَ اللَّيل، والصَّلاةُ آخرَه، قال

أبو بَرْزَةَ رضي الله عنه: «كان النَّبيُّ ﷺ يكرهُ النَّومَ قبل العشاءِ والحديثَ بعدها» متفق عليه، وإذا كان السَّهرُ وسيلةً إلى التَّخلُّف عن صلاة الفجرِ مع الجماعةِ كان مُحرَّماً.

والمُسلمُ يُراقِبُ ربَّه في أحواله وأزمانه، ويُوقِنُ بأنَّ الله يرى أفعالَه أيّاً كان زمانُها أو مكانُها، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يُونس: ٦١]. والثَّوابُ والعقابُ يُجازَى عليه العبدُ في كلِّ موطنٍ حلَّ فيه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**اتَّقِ اللهَ حيثُما كنتَ**» رواه الترمذي. والله يَغارُ إذا انتُهِكَت حُدودُه في سفرٍ أو حضرٍ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إنَّ اللهَ يَغَارُ، وَغَيرَةُ اللهِ: أنْ يَأتِيَ المَرْءُ مَا حَرَّمَ الله**» متفق عليه.

فكُن مُبتعِداً عَنِ الخطيئات، وتزوَّدْ من الأعمالِ الصَّالحة، ولئنْ كانَ العملُ مَجْهَدةً فإنَّ الفراغَ مَفْسَدةٌ، ونفسَك إن لم تشغَلْها بالحقِّ شغلَتْك بالباطل، والمرءُ مُمتحنٌ في رخائِه وسرَّائِه، وعافيتِه وبلائِه، في حلِّه وترحالِه، والمُوفَّقُ من جعلَ التَّقوى مطيَّتَه، وسارعَ إلى جنَّة ربِّه.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التّوبَة: ١٠٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحمدُ لله على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقه وامتنانه، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

واجبُ الأبِ نحو أبنائِه عظيم؛ فهو مسؤولٌ عنهم يومَ القيامة، والأمُّ عليها واجبٌ مُضاعَفٌ في الحِفاظِ على بناتِها، ومُلازمَتِها لَهُنَّ في الرِّعاية والنُّصحِ والتَّوجيه؛ بِحَثِّهنَّ على حفظِ كتابِ الله وسماعِ ما يُفيدُ من الذِّكر، والقيامِ بأمورِ البيتِ ولو مع توافُر مَنْ يخدِمُهنّ، وأمْرِهنَّ بالحجابِ والسِّترِ والعفاف، ونَبْذِ ما يضُرُّهنَّ ممَّا يُنافِي الدِّينَ والأخلاق.

والدُّنيا أمَدُها قصير، ومتاعُها زائل، فلا تتعلَّقْ منها إلا بما يقضِي به الغريبُ حاجتَه في غير موطنِه، ولا تشتغِلْ فيها إلا بما يشتغلُ به الغريبُ الذي أعدَّ العُدَّةَ للرُّجوعِ إلى أهلِه، قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «ما ندِمتُ على شيءٍ، ندَمي على يومٍ غرَبَت شمسُه نقصَ فيه أجلي، ولم يزدَدْ فيه عملي». والمؤمنُ بين مخافتَين: بين ذنبٍ قد مضَى لا يدرِي ما اللهُ صانِعٌ فيه، وبين أجلٍ قد دنا لا يعلمُ ما هو صائرٌ إليه.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاةِ والسَّلامِ على نبيِّه . . .

أعمالٌ تفرِّجُ الكروب

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عبادَ الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى لا يَقبلُ ربُّنا غَيْرَها، وَلا يَرحَمُ إِلا أَهْلَهَا.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ الله آدمَ وأسْكَنه جنَّته وكان فيها من المكرَمِين، لا يجوعُ فيها ولا يَعْرَى، ولا يظمأُ فيها ولا يَضْحَى، ونهاه الله أنْ يقرَبَ الشَّجرة، ولما رأى الشَّيطانُ أنَّ آدمَ منعَّمٌ في الجنَّةِ وَسْوَسَ إليه وأقسمَ له بالله أنَّه إنْ أَكَلَ مِنَ الشَّجَرةِ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الجَنَّة، ولِحِكْمَةٍ عَصَى آدَمُ ربَّه وَأَكَلَ مِنَ الشَّجَرة، وبمعصيتِه هذِهِ أُهبطَ هو وزوجتُه إلى الأرض بعد لذَّةِ الجنَّةِ وراحتِها، فكابدَ هُوَ وذريَّتُه المشاقَّ والهموم، قال جلَّ شأنُه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البَلَد: ٤] قال الحسنُ رَحِمَهُ اللهُ: «يُكَابِدُ مَضَايِقَ الدُّنْيَا وَشَدَائِدَ الآخرة». ولم تَصْفُ الدُّنيا لأحدٍ فهي دارُ بلاء، ولذَّاتُها مشُوبةٌ بالأكدار، وأمرُها لا يدوم على

حال ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: ١٤٠]، يسعدُ تارةً ويحزنُ أخرى، ويعتزُّ حيناً ويُذَلُّ حيناً. وَأشَدُّ النَّاسِ بلاءً وكرباً في الحياةِ هُم الأنبياء، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً: الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**» رواه النَّسائي.

فَقَدْ لَبِثَ نُوحٌ عليه السلام في قومِه أَلْفَ سَنَةٍ إلا خمسين عاماً، لاقى منهم فيها شدةً ومَكْراً واسْتِكْباراً، قال ابن كثير رحمه الله: «وكانوا يَقْصِدونَ أذاه، ويتواصَوْن قرناً بعد قرنٍ وجيلاً بعد جيلٍ على مُخالفته»؛ فدعا على قومِه فعمَّهم الطُّوفان، ونجَّاه الله منهُ ومِنْ قومِه، قال سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنبيَاء: ٧٦]. وإبراهيمُ عليه السلام ابتُليَ بذبحِ ابنِه إسماعيل؛ فَفَدَاهُ اللهُ بذبحٍ عظيم، وأضرم قومُه ناراً لإحراقِه فجعلها الله عليه برداً وسلاماً.

ويعقوبُ عليه السلام فَقَدَ أَحَبَّ أبنائِهِ إليه، ثُم فقدَ آخر، وبكى على فقدِهما حتى جفَّ دمعُه وفَقَدَ بصَرَه، قال سبحانه: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يُوسُف: ٨٤]؛ فبثَّ شكواه وحُزنَه إلى الله فجمَع له ولديْه، ورفعَه يوسفُ على عَرشِه. ويوسفُ عليه السلام أُلقيَ في الجُبِّ وبِيعَ بثمنٍ بخسٍ، ولبِثَ في السَّجن بضعَ سنينَ، وفارقَ وَالديْه؛ فاصطفاه الله وجعله من المرسلين، وجمع له أبويه، وجعلَه على خزائن الأرض، وكان عند قومِه مكيناً أميناً.

وَفرعونُ آذى مُوسى وهارونَ ومن معهما من المؤمنين، فخرجوا فارِّين منه، فلحقهم فرعونُ بجنودِه، فكان البحرُ أمامَهم وفرعونُ بجندِه خلفَهم، وقال أصحابُ موسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦١]؛ فقال موسى عليه السلام: ﴿كَلَّآ

إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٢]؛ فجعل الله لهم البحرَ طريقاً يَبَساً، فلمَّا جاوزُوه أطبقَ اللهُ البحرَ على فرعونَ وجنودِهِ، فكانوا من الهالكين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الصَّافات: ١١٤-١١٥].

وأيُّوبُ ﷺ طَالَ عليه كرْبُ المرض، فَمَا أَيِسَ من اللهِ، وكان يدعُوه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]؛ فَرفَعَ الله ضُرَّهُ وَوَهَبَ له أهْلَه وضعفينِ معهم. وزكريَّا ﷺ وَهَنَ عَظْمُه واشتعلَ رَأْسُه شَيْباً، وَبَلغ مِن الكبر عِتيّاً، وَحُرِم الولد؛ فدعَا ربَّه نِداءً خَفِيّاً أنْ يَهَبه وَلَداً؛ فَرزَقَه اللهُ يحيى وأقَرَّ عينَه بصلاحِه، وجعلَه الله نبيّاً رسُولاً. ومريمُ ﷺ كُرِبَتْ بما رُمِيَتْ به من ولادتِها بعيسى مِنْ غير زوجٍ؛ فأنطق الله مولودَها وهُو في المهد ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مَريَم: ٣٠].

ونبيُّنا محمّدٌ ﷺ نشأَ يتيماً، وماتَ جدُّه، ثُم مات وَجِيهَاه في الدَّعوةِ ـ أبو طالبٍ وخديجة ـ في عامٍ واحد. وأُسْرِيَ بالنَّبيِّ ﷺ إلى بيتِ المقدس، وعُرِج به إلى السَّماءِ السابعة، ثُم عاد من ليلتِه إلى مكةَ وأَخبَر قريشاً الخبر وخَشِيَ ألا يُصدَّق فلا يؤمنوا؛ فَفَرج الله عنه كَرْبَه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ: فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ**» رواه مسلم.

والدِّينُ وَصَلَ إِلَيْنَا بعد عناءٍ ومشَقَّة، فقد لاقى النَّبيُّ ﷺ من شدَّة الوحيِ ما لاقى، فكان إذا نزلَ عليه الوحي يُنْكِسُ رَأسَه، ويتفصَّدُ عَرَقُهُ من جَبِينِهِ في اللَّيلةِ الباردة، قال عبادةُ بن الصَّامت رضي الله عنه: «كان النَّبيُّ ﷺ إذا

أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ كُرِبَ لِذَلِكَ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ ـ أي: تغيّر ـ» رواه مسلم، واشتدَّتْ كُرُباتُ النَّبيِّ ﷺ في حياتِه من أذى قومِه له، وسُمِّه وسحرِه، والكيدِ به، وموتِ أبناءه. وكُربةٌ لاقاها جميع الرُّسلِ وهي التَّكذيبُ والسُّخرية، قال سبحانه: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤]، وقال جلَّ شأنُه: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]، ولا تزالُ كروبُ الدُّنيا بالإنسان حتى تُنْزَع روحه، قال أنسٌ رضي الله عنه: «لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ ـ أي: الموت ـ؛ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: وَا كَرْبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: **لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ** ـ أي: من كروبِ الدُّنيا ـ» رواه البخاري.

ولئنِ انقَضَتْ مِحَنُ الدُّنيا بالموت فسيلاقي الخلقُ كُرباً شديداً قادمةً عليهم، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**يَجْمَعِ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ؛ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ**» رواه مسلم.

وبعد؛ أيُّها المسلمون:

فالإنسانُ في بلاءٍ وشدَّةٍ حتى يضعَ قدَمَه في الجنَّة، وبرحمةِ الله وفَضْلِهِ شرع سبحانه أسباباً لزوالِ الخطوب؛ فتوحيدُ اللهِ هُو أسرع مُخَلِّصٍ للكروب، وقد فزع إلى ذلك يونُسُ عليه السلام؛ فنُجِّيَ من الغَمّ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ سَبْعَ مَرَّاتٍ؛ إِلَّا فَرَّجَ اللهُ كَرْبَه**» رواه أبو داود، قال ابنُ القيِّم رحمه الله: «لا يُلْقِي في الكُرَبِ العِظام سوى الشِّرك، ولا ينجِّي منها إلا

التَّوحيد». وقَدْ عَلِمَ المشركونَ أنَّ التَّوحيد هُو المنجِّي مِنَ المهالك؛ ففِرعونُ نطق بكلمةِ التَّوحيدِ عند غَرَقِه لينجو، ولكن بَعْدَ فوات الحين.

والتَّوكُّلُ على اللهِ وتفويضُ الأمرِ إليه يكشفُ ما نزل، قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ [الأنعام: ٦٤]، ولما لجأ الرَّجلُ المؤمنُ مِنْ آلِ فرعونَ إلى الله كُفِيَ شرَّ قومِه، قَالَ سبحانه عنه: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ۞ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٤-٤٥]، والتَّضرُّعُ إلى الله بالدُّعاءِ سببُ تغيُّرِ الحال، قال سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النَّمل: ٦٢]. والصَّلاةُ مزيلةٌ للهُموم، كاشِفَةٌ للغُموم، واللهُ سبحانه أَمَرَ بالاستعانةِ بها عندَ حلولِ المصائب، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البَقَرَة: ١٥٣].

وَذِكْرُ الله أَنِيسُ المكروبين، قال جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحِجر: ٩٧-٩٨]، وكان عليه الصَّلاةُ والسَّلام إذا نزلَ به كَرْبٌ قال: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**» رواه البخاري.

والاسترجاعُ عزاءٌ لكلِّ مُصاب، قال جلَّ شأنُه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٥-١٥٦]، و﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣] قالها الخليلان عنْدَ الشَّدائد، والاستغفارُ سببُ تفريجِ الخطوب؛ لأنَّ الذُّنوبَ هي موجبُ الكروب، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]. والتَّوبةُ تَحُطُّ

السَّيِّئات وتُفَرِّجُ الكربات، قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

وَمَنْ عاملَ اللهَ بالتَّقْوى والطَّاعةِ في حَالِ رَخَائِه؛ عَامَلَهُ الله باللُّطفِ والإعانَةِ في حالِ شِدَّته، قال النّبيُّ ﷺ: «**تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّة**» رواه الحاكم. قال أبو سليمان الدَّاراني رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ أحسَنَ في ليلِه كُفَي في نهارِه».

والتَّزوُّدُ مِنَ الطَّاعاتِ يُفَرِّجُ الهموم، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطّلاق: ٢-٣]. والصَّدقةُ والبرُّ وصِلةُ الرَّحِم؛ سَبَبُ زوالِ المحن، قَالَتْ خديجةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا للنَّبيِّ ﷺ - لَمَّا نزل عليه الوحيُ وخَشِيَ على نفْسِه، قَالَتْ لَهُ -: «كَلَّا، وَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ» رواه البخاري.

واللهُ وَعَدَ عِبَادَهُ بالفَرَجِ بعد الشِّدَّة، وإذا اشتدَّ الكَربُ لاح الفرَج. وحُسنُ الظَّنِّ باللهِ واجب، والتَّفاؤلُ بزوالِ ما نزَلَ من المصائب مِنْ حُسْنِ المعتَقد، قال سبحانه: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشَّرح: ٥-٦] قال ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لو دَخلَ العُسرُ في حجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه». والصَّبر أجرهُ بِلا حِساب، واختيارُ الله لعبْدِهِ أَرْحَمُ مِنْ اختيارِ العبدِ لنفْسِه، والحياةُ الباقية هي الدَّارُ الآخِرة.

أعوذ بالله من الشَّيطانِ الرَّجيم

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

بارك الله لي ولكم في القرآنِ العظيم ...

الخطبة الثانية

الحَمدُ لله علَى إحسَانِه، والشُّكرُ لَه علَى تَوفِيقِه وامتِنانِه، وأَشهَدُ أَلَّا إلهَ إلَّا الله وَحدَه لا شَريكَ لَه تعظيماً لشَأنه، وأَشهَد أنّ نبيَّنا محَمّداً عبدُه ورَسولُه، صلّى الله عَلَيه وعلَى آلِه وأصحَابه وسلّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مَنِ ابْتَعَدَ عَنِ الدِّين زادت كُروبُه، قال سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وَمَنْ فرَّجَ اللهُ كُرَبَه ولم يشكرْ نعمةَ اللهِ على زوالِ الكُربة؛ فقد توعَّدَه الله بمكرِه وعقوبتِه، قال سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ﴾ [يُونس: ٢١]، والمؤمنُ إذا ابتليَ صبر، وإذا أذنب استغفر، وإذا أُنعِمَ عليه شكر.

ثُمَّ اعلَمُوا أنَّ الله أمَرَكم بالصَّلاةِ والسَّلامِ عَلى نَبِيِّه ...

وداعاً للهموم

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى واعتصموا به؛ فالنَّجاةُ في الهدى، والشَّقاءُ في اتِّباع الهوى.

أيُّها المسلمون:

سعادةُ النَّفس وابتهاجُها بزوالِ همومِها وغمومِها، والقلبُ يَفرحُ والنَّفسُ تسعدُ بطاعة الله ورسوله، وقد أمر الله نبيَّه ببشارة المؤمنين بذلك، فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧]، ومن هَدْيِ الإسلام: إدخالُ السُّرور على النُّفوس؛ فحثَّ على ذلك ولو بالكلمة الطَّيِّبة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**يُعْجِبُنِي الفَأْل**، قالُوا: وما الفَأْلُ يا رسول الله؟ قال: **الكَلِمَةُ الطَّيِّبَة**» متفق عليه، وكان النَّبيُّ ﷺ دائمَ البِشر، قال جرير بن عبد الله رضي الله عنه: «ما رآني رسولُ الله ﷺ إلا تَبسَّم» متفق عليه.

والنَّعيمُ في انشراح الصَّدر، والعناءُ في ضيقه، وانشراحُ الصَّدر من نعم الله الجسام، وإذا اتَّسع صلَح لنفع الخلق وقضاءِ حاجاتهم، وقد سأل موسى عليه السلام ربَّه أن يشرح صدره؛ لئلا يتكدَّر ويضيق، فقال: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ [طه: ٢٥]؛ فإنه إنْ ضاق أعْجزَ صاحبَه عن العمل ولم ينفعْ غيرَه، وشَرَحَ اللهُ صَدْرَ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ ونوَّره؛ فكان قلباً رحيماً، فقال: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ [الشَّرح: ١]، وشَرَحَ اللهُ صُدُورَ الذين اتَّبعوه وآمنوا به، فقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزُّمَر: ٢٢].

وقطع الإسلامُ كلَّ سبيلٍ إلى الحزن، إذْ أنَّه يُضعِفُ القلبَ ويُوهِنُ العزمَ ويَمنعُ العبدَ من النُّهوضِ والتَّشميرِ والسَّيرِ إلى الله، قال ابن القيِّم رحمه الله: «ولهذا لم يأمرِ اللهُ به في موضعٍ قط، ولا أثنى عليه، ولا رتَّب عليه جزاءً ولا ثواباً؛ بل نَهى عنه في غيرِ موضع، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ [آل عِمران: ١٣٩]».

وقد نهى اللهُ رسولَه ﷺ عنه فقال: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [النّحل: ١٢٧]، وقال النَّبيُّ ﷺ لصاحبه الصِّدِّيق رضي الله عنه: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التّوبَة: ٤٠]، وكان النَّبيُّ ﷺ يتعوَّذُ من الحُزنِ كثيراً ويُكْثِرُ منه في دعائِه، قال أنس رضي الله عنه: «كنت أسمع النَّبيَّ ﷺ كثيراً يقول: **اللهم إني أعوذُ بك من الهَمِّ والحُزْن، والعَجْزِ والكَسَل، والبُخْلِ والجُبْن، وضِلَعِ الدَّيْن، وغلَبَةِ الرِّجَال**» رواه البخاري.

والحُزنُ من أبوابِ الشَّيطان على العبد، قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المجادلة: ١٠]. وإذا اشتد أعاق عن النُّطقِ والبيانِ

في القول، قال موسى عليه السلام: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ [الشُّعَرَاء: ١٣]، وقد يَسْرِي ضررُه على أعضاءِ الجسد، قال جلَّ وعلا عن يعقوب عليه السلام: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يُوسُف: ٨٤].

والعيشُ لا يطيبُ إلا بفراقه؛ فكان زوالُه من نعيم الجنَّة، قال سبحانه: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]، وأصحابُ الجنَّة يَحمَدون الله أن أذهب عنهم الحُزن ونجَّاهم منه، قال عز وجل عنهم: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فَاطِر: ٣٤]، ونهى النَّبيُّ ﷺ عن كلِّ قولٍ أو فعلٍ يُحزِنُ المسلم؛ فحرَّم أن يتناجى اثنان دون الثَّالث، وقال: «**إنَّ ذلك يُحْزِنُه**» متفق عليه. قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والحُزْنُ لم يأمرِ اللهُ به ولا رسولُه؛ بل قد نَهى عنه في مواضع وإن تعلّق بأمر الدِّين».

والذَّنبُ يَقبِضُ الصَّدرَ ويُثْقِلُ الظَّهر ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۞ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشَّرح: ٢-٣]، ومن اتَّبع هواه وجد أثناء ذلك من الآلام ما لا يُعبَّر عنه، ومن أعرض عن ذكر الله أُذِيقَ من ضيق الصَّدر وشدَّةِ الحرص ونكَدِ الدُّنيا والتَّحسُّرِ على فواتها قبل حصولها وبعد نوالها، قال سبحانه: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجنّ: ١٧].

وللغفلةِ تأثيرٌ في ضيق الصَّدر، قال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]. وقولُ: «لو أنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا» جزعاً على القدر؛ ذريعةٌ إلى عملِ الشَّيطان، وهي لا تجدي سوى النَّدمِ والحُزن، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**فإنَّ لو تفتحُ عملَ الشَّيطان**» رواه مسلم.

والعاصي ينقلبُ عملُه حُزناً وثُبُوراً، وإن تنعَّم ظاهرُه، ولو لَبِسَ وأكلَ ما شاء، وسكن حيث شاء؛ فإن قلبَه مالم يخلُص إليه نورُ الطَّاعة فهو مكظوم.

والمؤمنُ المخلصُ لله: أطيبُ النَّاس عيشاً وأنعمُهم بالاً، وأشرحُهم صدراً، وهذه جنةٌ له عاجلة قبل جنة الآخرة. وعلى حسب كمال الإيمان وقوتِه وزيادتِه يكون انشراحُ صدرِ صاحبِه، وعلى قَدْرِ بُعْدِه عن الله يكون انقباضُ قلبه، قال ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ودوامُ الذِّكر من أسباب انشراح الصَّدر ونعيمِ القلب، قال ﷻ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨]، والتَّعلُّقُ به جلَّ وعلا والتَّوكُّلُ عليه وتفويضُ الأمور إليه؛ يفتح للقلب بابَ السُّرورِ واللَّذةِ والابتهاج، قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يُوسُف: ٨٦]، وما دُفِعَتْ شدائدُ الدُّنيا وأحزانُها بمثل اللُّجوءِ إليه وطاعتِه، وكان النَّبيُّ ﷺ «**إذا حَزَبَه أمرٌ صلَّى**» رواه أبو داود.

وأمرَ اللهُ نبيَّه بالذِّكرِ والصَّلاةِ في أوقات أذيَّة المخالفين له ووَجْدِه عليهم، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحِجر: ٩٧-٩٨]، ومن لزمَ الاستغفار؛ جعل الله له من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً، ورَزَقَهُ من حيث لا يحتسب. والإحسانُ إلى الخلق ونفعُهم؛ يُفرِحُ القلب، ويُسْعدُ النَّفس، ويَجلبُ النِّعم.

وأرشدَ النَّبيُّ ﷺ إلى طعامٍ يزيحُ الغموم، ويريحُ الهموم، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**التَّلْبِينَةُ: مُجِمَّةٌ لفؤادِ المريض، وتَذْهَبُ ببعضِ الحُزن**» متفق عليه، و«التَّلْبِينَةُ»: حِساءٌ من دقيقٍ أو نُخالة، و«مُجِمَّةٌ لفؤادِ المريض» أي: تُريحُ قلبَه، وتزيلُ عنه الهم.

وفي الإسلامِ أقوالٌ تريح من ظُلَم الأحزان، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ما أصاب أحداً قطُّ همٌّ ولا حُزن، فقال: اللَّهمَّ إني عبدُك وابنُ عبدِك وابنُ أَمتِك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤُك، أسألك بكلِّ اسمٍ هو لك سمَّيتَ به نفسَك، أو علَّمتَه أحداً من خلقك، أو أنزلتَه في كتابك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك، أن تجعلَ القرآنَ العظيمَ ربيع قلبي، ونورَ صدري، وجِلاءَ حزني، وذهابَ همِّي، إلا أذهب الله همَّه وحزنَه، وأبدلَه مكانه فرحاً**، قالوا: يا رسول الله ألا نتعلَّمُها؟ فقال: **بلى، ينبغي لمن سمعَها أن يتعلَّمَها**» رواه أحمد، وكان النَّبيُّ ﷺ يقول عند الكرب: «**لا إله إلا اللهُ العظيمُ الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرشِ العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السَّموات وربُّ الأرض وربُّ العرش الكريم**» متفق عليه. ودعوةُ ذي النُّون ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ما دعا بها مكروبٌ قطّ، إلا فرَّج الله كربه.

والصَّبرُ والاسترجاعُ بقولِ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٦]؛ خيرُ عوضٍ عن الحُزن، وحسراتُ القلب يُطفِئُها الرِّضا بأمرِ الله، وما مضى لا يُدفع بالحُزن والألم؛ بل بالرِّضا والحمدِ والصَّبرِ والإيمانِ بالقدر، وبقول العبد: «قدَّر اللهُ وما شاءَ فعل»، وما يُستقبَل لا يُرفَعُ بالهَمّ، فإن كان له

قدرةٌ في دفعه؛ فلا يَعجَزْ عنه، وإن لم يكن له قدرة على دفعه؛ فلا يَجزعْ منه؛ بل يقابلُه بالرِّضا والتَّسليم.

والحُزن ـ وإن طال ـ فلَه انْجِلَاء، وكلَّما اشتدَّ لَاحَ الفَرَج، والحزنُ يَبْلَى كما يَبْلَى الثَّوب، والفرجُ مع الكرب، ومع العسر يسر. والسُّرورُ في القناعة، والحُزنُ في الجزع، ولا حُزْنَ لمن كان مع الله ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التّوبَة: ٤٠].

ومن أسرارِ سرورِ القلب: تركُ الآثام، وإذا قابل العبدُ بين نعم الله المتوالية عليه وبين ما قد ينزل به من بلاء؛ وجد نعم الله هي السَّابغة، قال ﷻ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. والنَّظر إلى أهل البلايا يخفِّفُ المصاب، قال النَّبيُّ ﷺ: «**انظروا إلى من هو أسفلَ منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقَكم؛ فإنه أجدرُ ألا تزْدَرُوا نعمةَ الله عليكم**» متفق عليه.

وبالسَّلامةِ من فتَن الشُّبهات والشَّهوات؛ يجتمعُ الهدى والفلاح، والحياةُ قصيرةٌ؛ فلا تكدِّرْها بالعصيان والهموم، والاسترسالِ مع الأكدار.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشَّرح: ٥-٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

شفاءُ الغمومِ والأحزانِ ونحوِها من أمراضِ القلب في التَّوجُّه إلى الله بطلبِ رفعِها، وفعلِ الأسبابِ لزوالها، قال سبحانه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، ولئن بُلِي العبدُ بشيءٍ من الهمِّ والغمِّ مع فعل الأسباب لدفعها؛ كان تكفيراً لخطاياه، قال النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ما يصيبُ المسلمَ نَصَبٌ، ولا وَصَبٌ، ولا هَمٌّ ولا حَزَنٌ، ولا أذى، حتى الشَّوكةُ يُشاكُها؛ إلا كفَّر الله بها من خطاياه**» متفق عليه. فالزموا طاعةَ الله في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ تسعدوا.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللهَ أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

خصائصُ أُمَّةِ محمَّد ﷺ

إنَّ الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فعندَ الله للأتقياءِ المَزيد، ولهم النَّجاةُ يومَ الوعيد.

أيُّها المسلمون:

خلقَ اللهُ الخلقَ وفاضَلَ بينهم؛ فَخَلقَ آدمَ بيدِه وأسجدَ له الملائكةَ تكريماً له، ثم أهبطَه وزوجَه إلى الأرض، وتفرَّقَت الذُّرِّيةُ في الأمصارِ وطالَت بهم الأزمان، وجعلَهم في الأرضِ أُمماً مُتفَاضِلين، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وخصَّ هذِه الأمَّةَ بالفَضْلِ والتَّكريم على سائرِ الأُمَم، قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ [الحجّ: ٧٨] قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرمُهَا عَلَى الله**» رواه الترمذي. وجاءَ القُرآنُ بِمَدْحِها

والثَّناءِ عليها، قال جلَّ شأنُه: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠] قال ابنُ عبَّاس: «أي: شرفكم».

وقد فاقَتِ الأُمَمَ في خيريَّتِهَا لقِيامِهَا بأُسُسِ الدِّين ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عِمرَان: ١١٠] قال القُرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا مدْحٌ لهذه الأمَّة ما أقامُوا ذلك واتَّصفُوا به، فإذا تركوا التَّغييرَ وتواطَؤُوا على المُنكَر؛ زالَ عنهم اسمُ المَدْحِ ولَحِقَهُم اسمُ الذَّمِّ، وكان ذلك سبباً لهلاكِهم».

ولكمالِ دينِهَا وأفضَليَّتِها نسَخَ اللهُ جميعَ الأديان بدينها، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾ [آل عِمرَان: ١٩]، ولا يقبَلُ اللهُ من أحدٍ ديناً سِواه، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عِمرَان: ٨٥]، وأمَرَ جَمِيعَ الخلقِ باتِّباعِه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ ـ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ـ ثُمَّ يِمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**» رواه مسلم، وأخذَ اللهُ المِيثَاقَ على الأَنبياءِ ليتَّبِعُوهُ إنْ بُعِثَ فيهم، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيّاً مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**» رواه أحمد، وأخبَرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ الإسلامَ سيبلُغُ الآفاق، فقال: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**» رواه مسلم. ووعَدَ الله بنشرِه في جميعِ الأرض، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ** ـ أي: الدِّين ـ **مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ؛ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّين، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ**» رواه أحمد. وحفِظَ الله لهذِه الأمَّةِ دينَهَا ووعَدَ بإظهارِه، فقال جلَّ

شــأنُــه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصَّف: ٩].

وكتابُها نورٌ وهُدىً وموعظة، هيمَنَ على جميع الكُتب السَّابِقة حافِظاً لها وأميناً عليها، قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقد حفِظَه اللهُ تعالى من التَّبديلِ والتَّحريفِ والزِّيادةِ والنُّقصان ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجر: ٩]، ومِنْ حِفْظِ القرآنِ حِفظُ السُّنَّة بالإسنادِ والرِّواية، فهي أحدُ الوَحيَيْن، قال أبو حاتم الرَّازيّ رحمه الله: «لم يكنْ في أمَّةٍ من الأُمَم ـ منذُ خلقَ اللهُ آدمَ ـ أمَّةً يحفَظون آثارَ نبيِّهم وأنسابَ سلَفِهم؛ مثلُ هذه الأمَّة».

ونبيُّها خيرُ الأنبياء، قال عن نفسِه: «**أنا سيدُ ولد آدم يومَ القيامة**» رواه مسلم. وصلَّى الأَنبياءُ خلفَه في بيتِ المقدسِ في الإسراء، وأُعطِيَ جوامِع الكلِم، وبعثَه الله إلى النَّاس كافَّة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سَبَإ: ٢٨]. وخُتِم به النَّبيُّون، قال ابن كثيرٍ رحمه الله: «وإنما حَازَت هذه الأمَّةُ قَصَبَ السَّبقِ إلى الخيراتِ بنبيِّها محمَّدٍ ﷺ؛ فإنه أشرفُ خَلْقِ الله، وأكرمُ الرُّسُلِ على اللهِ، وبعثَه اللهُ بشرعٍ كاملٍ عظيمٍ لم يُعطِه نبيّاً قبلَه ولا رَسولاً من الرُّسُل، فالعملُ على منهاجِه وسبيلِه، يقومُ القليلُ منه ما لا يقومُ العملُ الكثيرُ من أعمالِ غيرِهم مقامَه». وصحابتُه رضي الله عنهم هم خيرُ رجالٍ بعد الأنبياء، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**» رواه البخاري.

وكما حفِظَ الله دينَه حفِظَ رجالاً يقومون به في الأمصارِ وعلى مرِّ العُصور، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى**

الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» رواه مسلم. وعلماؤُها ورثَةُ الأنبياء، ولا يجتمِعون على ضلالة، وعلَى رأسِ كلِّ قرنٍ يبعثُ الله من يُجدِّدُ لها أمرَ دينِهَا، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**» رواه أبو داود.

وهي شاهِدةٌ على جميع الأُمَمِ بأنَّ رُسُلَهُم قد أنذرَتْهم، قال جلَّ وعلا: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: ١٤٣]، وهي عدلٌ خِيارٌ في الأمم، قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البَقَرَة: ١٤٣].

وتشريعاتُها كذلك تامَّةً كاملةً مُوافِقةً للفِطرَة، وأحكامُها على التَّيسير، قال جلَّ شأنُه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥]، وقد ضُيِّق على الأُمَمِ في شرائِعِهِم ووسَّع اللهُ على هذه الأمَّةِ أمورَها، وسهَّلَهَا لهم؛ فمن يُسرِهَا: أنَّ الأرضَ مسجدٌ وطهورٌ لها؛ فـ «**أَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَعِنْدَهُ مَسْجِدُهُ وَطَهُورُهُ**».

وشُرِع التيمُّمُ والمسحُ على الخُفَّين تخفيفاً لها، وعباداتُها مُفضَّلةٌ على عباداتِ الأُمَمِ السَّابِقة؛ فصلواتُها خمسٌ في العددِ ولكنَّها خمسونَ في الأجر، وصُفوفُها كصُفُوفِ الملائِكةِ عند ربِّها؛ يُتِمُّون الصُّفُوفَ الأُوَل ويتراصُّون في الصَّفّ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ المَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِداً، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُوراً إِذَا لَمْ نَجِدِ المَاءَ**» رواه مسلم.

وفي المآكِلِ والمشارِبِ أباحَ اللهُ لها طيِّباتٍ كثيرةً لِيَستَعينُوا بها على طاعتِه، ومَنْ قبلَنا وقَعُوا في الظُّلم فَحَرَمَهُم طيِّباتٍ مُباحة عقوبةً لهم، قال سبحانه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٦٠].

ووضعَ عنها آصاراً وأغلالاً كانت على من قبلَها، قال سبحانه: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]؛ فتوبةُ سابِقِينَا بقَتْلِ نُفُوسِها، قال ﷻ: ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، وتوبةُ هذه الأمَّة: تَرْكُ الذَّنب، والنَّدمُ على فعلِه، والعزمُ على ألا يعود.

والقِصاصُ في النَّفسِ والجِراحِ كان حتماً في التَّوراةِ على اليهود، ولم يكن لهم أخذُ الدِّيَة، وكان في شرعِ النَّصارى الدِّيَةُ ولم يكن لهم فيها القِصاص؛ فخيَّرَ الله هذه الأُمَّةَ بين القِصاصِ والعفوِ والدِّيَة، وقال: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وأُحِلَّت لها المغانِمُ وكانت مُحرَّمةً على من سبقَها ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩]. ورُفِع عنها إثمُ الخطأ والنِّسيانِ وما استُكرِهُوا عليه، والوَسْوَسَةُ في الصُّدور لا تُؤاخَذُ به ما لم تعمَلْ أو تَتكلَّم.

وأمراضٌ أنزلَها اللهُ بلاءً وعذاباً على الأُممِ السَّابقة، وهذِه الأمَّةُ من أُصِيبَ بِهَا فمات منهم بها وهو مؤمنٌ كان شَهِيداً، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**» متفق عليه.

أمَّةٌ مُهَابةٌ في القلُوبِ بين الأُممِ إنْ تمسَّكَتْ بدينِهَا، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**». ولعِزَّتِهَا وكمالِ دينِهَا نُهِيَتْ عن مُشابَهةِ الكَافِرِينَ في المُعتقَد؛ فنُهِيَتْ عنِ البنَاءِ على القبورِ أو اتِّخاذِهَا مساجِد، «**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**» رواه مسلم.

ونُهِيَتْ عن الصُّور، قال عليه الصَّلاة والسَّلام ـ لأُمِّ سلمةَ رضي الله عنها لمَّا رأَتْ كَنِيسةً فيهَا تصاوِير، قال ـ: «**أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ العَبْدُ الصَّالِحُ ـ أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ ـ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ**» رواه البخاري. ونُهِيَتْ عن مُشابَهةِ الأُممِ في الظَّاهِر؛ فأُمِرَتْ بإرخاءِ اللِّحَى وحلقِ الشَّارب، وعن مُشابَهَتِهَا في عبادَتِها؛ فَأَكْلَةُ السَّحورِ مُخَالفةٌ لأهلِ الكتاب، ونُهِيَتْ عن التَّشبُّهِ بالأَعرابِ والبهائِم، وخُصَّت بعيدَيْنِ لا ثالثَ لهما.

وبقاءُ أمَّةِ محمَّدٍ ﷺ في الدُّنيا قليل، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ، كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ العَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ**» رواه البخاري، وأعمارُ أفرادِها بين السِّتِّينَ والسَّبعين، ولكنَّها أُمَّةٌ مُبارَكة، شبَّهَها النَّبيُّ ﷺ بالغيث، فقال: «**مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ المطَرِ**» رواه الترمذي، فبُورِك لها في بُكُورِهَا، وبَارَكَ تعالى في ليلِها ونهارِهَا، فأعمالٌ صالحةٌ في أيَّامٍ وليالٍ عن شهورٍ وأعوام؛ فليلةُ القدرِ عن ألفِ شهر، وصومُ عرفةَ يُكفِّرُ السَّنةَ الماضيةَ والباقية، وصيامُ عاشُوراء يُكفِّرُ السَّنَةَ الماضية، وصيامُ ثلاثةِ أيَّامٍ من كلِّ شهرِ كصيامِ سنة.

وتكرَّمَ عليهَا بأمكِنةٍ فاضِلةٍ مُبارَكة؛ فصلاةٌ في المسجدِ الحرامِ عن مئةِ ألفِ صلاة، وصلاةٌ في المسجدِ النَّبويِّ عن ألفِ صلاةٍ فيما سِواه إلا المسجد الحرام، وصلاةٌ في المسجدِ الأقصى عن خمسِ مئةِ صلاة.

وأعمالٌ يسيرةٌ شرعَها الله لها وثوابُها عندَه عظيم؛ فمنْ صلَّى العشاءَ في جَماعةٍ فكأنَّمَا قامَ نصفَ اللَّيل، ومن صلَّى الفجرَ في جماعةٍ فكأنَّما قامَ

اللَّيلَ كلَّه، ومن قرأَ حرفاً من القُرآنِ فلَه بكلِّ حرفٍ حسنة، و«من قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ حُطَّتْ عَنْهُ خطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»، و«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ؛ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّة»، و«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مئةَ مَرَّةٍ؛ كُتِبَتْ لَهُ ألفُ حسنةٍ، أوْ حُطَّتْ عنهُ أَلْفُ خطيئةٍ»، و«مَنْ صلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وليلةٍ؛ بنَى اللهُ لَهُ بِهِنَّ بيتاً في الجَنَّة».

أمةٌ مُوفَّقةٌ للخير؛ وُفِّقَت لخير يوم طلَعَتْ عليه الشَّمس، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**هُدِينَا إِلَى الجُمُعَة، وَأَضَلَّ اللهُ عَنْهَا مَنْ كَانَ قَبْلَنَا**» رواه مسلم، والسَّلامُ هُدِيَتْ له هذِه الأُمَّة بصِيغتِه وكثرةِ ثوابِهِ، وحُرِمَ غيرُنَا منه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَا حَسَدَتْكُمُ اليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ**» رواه . . . .

وأُجورُها مُضاعفةٌ مرَّتين، قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَكُمُ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ؛ فَغَضِبَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلاً وَأَقَلُّ عَطَاءً! قَالَ اللهُ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئاً؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَإِنَّهُ فَضْلِي، أُعْطِيهِ مَنْ شِئْتُ**» رواه البخاري.

والقابِضُ على دينِهِ في آخرِ الزَّمانِ له أجرُ خمسينَ من الصَّحابة، وللصَّحابةِ أكثرُ من ذلكَ الأجر، والعبادَةُ في الهَرْجِ ـ أي: الفِتَن ـ كَهِجرةٍ إلى النَّبيِّ ﷺ.

وفضائلُها ظَهَرَت لغيرها منَ الأُممِ لتَلْحَقَ الأممُ بها، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**فَمَنْ آمَنَ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ**»، قال جلَّ شأنُه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ

ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القَصَص: ٥٢-٥٤].

وكمَا أكرمَهَا اللهُ بالدِّين فتحَ لها منْ أرزاقِ الدُّنيا مَا لم يُفتَحْ لغيرِها، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**وَأُعْطِيتُ الكَنزَيْنِ: الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ** ـ أي: الذَّهبَ والفِضَّة ـ» رواه مسلم، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي**» رواه البخاري. قال أبو هريرة رضي الله عنه: «وقد ذهبَ رسولُ الله ﷺ وأنتُم تَنْتَثِلُونَهَا ـ أي: تستخرِجُون ما فيها من الخيراتِ والكُنوز ـ».

ومنَعَ الله بفضلِه عن هذِهِ الأُمَّةِ أنْ تُهْلَكَ جميعاً بالجُوعِ أو الغَرَق، كما هلَكَتْ أُممٌ مِنْ قبلِنا بالرِّيحِ والخَسْفِ والصَّيْحَةِ والغَرَق، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثاً؛ فَأَعْطَانِي ثِنتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً؛ سَأَلْتُ رَبِّي أَلَّا يُهلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ** ـ أي: بالجُوع ـ **فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتِي بالغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا**» رواه مسلم، وأَعطاهُ اللهُ أَلَّا يُسلِّطَ عليهم عدوّاً من سِوَى أنفُسِهم ولو اجتمعَ عليهم مَنْ بأقطَارِها، وأعطَى اللهُ لأُمَّتِنَا أَمَانَيْنِ يَمنعُهَا من العذاب؛ فحياةُ النَّبيِّ ﷺ أَمَان ـ وقد زالَ ذلكَ الأمانُ بوفاتِه ـ، والأَمَانُ الآخرُ استِغفارُ اللهِ تعالى، قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفَال: ٣٣].

وكمَا أُكرِمَتْ هذه الأمَّةُ في حياتِها أُكرِمَتْ بعد مماتِها؛ فاللَّحْدُ في القبرِ لنَا والشَّقُّ لغيرِنَا، وأولُ من يَنْشقُّ عنه القبرُ في المحشَرِ نَبيُّ هذِه الأُمَّة، وهُو أولُ شافِعٍ وأوَّلُ مُشفَّع.

وتُعرَفُ هذه الأمةُ في عَرْصَة القيَامةِ من بينِ سائرِ الأُمم بِبَيَاضٍ في أعضاءِ وُضوئِهَا، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ**» رواه البخاري.

ولكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مُستجابة، والنَّبيُّ ﷺ اخْتبَأَ دَعْوتَهُ لأُمَّتِه يومَ القيامة؛ قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً**» متفق عليه.

وأوَّلُ من يُجيزُ الصِّراطَ هذهِ الأمَّة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ**» رواه مسلم.

ونحن الآخرُون السَّابِقون يومَ القيامة؛ فنَبيُّنا ﷺ أوَّلُ من يَستفتِحُ بابَ الجنَّة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ** ـ أي: أطلبُ فتحَهُ ـ، **فَيَقُولَ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّد، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**» رواه مسلم.

وأولُ الأُممِ دُخولاً لَهَا أمَّتُه، وهُم أكثرُ أهلِ الجنَّة، صُفُوفُهُم فيها ثمانُونَ صفّاً، وسائرُ الأُممِ أربعونَ صفّاً ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أَهْلُ الجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِئَةُ صَفٍّ، وَهَذِهِ الأُمَّةُ مِنْ ذَلِكَ ثَمَانُونَ صَفّاً**» رواه أحمد. وفيهِم «**سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**» متفق عليه. قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**فاستزَدْتُ ربي عَزَّ وَجَلَّ فزادَني مع كلِّ واحدٍ سبعين ألفاً**» رواه أحمد.

وبعد؛ أيُّها المسلمون:

فالمُؤمنُ من هذِهِ الأُمَّةِ مُفَضَّلٌ مُكرَّمٌ مُشرَّفٌ منصور، حقيقٌ بِهِ أنْ يعتزَّ بدينِه، وأنْ يتمسَّكَ به، وأنْ يدعُوَ غيرَهُ إليْه، وألَّا يتشبَّه بأهلِ الباطِل، وأنْ يحمدَ اللهَ على كونِهِ من هذِه الأُمَّة ويتزوَّدَ منَ الصَّالِحات.

أعوذ بالله من الشَّيطانِ الرَّجيم

﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

لا يعظُمُ فَردٌ منْ أفْرَادِ هذهِ الأُمَّةِ إلَّا بالعملِ بأُصولِ دينِهَا وشرائِعِهَا ـ من توحيدِ اللهِ وتحقيقِ شهادةِ أنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ وإتقانِ العبادةِ والإحسانِ للخلق ـ، ومن فاتَه الخيرُ الذي فيها لم ينفَعْه كونُه منها، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سبإ: ٣٧]، وقد رأى أقوامٌ النَّبيَّ ﷺ ولم يُؤمِنوا به، فلم ينتفِعُوا بذلك، ومن أهانَهُ اللهُ لم يُكرِمْهُ أحد، والفضلُ والتَّكريمُ في الإيمانِ والاتِّبَاعِ والمُسابَقةِ إلى الخيرات واغتِنامِ الفضائل.

ثُمَّ اعلموا أنَّ اللهَ أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مناقبُ الفاروق رضي الله عنه

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عِبادَ الله ـ حقَّ التَّقوَى، وراقِبوه في السِّرِّ والنَّجْوى.

أيّها المسلِمون:

خَلقَ اللهُ الخلقَ لعبادتِه، وأرسلَ رُسلَه، وأنزلَ كُتبَه، واصطفى مَنْ شاءَ من عبادِه؛ ففضَّلَ النَّبيِّينَ بعضَهم على بعض، وفضَّل الرُّسلَ على الخلق ـ وأولُوا العزمِ أفضلُ مِن سائرِ الرُّسل ـ، وفضَّلَ السَّابقينَ الأوَّلين من المهاجرين والأنصار على غيرِهم، وكلُّ خيرٍ فيه المسلمون فإنَّما هو ببركةِ ما فعله الصَّحابةُ رضي الله عنهم الذين بلَّغوا الدِّين.

وأفضلُ الصَّحابةِ الخلفاءُ الرَّاشدون الأربعة الذين خلَفُوا النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في أمَّته عِلْماً وعملاً، وكلٌّ منهم له سعيٌ مشكورٌ وعملٌ مبرور، وآثارٌ خالدةٌ في الإسلام. وأبو بكرٍ وعمرُ رضي الله عنهما هما ساداتُ أهل الجنَّةِ بعد الأنبياء، ومعرفةُ

فضائلِهما من أسبابِ محبَّتِهما، قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «حُبُّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَمَعْرِفَةُ فَضَائِلِهِمَا مِنَ السُّنَّة» قال ابن الجوزيِّ رحمه الله: «وكان السَّلَفُ يُعَلِّمُونَ أَوْلَادَهُمْ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَر، كَمَا يُعَلِّمُونَهُمُ السُّورَةَ مِنَ القُرْآن». وأبو بكرٍ أكملُ الصَّحابةِ وأسبقُهُم إلى الخيرات، وأتقى الأمَّةِ بعد نبيِّها وأكملُهُم إيماناً، وَاسَى النَّبيَّ ﷺ بنفسِه ومالِه، وكان صاحبَه في هجرته، وأحبَّ الصَّحابةِ إليه.

وخليفةُ أبي بكرٍ ورفيقُه: أميرُ المؤمنين، الفاروقُ أبو حفصٍ عمرُ بنُ الخطابِ بنِ نُفَيْلٍ القرشي، ثاني الخلفاءِ الرَّاشدين، وأحَدُ العشرةِ المبشَّرين بالجنَّة، قويُّ الإيمانِ والدِّين، ذو الفِراسةِ والفطنةِ والذَّكاء، والهيبةِ والشَّجاعةِ والدَّهاء، مِنْ أشرافِ قريشٍ في الجاهليَّة، وله المكانةُ الرَّفيعةُ عندهم ـ إذ كانت تَبْعَثُه رسولاً إلى القبائل إذا ما وقعت الحروبُ بينهم، أو بينهم وبين غيرهم ـ.

أسلَمَ وعمرُه سبعةٌ وعشرون عاماً؛ فأصبح في الإسلام الصَّحابيَّ الشُّجاعَ العظيم، الحازمَ الرَّحيم، العادلَ الحكيم، ومِنْ علمائِهم وعظمائِهم ونبلائِهم. أسلَم بعد بعثةِ النَّبيِّ ﷺ بستِّ سنوات بعد تسعةٍ وثلاثين رجلاً؛ فسبقهم في الفضلِ والمنزلةِ سِوى أبي بكرٍ.

أحبَّه النَّبيُّ ﷺ وقرَّبَه إليه وأدناهُ منه، قال عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «أيُّ النَّاسِ أحبُّ إليك يا رسُول الله! قال: **عائشة**، قلت: فمِنَ الرِّجال؟ قال: **أبوها**، قلت: ثم مَنْ؟ قال: **عمرُ بنُ الخطاب**» متفق عليه، ذُو الرَّأيِ الثَّاقبِ والعقلِ الرَّاجح، كان رسولُ الله ﷺ يُشاوره في الأمورِ العِظام؛ فشاوَرَه في أُسَارَى بدرٍ وقال له: «**ما ترى يا ابنَ الخطَّاب؟**» رواه مسلم.

وأمرَ النَّبيُّ ﷺ بالاقتداءِ به فقال: «**اقتدُوا باللَّذيْن من بعدي: أبي بكرٍ وعمر**» رواه الترمذي. قال الشَّافعيُّ رحمه الله: «لم يختلف أحدٌ من الصَّحابةِ والتَّابعين في تفضيلِ أبي بكرٍ وعمرَ على جميع الصَّحابة»، وكان الصَّحابةُ يُجِلُّونَه في حياةِ النَّبيِّ ﷺ، قال ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا نقولُ ورسولُ الله ﷺ حيٌّ: أفضلُ أمّةِ النَّبيِّ ﷺ بعده: أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان» رواه أبو داود.

كان معظِّماً للنَّبيِّ ﷺ ومحبّاً له، لما سمع بوفاةِ النَّبيِّ ﷺ ولم يتيقَّنِ الخبر قال: «لا أسمعُ أحداً قال: إنَّ محمَّداً مات إلا ضربتُ عنقه؛ فلما أيقن بوفاتِه قال: عُقِرْتُ حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلَايَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ». ومِنْ أشدِّ المقْتَفين لأثَرِ النَّبيِّ ﷺ لَمَّا قبَّلَ الحجرَ الأسود قال: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ» متفق عليه.

مِنْ أشدِّ النَّاسِ حرصاً على العلم، كان يتناوبُ مع رجلٍ من الأنصار مجالسَ النَّبيِّ ﷺ؛ لئلَّا يفوتَه شيءٌ من العلم، وشهدَ له النَّبيُّ ﷺ بالعلمِ الرَّاسخ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ؛ فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الخَطَّاب**، قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **العِلْم**» متفق عليه.

وهو أعلمُ الصَّحابةِ وأفهمُهُم في دين الله بعد الصِّدِّيق، كان يقضي ويُفتي ويُعلِّمُ الصَّحابةَ القرآن، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «أتيتُ عمرَ بنِ الخطَّاب فقمتُ له وهو يسبِّح بعد الصَّلاةِ فانتظرتُه؛ فلما انصرف دنوتُ منه، قلت: أَقْرِئْني آياتٍ من كتابِ الله؟ فأَقْرَأَني آياتٍ من سورةِ آلِ عمران»، قال

ابن مسعود رضي الله عنه: «لو أنَّ علْمَ عمرَ وُضِعَ في كِفَّةِ ميزان، ووُضعَ عِلْمُ أحياءِ الأرض في كِفَّة؛ لرَجَحَ عِلْمُ عمرَ بعلمِهم».

له فضلٌ على أمَّةِ محمَّدٍ ﷺ؛ فهُو أوَّلُ مَنْ جمعَ القرآنَ في المِصْحَف، وأوَّلُ مَنْ جمعَ النَّاس على إمامٍ في صلاةِ التَّراويح، وأوَّلُ من أرَّخَ التَّاريخَ الهجري، وأوَّلُ من فتَح الفتوحَ ومصَّرَ الأمصارَ واستَقْضى القُضاةَ في البلدان.

رجلٌ مُلْهَم؛ كلامُه من أجمعِ الكلام وأكملِه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ** ـ أي: مُلْهَمُون ـ، **فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ؛ فَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ**» متفق عليه. قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إِنِّي لأَحْسِبُ أَنَّ بَيْنَ عَيْنَيْ عُمَرَ مَلَكٌ يُسَدِّدُهُ وَيُقَوِّمُه». كان خطيباً فصيحاً مَهيباً، ذا قوَّةٍ وشَكِيمَة، أسلمَ وجهَرَ بإسلامِه وهجرتِه، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما كنَّا نقدِرُ على أن نصلِّيَ عند الكعبة؛ حتى أسلمَ عمر، فلما أسلم عمرُ قاتلَ قريشاً حتى صلَّى عند الكعبة وصلَّينا معه».

عَلَمٌ مِنْ الأعلام فَرِحَ الصَّحابة بإسلامه، قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «إسلامُ عمرَ كان فتحاً، وهجرتُه كانت نصراً»، وقال: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ». مستمسكٌ بدينه مفتخرٌ به، قال للنَّبيِّ ﷺ في الحديبية: «أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: **بَلَى**، قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: **بَلَى**، قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا» متفق عليه.

قويٌّ في دينِ الله عظيم، كان الشَّيطانُ يَفِرُّ منه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**يا ابنَ الخطَّاب! فوالذي نفسُ محمَّدٍ بيده! مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ**

سَالِكاً فَجّاً؛ إِلَّا سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ» متفق عليه، فنصر الله به الدِّين وانتشر في الآفاق وقويت شوكةُ المسلمين وتحقَّقت فيه دعوةُ النَّبيِّ ﷺ **«اللهم أعزَّ الإسلامَ بعمر»** رواه ابن ماجه. قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وفي زمنه: انتشر الإسلام، وظهر ظهوراً لم يكن قبله مثله»، كان شجاعاً مِقْداماً لم يتخلَّف عن غزوةٍ غزاها النَّبيُّ ﷺ، لم يكن أحدٌ من الصَّحابة أشجع منه سوى أبي بكر، قال ابنُ إسحاق رحمه الله: «كَانَ رَجُلاً ذَا شَكِيمَةٍ، لَا يُرَامُ مَا وَرَاءَ ظَهْرِه»، ثَبَتَ مع مَنْ ثَبَتَ في أُحدٍ وحُنَين مع النَّبيِّ ﷺ حين تفرَّق الجمع، ولم ينهزم مع من هُزِم. وخافه ملوكُ الفُرسِ والرُّوم، ووُضعَ تاجُ كسرى بين يديه.

عابدٌ لله قانت، كثيرُ الصَّلاة في اللَّيل كثيرُ الصِّيام، قال زيادُ بن حُدَيْر رحمه الله: «رأيتُ عمرَ أكثرَ النَّاس صياماً، وأكثرَهم سواكاً». يحبُّ الصَّلاةَ ويأمرُ بها، ويقول: «لَا حَظَّ فِي الإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ». وكان يحجُّ كلَّ عامٍ في خلافته.

مخبتٌ إلى ربِّه أواهٌ إليه، يعمل صالحاً ويدعو ربَّه أن تكون أعمالُه كُلُّها صالحةً خالصة، كان أكثرُ دعائِه: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحاً، وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِك خَالِصاً، وَلا تَجْعَلْ لأَحَدٍ فِيهِ شَيْئاً».

مكثرٌ من تلاوةِ كتابِ اللهِ العظيم، خاشعٌ فيه متدبرٌ له، قال عبد الله ابن شداد رحمه الله: «سمعت عمرَ يقرأ في صلاةِ الصُّبح سورةَ يوسفَ؛ فسمعتُ نشيجَه وإنِّي في آخرِ الصُّفوف، وهو يقرأ ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يُوسُف: ٨٦]»، وقَّافٌ عند آياتِ الله، لما نزل قولُه: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المَائدة: ٩٠] قال: «انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا».

ذو بذلٍ وصدقةٍ وإنفاق، أمرَ عليه الصَّلاة والسَّلام الصَّحابةَ أن يتصدَّقوا؛ فتصدَّق بنصفِ ماله. واثقٌ بربِّه متوكِّلٌ عليه، خرج يستسقي بالنَّاس فما زاد على الاستغفار حتى رجع قالوا: «يا أمير المؤمنين! ما نراك استسقيت؟ قال: لقد طلبتُ المطرَ بمَجَادِيحِ السَّماءِ التي يستنزل بها المطر ـ يعني: الاستغفار ـ».

شديدُ الخوف من الله، قال أنس رضي الله عنه: «كنت مع عمر؛ فدخل حائطاً، فسمعتُه يخاطب نفسه ـ وبيني وبينه جدار ـ يقول: عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ! بَخٍ بَخٍ، وَاللهِ لَتَتَّقِيَنَّ اللهَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ! أَوْ لَيُعَذِّبَنَّكَ الله».

سليمُ القلبِ ناصعُ السَّريرة، قال أبو جعفرٍ الباقرُ رحمه الله: «في قولِه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣] ـ أيْ: حقد ـ قال: نزلت في أبي بكرٍ وعمر». ينزِّه نفسَه عن الوقوع في أعراضِ النَّاس ويحذِّر منه، يقول: «عَلَيْكُمْ بِذِكْرِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ، وَإِيَّاكُمْ وَذِكْرَ النَّاسِ؛ فَإِنَّهُ دَاء».

مُعْرِضٌ عنِ الدُّنيا مقبلٌ على الآخرة، نَقْشُ خَاتَمِه «كفى بالموتِ واعظاً يا عمر!»، قال معاويةُ رضي الله عنه: «أمَّا أبو بكر فلم يُرِدِ الدُّنيا، وأمَّا عمرُ فأرادتْه فلم يُرِدْها». شديدُ الوَرَعِ في دينِ الله، قال المسور بن مَخْرمة رحمه الله: «كُنَّا نلزَمُ عمرَ نتعلَّم منه الوَرَع».

ناصحٌ مشفقٌ على الأمَّةِ مخلصٌ لها، ولِيَ خلافةَ المسلمينَ عشرَ سنين، ملأَها بالعَدْلِ والنُّصْحِ والرَّحمة، كان يجلس للنَّاسِ بعدَ كلِّ صلاة؛ فمن كانت له حاجةٌ نظرَ فيها. حريصٌ على رعيَّتِه يقول: «لو ضاع جملٌ

ضياعاً على شَطِّ الفرات لخشيت أن يسألنيَ الله عنه»، وصفَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه زمنَه بقولِه: «كانت إمارةُ عمرَ رحمة».

قَرُبَ من ربِّه وتواضعَ فرفعه الله، فتح بيتَ المقدس وأزالَ عنه القَذَى بردائِه، وطهَّره من الأخباث والأنجاس، قال ابن كثيرٍ رحمه الله: «كان متواضعاً في الله، خَشْنَ العَيش، خَشْنَ المَطعم، شديداً في ذات الله، يَرْقَعُ الثَّوبَ بالأديم، ويحملُ القربةَ على كَتِفِه مع عظيمِ هيبتِه». يُقبلُ إليه الشَّريفُ والوضيع، ويُجالسُه الغنيُّ والفقير، سَمَتْ نفسُه فتفقَّدَها، كان يقول: «أحبُّ الناسِ إليَّ من أهدى إلي عيوبي». تمضي عليه الأيَّامُ واللَّيالي لا يجد طعاماً يأكلُه، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «خرج النَّبيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ـ أَوْ لَيْلَةٍ ـ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: **مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟** قَالَا: الجُوعُ يَا رَسُولَ الله» رواه مسلم.

عادلٌ في أحكامِه وقضائِه، إذا أتاه الخصمان بَرَكَ على ركبتيه وقال: «اللهم أعنِّي عليهما؛ فإن كلَّ واحدٍ منهما يريدُني عن دينه». عدلُه بَهَرَ رعيَّته، قال له ابن عباسٍ رضي الله عنهما: «لقد ملأتَ الأرضَ عدلاً».

رحيمٌ بالضُّعفاءِ والفقراء، قال طلحة بن عبد الله: «خرج عمرُ ليلةً في جوفِ اللَّيل فدخل بيتاً؛ فلما أصبحتُ ذهبت إلى ذلك البيت، فإذا عجوزٌ عمياءُ مُقعَدة؛ فقلت لها: ما بالُ هذا الرجل يأتيك، قالت: إنّه يتعاهدُني، ويأتي لي بما يصلحني».

يَعْرِفُ لأهلِ الفضلِ فضلَهم، كان مُجِلّاً لأبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه ومحبّاً له، وهو أوَّلُ من بايعَه على الخِلافة، وكان يُثْنِي عليه بمحضَر المهاجرين

والأنصار، ويقول له: «أنتَ خيرُنا وسيِّدنا، وأحبُّنا إلى رسولِ الله» رواه البخاري، ويقول: «أبو بكرٍ أَحْلَمُ منِّي وأَوْقَر».

وكان الصِّدِّيقُ رضي الله عنه يحبُّه ويُوِدُّه، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: «ما على ظهرِ الأرضِ رجلٌ أحبُّ إليَّ من عمر»، وابنُ مسعودٍ إذا ذَكَرَ عُمر بكى وقال: «إنَّه كان حصناً حَصِيناً للإسلام، يدخلون فيه ولا يخرجون منه». والصَّحابةُ رضي الله عنهم يَرَوْنَ أنَّ محبَّتَه من العبادة، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «حُبُّ أبي بكرٍ وعمرَ من الإيمان».

وكمالُ محبَّتِه للنَّبيِّ ﷺ أوجبَ حبَّه لأهلِ بيته، إذْ أنَّ رعايةَ أهلِ بيتِه ممَّا أمرَ اللهُ ورسولُه به، وكان من أعظمِ المسلمين رعايةً لرسولِ الله ﷺ وأهلِ بيتِه؛ فزوَّجَ عمرُ رضي الله عنه بنتَه حفصة للنَّبيِّ ﷺ، وكان بين عمرَ وبينَ آلِ رسولِ الله صِهْر. ولا يزوِّج إلا من ارتُضِي؛ فزوَّج عليٌّ رضي الله عنه بنتَه أمَّ كُلثوم لعمر ـ وأمُّها فاطمةُ بنتُ رسول الله ـ، قال ابن كثير رحمه الله: «وأكرمَهَا إكراماً زائداً، أصدقَها أربعينَ ألفَ دِرْهَم».

وكان بينه وبينَ آلِ رسولِ الله ﷺ مودَّةً وإخاء؛ فسمَّى عمرُ بنتَه فاطمة، وكان يُثْنِي على عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه ويقول: «عليٌّ أقضانا»، وجعل عمرُ علياً أحدَ السِّتةَ الذين يُسْتَشارُون لِتَوْليةِ الخلافةِ من بعدِه، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «لا زال عمرُ مُكْرِماً لعليٍّ وسائرِ بني هاشم، يقدِّمُهما على سائرِ النَّاس»، وعليٌّ رضي الله عنه سمَّى ابنَيْه أبا بكرٍ وعمر. وحجَّ عمرُ رضي الله عنه بأزواجِ النَّبيِّ ﷺ في آخرِ حجَّةٍ حجَّها بالنَّاس.

جعل الفاروقُ عمرُ لآلِ رسولِ اللهِ ﷺ وقرابتِه منزلةً عاليةً في نفسِه؛

فأحبَّهم وأحبُّوه وأثْنَوْا عليه، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان واللهِ أجودَنا، كان نسيج وحده»؛ بل كانوا يَأْنَسُونَ بسيرتِه وذكرِ فضائلِه، تقول عائشة رضي الله عنها: «إذا ذكرتم عمرَ طابَ المجلس». وابنُ عمِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عبدُ الله بنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما يقدِّمُه على الصَّحابة، ويقول: «شَهِدَ عِنْدِي رِجَالٌ مَرْضِيُّونَ، وَأَرْضَاهُمْ عِنْدِي عُمَرُ» رواه البخاري. وعليٌّ رضي الله عنه يحبُّه ويجلُّه ويقول: «خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَر»، وكان عليٌّ رضي الله عنه من أشدِّ النَّاس حزناً على وفاةِ عمر، لَمَّا وُضِعَتْ جِنَازَةُ عُمَرَ جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَتَخَلَّلُ الصُّفُوفَ، ثُمَّ قَالَ: «أَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْك؛ فَإِنِّي كَثِيراً مَا كُنْت أَسْمَعُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: **دَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**» متفق عليه.

قال ابن الجوزيّ رحمه الله: «جمع عمرُ من العلم والعمل ما أدْهَشَ العلماءَ والعامِلِين»؛ فرضيَ اللهُ عن عمرَ وأرضاه، وأجزلَ لهُ أحسنَ الجزاء على حسن صحبتِه لنبيِّه، وصِدْقِه في إيمانِه، وقوَّتِه في عقيدتِه، ونشرِه لدينِ الله في الآفاق، وما أحوج المسلمين إلى التَّأسِّي بأعمالِه، والتَّحلِّي بفضائلِه، واكتسابِ مناقبِه ومسابقتِهم إلى الطَّاعات مثلَه؛ ليَظْفَروا بالسَّعادةِ والرِّضوان، والخيرِ والجنان.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التّوبَة: ١٠٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحَمدُ لله علَى إحسَانِه، والشُّكرُ لَه علَى تَوفِيقِه وامتِنانِه، وأَشهَد أَلَّا إلهَ إلَّا الله وَحدَه لا شَريكَ لَه تعظيماً لشَأنه، وأَشهَد أنّ نبيَّنا محَمّداً عبدُه ورَسولُه، صلّى الله عَلَيه وعلَى آلِه وأصحَابه وسلّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

محبَّةُ الصَّحابةِ عبادةٌ عظيمةٌ من أجلِّ العبادات، ومن أسبابِ دخولِ الجنَّةِ والحشرِ معهم، جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله! كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْماً وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**» متفق عليه.

وقد وعدَ اللهُ جميعَ الصَّحابةِ بالجنَّة، قال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠] ـ أي: الجنَّة ـ، قال ابن حزم رحمه الله: «أجمعَ العلماءُ على أنَّ جميعَ الصَّحابةِ في الجنَّة».

وكلُّ مؤمنٍ آمنَ باللهِ فللصَّحابةِ عليه الفضلُ إلى يومِ القيامة؛ فهم أكملُ هذه الأمَّةِ عقلاً وعلماً وفقهاً وديناً، ولهم من السَّوابقِ والفضائلِ والصُّحبةِ ما ليسَ لغيرِهم، ولا يدانيهم من بعدَهُم، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**» متفق عليه،

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ القَوْمِ بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِم مِنَ الفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِيناً أَنَّهُمْ خِيْرُ الخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لَا كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ»؛ فواجبٌ علينا محبَّتُهم، والتَّرضِّي عنْهُم، واقْتِفاءُ أَثَرِهِم، ونَشْرُ فضائِلِهم، ومعرفةُ منزلتِهم وقدرِهِم.

ثمَّ اعلمُوا أنَّ الله أمركم بالصَّلاةِ والسَّلام على نبيِّه ...

مريمُ بنتُ عِمران

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبُوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

اصطفى الله من عباده من خصَّهم بالفضائل العالية والنُّعوتِ السَّامية، واختار بيوتاً حَوَتْ كُمَّلَ الرِّجالِ الذين حازوا أوصافَ الكمال، وتسَلْسَلَ الفضلُ والتَّكريمُ إلى ذراريهم، فشمل ذكورَهم وإناثَهم، ومن تلك البيوت: بيتُ نبوَّةٍ وإيمان، وشرفٍ وصلاح، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمـران: ٣٣] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اختار هذه البيوت على سائر الأرض»، وفي هذه البيوت: امرأةٌ عظيمة، رفعَ اللهُ شأنَهَا، وأعلى مكانَتَها، وجعلَهَا آيةً لجميعِ النَّاس، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، قصَّ اللهُ خبرَها وخبرَ والدَيْها وولدِهَا ونسبَهَا وحَمْلَ أمِّهَا بها، وولادَتَها وحضانَتَها، ثمَّ أخبارَ حَمْلِهَا هي

وولادَتِهَا بابنِهَا. ومكانَ وضعِهَا، وذكر تعالى أقوالَهَا وأفعالَهَا، ثمَّ سيرةَ ابنِهَا، امرأةٌ كَمُلَتْ من النِّساء، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**كَمُلَ من الرِّجالِ كثيرٌ، ولم يَكْمُلْ من النِّساءِ؛ إلا آسِيَةُ امرأةُ فرعون، ومريمُ بنتُ عمران**» متفق عليه.

نادَتْهَا الملائكةُ مرَّةً بعد أخرى، لم يذكرْ جلَّ وعلا في كتابه اسْمَ امرأةٍ سواها، تُليَ ما أُنزل في كتابِ اللهِ عنها في مطلعِ سورتها على النَّجاشيِّ ورجالِهِ قبلَ إسلامِهِم؛ فبكى وبكت أساقفتُه، نسلُهَا من آلِ عمران، من سلالةِ النَّبيِّ داودَ عليه السلام، وإحدى السُّورتَيْن الزَّهراوَيْن في القرآن سُمِّيت باسم آبائِها «آلَ عمران»، أثنى اللهُ عليها في كتابه مراراً، مبيِّناً قدْرَها، مُعْلِياً شَرَفَهَا، فقال: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾ [مَريَم: ١٦]؛ فكانت أخبارُها في كتابِ الله مع العظماءِ من الأنبياء والمرسلين، واختارَهَا اللهُ لتكون مِن أهل الجنَّة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أفضلُ نساءِ أهل الجنَّة: خديجةُ بنتُ خويلد، وفاطمةُ بنتُ محمَّد، ومريمُ بنتُ عمران، وآسيةُ امرأةُ فرعون**» رواه أحمد.

أبوها عابدٌ صالح، وأمُّها مؤمنةٌ قانتة، نَذرَتْ ـ وهي حَمْلٌ بها ـ أنَّ ما في بطنِهَا لله محرَّرٌ خادمٌ لبيت المقدس، إذ كان مليئاً بالعابدين ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [آل عِمرَان: ٣٥] فلمَّا وضعَتْهَا ـ إذا هي أُنثى ـ سمَّتْها مريم، وفي نفسِها انكسارٌ من الأنثى، إذْ كانت تطمع في ذَكَرٍ لما فيه من القوّة والخدمة لبيت الله ما ليس في الأنثى؛ فجَبَرَ اللهُ قلبَها، وتقبَّلَ نذْرَها، وصارتْ هذه المولودةُ الأنثى، أكملَ وأتمَّ من كثيرٍ من الذُّكور ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ﴾ [آل عِمرَان: ٣٦]، وفي يومِ وضعِهَا التجأت إلى اللّهِ بالدُّعاء أن يعيذَهَا وذريَّتَها من الشَّيطانِ الرَّجيم؛ فأجابَ اللهُ دعاءَهَا، وأعاذَ مريمَ وولدَهَا من أذى الشَّيطان، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ما منْ مولودٍ يولَدُ إلا مسَّه الشَّيطانُ حين يولد، فيستهلُّ صارخاً من مَسِّه إيَّاه؛ إلا مريمَ وابنَهَا**» متفق عليه.

آواها اللهُ وحفِظَهَا منذُ صغرِها، وتسارعَ النَّاسُ في صباها إلى حَضانتها، وتخاصموا في ذلك من أجلها، ثمَّ اقترعوا فيمن ينالُ خدمتَها ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٤٤]؛ فكانت تحتَ رعايةِ النَّبيِّ زكريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنبتَها اللهُ نباتاً حسناً، قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: جعلها شكلاً مَلِيحاً، ومنظراً بَهِيجاً»، فنشأتْ في بيتِ نبوَّةٍ ودين؛ فكان قلبُها ذا إيمانٍ راسخ، صدَّقتْ بما أنزل الله من كتب، قال الله مثنياً عليها: ﴿وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التّحريم: ١٢]، وجوارحُها عابدةٌ لله راكعةٌ ساجدةٌ ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٤٣]، وبلغت من التَّعبُّد مبلغاً كبيراً، قال الله عنها: ﴿وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ [التّحريم: ١٢]، شاكرةٌ لربِّها، حامدةٌ لخالقها ﴿قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عِمرَان: ٣٧]، قامت بما أُمِرَتْ به، وصانت عِرضَها؛ فأبقى اللّهُ ذِكْرَها ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ [التّحريم: ١٢].

اصطفاها الله على العالمين مرَّتين، اصطفاها فتقبَّلَها بقبولٍ حسن؛ فكانت من العابدات، واصطفاها ثانيةً؛ لتكون أمّاً لنبيٍّ من أولي العزم، وطهَّرَها من أعمالِ الشِّرك والعصيان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ

﴿نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]، قانتةٌ عابدةٌ: تَوارَتْ عن أهلها وهيَ في شبابها إلى مكانٍ شرقيٍّ بينهم وبينها حجاب؛ فتمثَّلَ لها جبريلُ في صورة بشرٍ سويٍّ، في صورةٍ جميلة، وهيئةٍ حَسَنة، فخشيت أن يكون رجلَ سوء؛ فاعتصمت بربِّها و﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۞ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٨-١٩]؛ فبشَّرها بولد، وسمَّاه جلَّ وعلا عيسى قبل حملِها به ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠]، فَنفخ الله فيها من روحه، وسلَّمتِ الأمرَ لبارئِهَا؛ فحملت به واشتدَّ حياؤها، فاختفت عن النَّاس في مكانٍ قصيٍّ لا يَرَاهَا أحد، والبلاءُ محيطٌ بها.

ولما دنت ولادتُها بعيسى: أجاها المخاض إلى جذع نخلةٍ؛ فتكالبت عليها الهموم، وخافت من عدم صبرها على ما قضاه الله لها؛ فتمنَّتْ أنَّها ماتت قبل هذا وكانت نَسْياً منسياً؛ فسكَّنَ الملَكُ روْعَهَا وثبَّت جَأْشَهَا، وناداها مِن تحتِها: ألا تحزني ولا تجزعي، فقد جعل ربُّكِ تحتَكِ سريّاً ـ نهراً تشربين منه ـ، ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥] ـ طَرِيّاً لذيذاً نافعاً ـ؛ فَكُلِي من التَّمر، واشربي من النَّهر، وقَرِّي عيناً بالولد؛ فأمرها اللهُ بتفويض الأمر إليه، ونهاها أن تُكلِّم بشراً، فإنه سبحانه هو الذي سيكفيها أمرَها، وقال لها: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]؛ فتوكَّلت على ربِّها، وأتت بولدِها إلى قومها؛ فبهَتُوهَا بالأمر العظيم، وقالوا لها: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ۞ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ

وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مَريَم: ٢٧-٢٨]، معها ولدٌ من غير زوج، فانحصر منها المقال، فلا عذر عندها يقال، وضاق بها الحال، وفوَّضت أمرَها إلى الكبير المتعال، وأشارت إلى الولد أن كلِّموه، فأنا بريئةٌ من البهتان؛ فإذا صبيٌّ في المهد يتكلَّم يبرِّؤها ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۞ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مَريَم: ٣٠-٣٢].

آيةٌ تِلْوَ آية؛ ليتحدَّث العالَمُ بها جيلاً بعد جيل، صبيٌّ في المهد يتكلَّم! وولدٌ من غيرِ أب! ورزقٌ يُساق إلى المحراب! ونخلةٌ يتساقط تَمْرُهَا بهزِّ جِذْعِهَا! ومَلَكٌ يتمثَّلُ في صورة رجل! وبشارةٌ لامرأةٍ لا زوج لها بحمل! وأنّه ذَكَر! وأنَّ اسمَه عيسى؛ فكان كما أمر الله.

وبعدُ؛ أيُّها المسلمون:

فخَبَرُهَا عبرةٌ للمعتبرين، وأُسوةٌ للمقتدين، فالعزَّةُ والرِّفعةُ في الدَّارَيْن إنَّما هو في التَّمسُّك بالدِّين، فمريمُ قَرُبَتْ من الله بالطَّاعة؛ فَعَلَتْ وسَمَا ذِكرُهَا، والجنَّةُ والنّارُ مُعَدَّةٌ للذَّكر والأنثى، والتَّفاضُلُ عند الله إنمّا هو بالإيمانِ والعملِ الصَّالح، ولتكنْ نيَّةُ المسلمِ في كلِّ خيرٍ قائمة؛ فأمُّ مريم نذرت إن رُزِقَتْ بِذَكَرٍ لَتَجْعَلَنَّه خادماً لبيت المقدس؛ فرزقها الله بصدِّيقةٍ تلِدُ نبيّاً، والعبدُ يقبلُ هِبَةَ اللهِ له من ذكرٍ أو أنثى فلا يعلم في أيِّهما النَّفع؛ فمريمُ أنثى ورَفَعَتْ ذِكْرَ والدَيْهَا، وفاقت رجالاً.

ولْيَسْأَلِ المسلمُ ربَّه بركةَ الأولاد؛ فمريمُ رُزِقَتْ بولدٍ واحد، ولكنَّه كان رحمةً من الله للعالمين، والدُّعاء من أوسع أبواب العطايا والهبات؛ فأمُّ مريم عند ولادتها التجأت إلى الله بأن يُعيذَ حملَهَا وذريَّتَها من الشَّيطان

الرَّجيم؛ فحفظَ اللهُ بِتلكَ الدَّعوةِ مريمَ وحفظَ ابنَها، وعصمَهُما من شرور إبليس، وتقبَّلها بقبولٍ حسن، وأنبتها نباتاً حسناً.

وفي زمن الفتن تشتدُّ الحاجةُ إلى دعاء الأبوين للذُّرِّيَّة بالهداية، وإلى اللَّجأ إلى الله لعصمتهم منها، وصلاح الآباء يجري نفعه إلى الأبناء ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ﴾ [آل عِمرَان: ٣٤]، ومَنِ اتَّقى ربّه رَزَقَه من حيث لا يحتسب ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ﴾ [آل عِمرَان: ٣٧]، ورِزْقُ مريمَ في مُصلَّاها زاد من يقين زكريَّا وتذكَّرَ أفضالَ اللهِ وكرمَه على عبادِه، فالتجأ إلى الله بالدُّعاء؛ فوُهِبَ بعد كِبَرِ سنٍّ بيحيى نبيّاً من الصَّالحين، ومن حَفِظَ اللهَ حفظ اللهُ ذريَّتَه ـ ولو في مهدِهِم ـ؛ فمريمُ تسابقَ النَّاسُ إلى حَضانتِها ورعايتِها؛ لصلاح والدَيْهَا، فحُضِنت في بيت نبوَّةٍ ـ في بيت زكريَّا ـ وتولَّاها بعنايته.

وشُكْرُ نِعَمِ الله يجلبُ المزيد؛ نَسَبَتْ مريمُ نعمةَ الرِّزقِ إلى الله وحده ﴿قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عِمرَان: ٣٧]؛ فزادها الله من فضله العميمِ نعماً متتابعة، ويجب على المرأة أن تلتجأَ إلى اللهِ وتطلُبَ منه العصمةَ من الفتن مع فعلِ الأسبابِ للبُعدِ عنها؛ فمريمُ ـ وهي في شبابها ـ تمثَّلَ لها جبريلُ في صورة رجلٍ حسن؛ فاستعاذت بالله منه وتوارت عنه ـ مع بعدها عن أهلها ـ ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ [مَريَم: ١٨]، ومَنْ تمسّكت بدينها وصانت عِرْضَها؛ حفظَهَا اللهُ ورزقَهَا من حيث لا تحتسب.

عوَّضها الله بعفَّتها ولداً من آيات اللهِ ورسولاً من رسله ـ وهو سبحانه على كلِّ شيء قدير ـ، والمسلمُ يتوكَّل على الله ويُفوِّضُ أمرَه إليه، ولا يتعلَّق بالأسباب فحسب؛ فقد وَهَب مريمَ ولداً من غير زوج ﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ

يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عِمرَان: ٤٧]، والقُرْبُ من الله يجلبُ كُلَّ خيرٍ ورزق؛ فمريمُ لما قنتت سَاقَ اللهُ رزقَهَا إليها في مُصلَّاها، وأسقطَ عليها رُطباً جَنيّاً، وأجرى لها نهراً من تحتِها.

والمؤمنُ يتعرَّض للابتلاء، وكُلَّما كان في دينه صلابة؛ زيد في بلائه، ومريم البَتُولُ ابتليت ببلاءٍ عظيم ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عِمرَان: ٤٧]؛ بل زيد في بلائها، أَنْ أَمَرَها اللهُ أن تأتيَ بالمولود بين يديها أمامَ قومِهَا وتنسِبُه إلى نفسها ـ وهي بلا زوج ـ فسلَّمتِ الأمرَ لله، وفوَّضت أمرَها إليه، ولَئِنْ صَبَرَتِ امرأةٌ على الابتلاء؛ فالرِّجالُ أولى.

والله سُبحانه لا يضيِّع من لَاذَ به، ولا يَخْذُلُ من لجأ إليه، ومن التجأ إلى الله عند المصائب؛ أتاه الفرجُ من حيث لا يحتسب وبأمرٍ لا يصلُ إليه فِكْرُ البشر، فقد لجأت مريمُ في كُربتها إلى الله؛ فأنطق اللهُ رضيعَهَا بما يبرِّؤُها ويرفعُ شأنها.

واللهُ رحيمٌ بعباده؛ تمنَّتْ مريمُ الموت ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مَريَم: ٢٤]، ومن تعرَّفَ على اللهِ في الرَّخاء عَرَفَهُ في الشِّدَّة؛ مريمُ تعلَّقت بالله في العبادة والعفاف، فحفظَها الله في حملِهَا وزرقِهَا وولادتِها ورفعَ ذكرَها. والعملُ الصَّالحُ عند الله محفوظ، كانت مطيعةً لوالديها بارّةً بهما؛ فبرَّ بها ابنُها ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مَريَم: ٣٢].

وصاحبُ المعصيةِ يتخفَّى لسوءِ عاقبةِ الخطيئة، ومن بريءَ من التُّهمَة؛ يظهر أمام النَّاس مفوِّضاً أمرَه إلى الله، ومريمُ لبراءتِها أتت بغلامها إلى قومها تحمله. ومِنْ شُكْرِ النِّعم: ذكرُها والإقرارُ بها، أمر الله عيسى بأن يَذْكرَ نعمَ الله عليه وعلى والدته ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ [المَائدة: ١١٠]، والمسلمُ يسيرُ على خُطا الصَّالحين في مرضاةِ ربِّ العالمين.

أعوذُ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ [الأنعَام: ٩٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الحديثُ عن أصحابِ الجنَّة يدفعُ النُّفوسَ إلى النَّظر في سِيَرِهِمْ وما فيها من العبر؛ ليقتفيَ المسلمُ أثرَهم، ويحتذيَ حذوَهم، وفي التَّاريخ نساءٌ كمُلْنَ في الفضل والتَّشريف ـ كمريمَ بنتِ عمران، وأمِّ المؤمنين خديجةَ بنتِ خويلد، وبنتِها فاطمةَ بنتِ رسول الله ﷺ، وآسيةَ امرأةِ فرعون ـ قدواتٌ للنِّساء في العبادةِ والصَّلاح، والسِّترِ والحجابِ والعفاف، والتَّوكُّلِ والصَّبرِ والحياء، وما أحوجَ نساءَ اليوم إلى أن يَسِرْنَ على خُطا أولئك الصَّالحاتِ العظيماتِ في مناقبِهنَّ وفضائلِهنَّ؛ لِيَسْعَدْنَ في الدُّنيا والآخرة.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمرَكم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه . . .

العقوباتُ الإلهية

إنَّ الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد:

فاتّقوا الله ـ عبادَ الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فبتقوى الله تُستجلَبُ النّعم، وبالبُعد عنها تَحِلُّ النِّقَم.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ الله العبادَ لعبادته وبيَّن لهم طريقَ الهداية من طريقِ الضَّلالة؛ فَمَنْ أطاعه نال السَّعادة، وَمَنْ عصاه أعدَّ له عذاباً شديداً، قال ﷻ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحِجر: ٤٩ - ٥٠]، والله سبحانه قويٌّ قدير إذا نزل عذابُه لم يرده أحد؛ ولهذا حذَّر العباد من نفسه وغضبه وعذابه فقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: ٢٨]، والعقوبةُ الإلهيةُ سنةٌ من سنن الله التي لا تتغير، قال ﷻ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٧].

وكانتِ الأممُ السَّالفةُ تُعذَّب باستئصالها جميعاً ـ كقومِ نوحٍ وعادٍ

وثمود ـ، قال جلَّ شأنُه: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعَام: ٤٥]، ولما بعث الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رفع الله برحمته عذاب إهلاك الأمَّةِ جميعاً، قال جَلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [القَصَص: ٤٣] قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «وكان قبل نزول التَّوراة يُهلِك الله المكذِّبين للرُّسل بعذاب الاستئصال عذاباً عاجلاً يُهْلِكُ الله به جميع المكذِّبين». ونبيُّنا محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأَل ربَّه ألا يُهلك أمته جميعاً، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**سَأَلْتُ رَبِّي أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَة** ـ أَي: بالجوع ـ **فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا**» رواه مسلم.

وعذابُ كُلِّ أمةٍ يتفاوتُ بتفاوتِ ذنوبِهم، وأولُ عذابٍ أنزلَه الله في الأرض هو الغرق، قال جلَّ شأنه عَنْ قومِ نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ [نُوح: ٢٥]، وأَغْرَقَ فرعونَ وجنودَه به، فقال: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [الأعرَاف: ١٣٦]، ومملكةُ سَبأ أهلكها الله بالماء، فقال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [سَبَإ: ١٦]، وهدَّدَ الآمنين من مكره بالغرق، فقال: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم﴾ [الإسرَاء: ٦٩].

وَأَرسَل على قوم عادٍ ريحاً عاتية: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحَاقَّة: ٦]، وكان عليه الصَّلاة والسَّلام إذا رأى غَيْماً أو ريحاً خَشِيَ منها، قالت عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «يا رسول الله! النَّاسُ إِذَا رَأَوُا الغَيْمَ فَرِحُوا رَجاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ المَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَتْ فِي وَجْهِكَ الكَرَاهِيَةُ، فَقَالَ: **يَا عَائِشَةُ! مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؛ قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ العَذَابَ، فَقَالُوا: هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا**» متفق عليه.

وأخذت قومَ صالحٍ صيحةٌ قطَّعت قلوبَهُم ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ [القَمَر: ٣١]، وتوَعَّد الله المشركين بمِثل هذا العذاب فقال: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ [صٓ: ١٥].

ولما كَفَر قومُ لوطٍ وارتكبوا الموبقات؛ أَرْسَلَ عليهم حجارةً وقلَبَ ديارَهم، فقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾ [هُود: ٨٢]، وَهَمَّ أصحابُ الفيلِ بهدمِ الكعبةِ ونقضِ حجارتِها؛ فنزلتْ عليهم حجارةٌ من السَّماء ﴿وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۞ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ﴾ [الفيل: ٣-٤].

وقارونُ علا وظلمَ فأهانه في سافلِ الأرض، قال سبحانه: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [القَصَص: ٨١]. وحذَّر العُصاةَ من هذا العذاب فقال: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [النّحل: ٤٥]، و«**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ؛ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**» متفق عليه.

وَمَنْ لَمَ يشكرْ نعمةَ الأمن والرَّخاء سلبه إيَّاهما، قال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النّحل: ١١٢]. وَعَذَّب بني إسرائيل بتسليط الأعداءِ عليهم إلى يوم الدِّين، قال سبحانه: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ﴾ [الأعرَاف: ١٦٧]، والذُّلُّ والهوانُ لا يُفارِقُهم بما اقترفوا من خطايا، قال سبحانه: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ [آل عِمرَان: ١١٢].

وَعَذّب الله أقواماً بمسخِ صوَرِهِم إلى غير صورةِ البشر؛ فأصحابُ السَّبْتِ احتالوا على ما حرَّم اللهُ فمسخهم قِرَدة، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥]. ومَسَخَ مِنْ بني إسرائيلَ قِرَدةً وخنازير، كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ [المَائدة: ٦٠]، وسيقعُ في هذه الأمَّةِ مثلُ ذلك، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ** ـ أي: الزِّنا ـ **وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ، وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ** ـ أي: جبلٍ ـ، **يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ** ـ أي: بغنمٍ لهم ـ، **يَأْتِيهِمْ** ـ يَعْنِي: الفَقِيرَ ـ **لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَداً؛ فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ** ـ أي: يدكّ الجبل ـ، **وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**» رواه البخاري.

وغَضِبَ اللهُ على سِبْطٍ من أسباطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَمَسَخَهُمْ دَوَابَّ يَدِبُّونَ فِي الأَرْض. رواه مسلم. وأرسل على آلِ فرعونَ الطُّوفانَ والجرادَ والقمَّلَ والضَّفادعَ والدَّم. وأَحَلَّ العداوةَ والبغضاءَ بين اليهود فلا تجتمع قلوبُهم أبداً، قال سبحانه: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المَائدة: ٦٤].

والطَّاعونُ مِنْ عذابِ الله، قال عليه الصّلاةُ والسَّلام: «**الطَّاعُونُ رِجْسٌ، أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**» رواه البخاري.

ورأى النَّبيُّ ﷺ من قريشٍ إدباراً في أَوَّلِ دعوتِه وآذَوْه؛ فَدعَى عليهم وقال: «**اللَّهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ** ـ أي: دَعَا عليهم بالجوع ـ؛ **فَأَخَذَتْهُم سَنَةٌ حَصَّتْ** ـ أي: أذهبَتْ ـ **كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا الجُلُودَ وَالمَيْتَةَ وَالجِيَف**» رواه البخاري، وأرسل الله مَلَكَ الجبالِ للنَّبيِّ ﷺ، وقال له: «**إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ**

عَلَيْهِم ـ أي: على قريشٍ ـ **الأَخْشَبَيْنِ**؟ ـ وهما جبلانِ عظيمانِ في مكَّة ـ» متفق عليه. ولَحِقَ سراقةُ بنُ مالكٍ بالنَّبيِّ ﷺ وأبي بكرٍ رضي الله عنه وهما في طريق الهجرة ليخبرَ قريشاً عنهما؛ فلمَّا رآه النَّبيُّ ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ**؛ فَصَرَعَهُ الفَرَسُ، ثُمَّ قَامَتْ تُحَمْحِمُ ـ أي: تُخْرِجُ صوتاً ـ» رواه البخاري.

وعصى رجلٌ أَمْرَ النَّبيِّ ﷺ؛ فَشُلَّتْ يدُه في حِينِهَا، كان الرَّجلُ يأكلُ بِشِمَالِه، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، فقال النَّبيُّ ﷺ: **لَا اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ** ـ قَالَ الرَّاوِي: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ ـ» رواه مسلم. ودخَلَ النَّبيُّ ﷺ على أَعرابيٍّ مريض فقال له: «**لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ** ـ أي: أَنَّ المرضَ يُكفِّر الخطايا ـ، فقَالَ الأعرابيُّ ـ متسخِّطاً على قدَرِ الله ـ: قُلْتَ: طَهُورٌ؟ كَلَّا؛ بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ أَوْ تَثُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ القُبُور، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **فَنَعَمْ إِذاً** ـ أي: ستكونُ كما ظننتَ أَنَّها ستُميتُك ـ» رواه البخاري، وعند الطبراني: «فَأَصبح الرَّجلُ ميتاً». وَأَسْلَمَ رجلٌ نصراني؛ فكان يكتبُ للنَّبيِّ ﷺ كُتُبَه، فارتدَّ فَأَمَاتَهُ اللهُ فَدَفَنُوهُ، فلَفَظَتْهُ الأَرْض، فَحَفَرُوا لَهُ ثانيةً فَأَعْمَقُوا فلَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فعلوا ذلك ثلاث مراتٍ والأَرضُ تَلْفَظُهُ فتركوه. رواه البخاري. ولما قرأ كسرى كتابَ النَّبيِّ ﷺ مزَّقه؛ فمزَّق الله مُلْكَه، قال الزُّهريُّ رحمه الله: «فحسبتُ أَنَّ ابنَ المسيَّبِ قال: فدعا عليهم رسولُ الله ﷺ أَن يُمَزَّقَ كُلَّ ممزَّق» رواه البخاري.

وَمَا أَبْغَضَ أحدٌ النَّبيَّ ﷺ وتطاولَ عليه إلا بَتَرَهُ الله بقطعِ ذِكْرِهِ ونسلِه ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، وَمَنْ نَالَ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم شيئاً فَإِنَّ الله يَنْتَقِمُ مِنْه، قال القاضي أبو الطَّيِّبِ رحمه الله: «كُنَّا في مجلس النَّظر ـ أي: المناظرة ـ بجامع المنصور، فقال شابٌّ: أبو هريرةَ غيرُ مقبول

الحديث، فما استتمَّ كلامه، حتَّى سَقَطَ عليه حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ سقف الجامع، فوثَبَ النَّاسُ مِنْ أَجْلِهَا ـ أي: جَلَسوا فزعين ـ، وَهَرَبَ الشَّابُّ مِنْها وهي تَتْبعُه، فقيل له: تُبْ، فقال: تُبْتُ، فغابتِ الحيَّةُ، فَلَمْ يُرَ لها أَثَر». وقد يُعاقَبُ المرءُ بقطعِ رزقِه، قال جلَّ شأنُه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النِّساء: ١٦٠].

وَأَعْظَمُ عُقُوبَةٍ في الدُّنْيَا العُقُوبَةُ فِي الدِّين، فَمَنْ صَدَّ عَنْ دِينِ الله أَعْرَضَ اللهُ عَنْه، قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصَّف: ٥]. وَمَنْ نقضَ ميثاقَ ربِّهِ وأَشْرَكَ معَ الله غيرَه عُوقبَ بقسوةِ القلب، قال سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المَائدة: ١٣]. وَمَنْ دعا غيرَ الله نُزعتْ من قلبِه محبةُ الله وأَحَبَّ ما سواه، قال سبحانه: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البَقَرَة: ٩٣]. وَمَنْ تعلَّق تميمةً تخلَّى اللهُ عنه ووَكَلَهُ إلى ما علَّق، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً؛ وُكِلَ إِلَيْهِ**» رواه الترمذي، وَقَدْ يُعَاقَبُ المرءُ في دينِه بحبوطِ عملِه، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ، فَقَالَ اللهُ** ﷻ: **مَنْ ذا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَلَّا أغْفِرَ لِفُلانٍ؛ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**» رواه مسلم.

وبعدُ؛ أيُّها المسلمون:

فَعذابُ اللهِ شديد، وعِقابُه سريع، وأخذُه أليم، ووعدُه حَقّ، وبيدِهِ مقاليدُ السَّموات والأرض، وَلا يُعْجِزهُ شيء، وَمَا يعلمُ جُنودَه إلا هو، وأمْرُه كلمح البصر، وإذا عصى العبد ربَّه هَان عليه، واستدرجه من حيثُ لا يعلم، وهو سبحانه لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالِ خلقِه، فَمَنْ عملَ صالحاً

شُكِرْ، ومن أساء عُوقِبْ، والعاقلُ لا يستهينُ بمعاصي الله فلا يعلمُ أيَّها تُهلِكُه؟!

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُّور: ٦٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمْدُ لله على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِهِ وامتِنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

قصَّ الله علينا قصصَ مَنْ قبلنا للعظةِ والعبرة، وهو بحكمته وعدله يُظهر للنَّاس أعمالَهم في قوالبَ وصورٍ تناسبُها، فتارةً بقحطٍ وجدب، وتارةً بعدوٍّ، وتارةً بأمراضٍ عامَّة، وتارةً بهمومٍ وآلام وغمومٍ، وتارةً بمنع بركاتٍ من السَّماء والأرضِ وقطْعِ الرِّزق، ومَنْ تابَ رَفعَ عنه عذابَه، وَمَنْ أنابَ إليهِ أعْلا درجَته.

والعقوباتُ سببُها العبدُ نفسُه، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشّورىٰ: ٣٠]، وإذا تأخر العذابُ قدْ يكونُ استدراجاً أو إمهالاً، قَالَ جلَّ شَأنه: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [القَلَم: ٤٤]، قال القُرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تَأْخِيرُ العَذَابِ لَيْسَ لِلرِّضَا بِأَفْعَالِهِمْ؛ بَلْ سُنَّةُ اللهِ إِمْهَالُ العُصَاةِ مُدَّةً». فاحذرُوا المعاصي قليلَها وكثيرَها، سرَّها وعَلانِيتَهَا.

ثُمَّ اعلموا أنَّ الله أمَركُم بالصَّلاةِ والسَّلامِ على نبيِّه . . .

أقوى النَّاس (قوم عاد)

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عبادَ الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فبتقوى الله تُستجلَبُ النّعم، وبالبُعدِ عنها تَحِلُّ النِّقَم.

أيُّها المسلمون:

خَلَق اللهُ الخلْقَ ليعبدوه وحدَه بإخلاصِ الأعمالِ له، وامتثالِ أوامرِه واجتنابِ نواهيه، وأداءِ حقوقِ عبادِه بإقامةِ العدلِ بينهم، والإحسانِ إليهم، والنَّهيِ عن ظلمِهم والبغيِ عليهم، واللهُ سبحانه في كتابِه: يأمرُ وينهى، ويُرَغِّبُ ويُرَهِّب، ويَقُصُّ أحسنَ القَصَصِ للعظةِ والاعتبار، وسنَّتُه تعالى فيمن عصى وطغى من الأممِ الخاليةِ والحاضرةِ والآتيةِ لا تتحوَّلُ ولا تتبدّل، قال جلّ وعلا: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزَاب: ٦٢].

واللهُ قصَّ في كتابِه خبرَ أمَّةٍ لم يُرَ مثلُهَا في القوَّةِ والاستكبار،

والبَطْشِ والظُّلم، سمِّيتْ سورةٌ في القرآنِ باسمِ نبيِّها «هود»، وسورةٌ أخرى باسمِ مكانِهم «الأحقاف»، قال السُّدِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانُوا باليمنِ بالأحقَاف»، وقد ذكرَ الله خبرَهم في مواضعَ عدَّة، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكرَ الله قصَّتَهم في القرآنِ في غيرِ موضع؛ ليَعْتَبرَ بمصرَعِهم المؤمنون».

كانُوا أعظمَ أهلِ زمانهم خَلْقاً، وأطولَهم أبداناً، وأشدَّهم بطشاً، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ [الأعراف: ٦٩]؛ بل لم يخلقِ اللهُ مثلَ قوَّتهم، قال سبحانه: ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [الفجر: ٨] قال البغويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: لم يُخلَقْ مثلُ تلكَ القبيلةِ في الطُّول والقوَّة». ومساكنُهم أعظمُ ما تُرَى وأجملُه، ذواتُ أعمدةٍ ضِخَام، وبنيانٍ شاهق ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ [الفجر: ٦-٧]، أتْرَفُوا أنفسَهم في مساكنِهم، فكانوا يبنون في كلِّ مكانٍ مرتَفِعٍ بنياناً محكَماً باهراً هائلاً، يفعلون ذلك عبثاً لا للحاجة إليها؛ بل لمجردِ اللَّهوِ وإظهارِ القوَّةِ والمفاخرة، فأنكرَ عليهم نبيُّهم ذلك ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٢٨]؛ لأنَّه تضييعٌ للزَّمان، وإجهادٌ للأبدان في غيرِ فائدة، وإشغالٌ بما لا يُجدِي لا في الدُّنيا ولا في الآخرة، واتَّخذوا لهم بروجاً مشيَّدةً ليُخَلَّدُوا في الدُّنيا بزعمِهم لإنكارِ المعاد، قال سبحانه: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٢٩]؛ فكانوا يَبنُون ما لا يسكنون، ويُؤَمِّلون ما لا يُدرِكون.

فتحَ اللهُ عليهم أبوابَ رزقِه؛ فزادتْ أموالُهم، وكثُرَ أبناؤُهم، وأنبتَ لهم الزُّروع، وفجَّرَ لهم العُيون، قال لهم نبيُّهم: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ۞ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٣٣-١٣٤]، وأمرهم أن يتذكَّروا نعمَ الله؛ ليفوزوا برضا اللهِ وسعادةِ الدَّارين ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩]؛

فقابَلُوا نعمَ الله بالجحودِ والنُّكرانِ وعبدوا الأصنام، وهُم أوّلُ من عبَدَها بعد الطُّوفان ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩].

ودعاهم هودٌ عليه السلام إلى عبادةِ اللهِ وحدَه ونَبْذِ الأوثان ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٧٣]؛ فاستخفُّوا بنبيِّهم ورمَوْهُ بالجُنُون، وقالوا له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ ـ أي: أصابك ـ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ـ أي: بجنونٍ في عقلك ـ﴾ [هُود: ٥٤]، وسَخِرُوا منه وقالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٦]، وصارحُوهُ بالكفرِ وقالوا له: ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هُود: ٥٣]، وردُّوْا دعوتَه وأنِفُوا عن قبولِها، واستكبروا عنها و﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [الشُّعَراء: ١٣٦]، وزَادُوا في الطُّغيان فقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشُّعَراء: ١٣٧] ـ أي: سنبقى على عبادةِ الأصنام ـ، وأَبَوْا أن يتَّبِعُوا رسولَهم تكبُّراً منهم؛ لأنَّهُ من البشر، فقالوا: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣]، ولغرورِهم يريدون أن يكونَ رسولُهم من الملائكة؛ فـ ﴿قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [فُصِّلَت: ١٤].

وأنكروا البعثَ والنُّشور، وقال بعضُهم لبعض: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥]؛ بل استبْعَدُوا يومَ الحشرِ والنَّشر، فقالوا: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦] ـ أي: بعيدٌ بعيدٌ وقوعُ ذلك ـ، وظلَموا ضعيفَهم بغِلظَتِهم وجبروتِهم، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشُّعَراء: ١٣٠]، لم يقوموا بحقِّ الخالقِ ولا المخلوق؛ تجبُّراً على اللهِ وعلى عبادِه ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هُود: ٥٩].

والله ﷻ يُمْلِي للظَّالم، وإذا أخذه لم يُفْلِته، سخِرُوا من نبيِّهم وبما دعاهم إليه، وقالوا: ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ـ أي: من العذاب ـ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]؛ فاستدرجَهم الله من حيثُ لا يعلمون، وأمسكَ عنهم القَطْر، فأجدبتِ الأرضُ وأصبحوا مُمْحِلِين، فساقَ اللهُ سحابة لَمَّا رَأَوْهَا مستقبِلةً أَوْدِيتَهُم استبشروا، و﴿قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾ [الأحقاف: ٢٤]، قال الله: ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ ـ أي: من العذاب ـ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الأحقاف: ٢٤]، سلَّطَها عليهِم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ حسوماً دائمةً لم تنقطعْ لحظة، وكانت ريحاً عقيماً لا خيرَ فيها ولا بركة، لا تلقِّحُ شجراً ولا تَحْمِلُ مطراً، صَرْصَراً باردةً شديدة، لمسيرِها صوتٌ قويٌّ مُفْزِع ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]، ما تَذَرُ من شيءٍ أتتْ عليه إلا أَهْلَكَتْه، تحملُ الرَّجُلَ منهم عالياً ثم تُنكِّسُهُ على رأسِه فينقطعُ عن جسدِه، تَراهُم صَرْعَى ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ [الحَاقَّة: ٧] بلا رؤوس؛ فَبَادُوا عن آخرِهم، ولم تبقَ لهم باقية ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، وأتبعهم الله في هذه الدُّنيا لعنةً ويومَ القيامة، وجعلَهم عبرةً لمن بعدَهم، قال سبحانه: ﴿لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فُصِّلَت: ١٦].

وبعد؛ أيُّها المسلمون:

فاللهُ قويٌّ لا يُقْهَر، عزيزٌ لا يُغْلَب، والقُوَّةُ له جميعاً، وما يعلم جنودَه إلا هو، كبيرٌ متعالٍ أَمْرُه كلمحِ البصرِ أو هو أقرب؛ استكبرَ قومُ عادٍ ﴿وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ﴾ [فُصِّلَت: ١٥]؛ فأهلَكهم الله بالهواء، واللهُ للظَّالمِ بالمرصاد لا يَغْفُلُ عنه؛ بل يَستدرِجُه ثم يُهلِكُه ﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا﴾ [مريَم: ٨٤]. وطلبُ النَّصرِ من الله نهجُ المرسلين، هودٌ عليه السلام

استُضْعِفَ من قومِه، فـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون: ٢٦]؛ فنصرَه اللهُ بريحٍ لا تُرى.

والتَّوكُّلُ على اللهِ سبيلُ النَّصرِ على الأعداء، قومُ عادٍ أشدَّاءُ أقوياءُ ولا طاقةَ لهودٍ عليه السلام بقوَّتِهم؛ ففوّضَ أمرَه إلى اللهِ وقال لهم: ﴿إِنِّى تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمۚ﴾ [هُود: ٥٦]؛ فدمَّرَهم الله. و﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣] قالها الخليلان في الشَّدائد.

والاستغفارُ والتَّوبةُ من أسبابِ القوَّةِ والأمنِ والرَّخاء، قال هودٌ عليه السلام لقومه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾ [هُود: ٥٢].

والنَّصرُ قد يَتأخَّرُ لحكمةٍ من اللهِ ولكنَّه لا يتخلَّفُ عن المؤمنين أبداً، قال عز وجل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٧]، وقوَّةُ الخلقِ لا تمنعُ من عذابِ الله، قال سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرّعد: ١١]، والنَّصرُ مع الصَّبر، واليُسرُ مع العُسر، وإذا اشتدَّ الكربُ لَاحَ الفرج.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿لَقَدۡ كَانَ فِى قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يُوسُف: ١١١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحَمدُ لله علَى إحسَانِه، والشُّكرُ لَه علَى تَوفِيقِه وامتِنانِه، وأَشهَد أَلَّا إلهَ إلَّا الله وَحدَه لا شَريكَ لَه تعظيماً لشَأنه، وأَشهَد أنّ نبيَّنا محَمّداً عبدُه ورَسولُه، صلّى الله عَلَيه وعلَى آلِه وأصحَابه وسلّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

أنصحُ النَّاسِ للنَّاس: مَنْ دعا إلى عِبادةِ الله وحدَه وإخلاصِ العملِ له وطاعتِه، واللهُ سبحانه مطَّلعٌ على عباده، رقيبٌ عليهم، مَنْ كفر به أذلّه، ومن لم يَشْكُرْ نِعَمَه سَلَبَها منه، ومن تَسلَّطَ على عبادِه قَصَمَه، وإذا زاد الطَّاغِي من طغيانه؛ فهو أمارةُ هلاكه، قال ﷻ: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾ [الإسراء: ١٦]، فرعونُ أفسدَ في الأرض، ولما قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النَّازعَات: ٢٤]؛ أغرقَه الله بالماء.

والعذابُ قد يأتي في صورةِ نعمة، كان النَّبيُّ ﷺ إذَا هَبَّتْ ريحٌ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِه، يخشى أن تكون عذاباً؛ فلا يأمن العبدُ مكرَ الله وسرعةَ عقابه.

ثُمَّ اعلموا أنَّ الله أمَركُم بالصَّلاةِ والسَّلامِ على نبيِّه . . .

عقوبة الظَّالم

إنّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عبادَ الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فتقوى اللهِ طريقُ الهُدى، ومخالفتُها سبيلُ الشَّقا.

أيُّها المسلمون:

فضَّل الله الإنسان وكَرَّمَهُ، وهيأ له أسباب الطُّمأنينة ليعبده وحده سبحانه كما أمر، ومعاش الناس لا يستقيم إلا بالدِّين، وبه سعادتُهم في الآخرة، ومن دعاء النَّبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِيَ الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي**» رواه مسلم.

وأساسُ الدِّين العدلُ فيما بين العبادِ وبين خالقِهم بإفرادِ العبادةِ له، وبينهم وبين المخلوقينَ بعدمِ بَغْيِ بعضِهم على بعض؛ إذ الظُّلمُ أصلُ كلِّ شرٍّ وفسادٍ للدِّين والدُّنيا، والله نزَّه نفسَه عن الظُّلمِ وجعله بين العبادِ محرَّماً

فقال: «**يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً؛ فَلَا تَظَالَمُوا**» رواه مسلم، وكان أبو إدريس الخولاني رَحِمَهُ اللَّهُ ـ راوي الحديث ـ إذا حدَّث بهذا الحديثِ جثَا على ركبتيه.

والله أخبر أنّه لا يُحِبُّ الظَّالمَ ونفى عنه الفلاح، ووعد بقطعِ دَابِرِه، ولا يدومُ على نصرتِه أحد، قال سبحانه: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٠]؛ بل يُسلِّط عليه ظالماً أقوى منه، قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعَام: ١٢٩] قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: نسلِّطُ بعضَهم على بعض، ونهلكُ بعضَهم ببعض، وننتقمُ من بعضِهم ببعضٍ؛ جزاءً على ظلمِهم وبغيِهم»، وتوعَّده الله بسوء المنقلب ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢٧] قال شريح رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الظَّالِمَ يَنْتَظِرُ العِقَابَ، وَالمَظْلُومَ يَنْتَظِرُ النَّصْر».

والظَّالمُ أيامُه في الدُّنيا معدودة واللهُ يُمْهِلُه، قال جلَّ شأنه: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مَريَم: ٨٤]، ومن طالَ عدوانُه زال سلطانه، قال جلَّ وعلا: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنبيَاء: ١١] قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا أراد الله أن يهلِك أعداءَه ويمحقَهم؛ قيض لهم الأسبابَ التي يستوجبون بها هلاكَهم ومحقَهم، ومن أعظمِها ـ بعدَ كفرِهم ـ بغيُهم وطغيانُهم، ومبالغتُهم في أذى أوليائِه ومحاربتِهم وقتالِهم والتَّسلُّطِ عليهم».

واللهُ ذكر في كتابه ظالمين وذكرَ سوءَ عاقبتِهم، وأخبر أنَّه جعلهم عبرةً لغيرهم؛ ففرعون طغى وعاث في الأرض فساداً، قال سبحانه عنه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ

﴿وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القَصص: ٤]؛ بل تطاول على الرَّبِّ وأنكره وقَالَ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النَّازعَات: ٢٤]، وافتخر بجرَيانِ الماء من تحت قدميه، وكان يقول: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓۖ﴾ [الزّخرُف: ٥١]، واللهُ له بالمرصاد يُمْهِلُه ولا يُهْمِلُه؛ فأجرى الماءَ من فوقِه وأغرقَه به، وقال له ساعةَ هلاكِه: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةًۚ﴾ [يُونس: ٩٢]، وأخبر بأنَّ تلاطُمَ أمواجِ البحرِ من فوقِه حين هلاكِه كان أمراً مهولاً، فقال: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْأٓخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النَّازعَات: ٢٥-٢٦].

وشعيبٌ عليه السلام دعا قومَه إلى الإسلام ونهاهم عن ظلم النَّاس، وقال لهم: ﴿أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هُود: ٨٥]، فسخروا به وقالوا له: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هُود: ٨٧]؛ فأرسل الله عليهم ناراً أحرقتهم، وأحرقت أموالَهم التي اكتسبوها بالظُّلم، قال سبحانه: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِۚ ـ أي: النَّارِ المحرقةِ النَّازلةِ عليهم من السَّماء ـ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشُّعَراء: ١٨٩] .

وثمودُ كان ذنبُهم مع الشِّرك عقرَ بهيمة جعلها الله لهم آية؛ فأرسل عليهم صيحةً قَطَّعَتْ قلوبهم، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فمن انتهك محارمَ الله واستخفَّ بأوامرِه ونواهِيه وعقرَ عبادَه وسفك دماءَهم؛ كان أشدَّ عذاباً منهم».

وإذا وقع بالمؤمنين شدةٌ وبلاءٌ وكَرْبٌ وعناء؛ فاللهُ لطيفٌ في قَدَرِه، حكيمٌ في تدبيره، قادرٌ على نصرةِ عبادِه ولكن لحكمته يبتليهم، قال

جلَّ وعلا: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٍۗ﴾ [محمَّد: ٤]. وهو سبحانه قويٌّ في مدافعته عن عباده، قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحجّ: ٣٨] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يدفع عن عباده ـ الذين توكَّلوا عليه وأنابوا إليه ـ شرَّ الأشرار، وكيدَ الفجار، ويحفظُهم ويكلؤُهم وينصرُهم»، وهذه المدافعة بحسب إيمان العبد بمولاه؛ فمن زاد إيمانه قويت مدافعة الله عنه، قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واللهِ ما يضيِّعُ الله رجلاً قطُّ حَفِظ له دينه».

والمسلمُ يأخذ بأسبابِ النَّصرِ ودفعِ الظُّلمِ والقهرِ بحسنِ الظَّنِّ بالله بأنَّ اللهَ سينصرُه، وباعتقادِ ما دلَّت عليه أسماؤه وصفاته من القوَّةِ والقدرةِ والعظمةِ والعزَّة، والإيمانِ بما جاءَ في القرآنِ من وَعْدِ الله بنصرةِ المؤمنين ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٧]، والإكثارِ من التَّعبُّدِ والاستغفارِ والإنابةِ إلى الله، قال سبحانه: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمَّد: ٧]، والثِّقةِ بقربِ ساعةِ الفرج ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقَرَة: ٢١٤]، وأن يوقنَ أنَّ التَّوكُّلَ على الله أساسُ النَّصر ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٠].

وتوحيدُ الكلمةِ على الحقِّ ونبذُ النِّزاع؛ قوةٌ على الأعداء، قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفَال: ٤٦]، والصَّبرُ مفتاحُ الفرج، ويتأكَّد عند حلولِ المحن والمصائب، والدُّعاءُ أقوى سلاحٍ ضدَّ العدوّ، قال رسولُ الله ﷺ: «**وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**» متفق عليه. قال ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يستجابُ للمظلومِ بسرعة».

والفَأْلُ هديُ نبيِّنا ﷺ؛ فقد قوتِل وحوصِر، وجُرِح وأوذي، ومُكِر به وكِيدَ به وأُخرِج، وسُمَّ وسُحِر، ومات له ستةٌ من أولاده، وكان يقول: «**يُعْجِبُنِي الفَأْلُ**؛ فسئل عنه؟ فقال: **كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ**» رواه البخاري.

والمسلمُ موقنٌ بنصرِ الله ويَحْرُم عليه الرُّكون إلى الظَّالمين، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هُود: ١١٣]، واللهُ بقدرتِه ينصرُ الضَّعيفَ ولو تَكَالبتْ عليه الشَّدائدُ أو خُذِل، قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يُوسُف: ٢١]. ونصرةُ الله للمؤمنين إنما هي بالإيمانِ والتقوى، وهو سبحانه ناصرٌ عبادَه وإن قلَّ عددُهم وعتادُهم؛ فالقوةُ للهِ جميعاً، قال سبحانه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٩].

وهو سبحانه قد ينصرُ عبادَه بلا قتالٍ كما في الأحزاب، قال جلَّ وعلا: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزَاب: ٢٥]، وقد ينصرُهم بإلقاءِ الرُّعب في قلوبِ الأعداء كما حصل ليهود بني النَّضير، كما قال تعالى: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ﴾ [الحَشر: ٢]، وقد يرسلُ اللهُ جنوداً من عنده لإهلاك المعتدين؛ فأبرهةُ أتى بجيشٍ من اليمنِ لهدم الكعبةِ مصطحباً معه أقوى الحيوانات ـ الفيل ـ، فسلَّط اللهُ عليه أضعفَ الحيوانات ـ الطُّيور ـ، وجعل كيدَهم في تضليل، وإذا حصل قتلٌ وجراحٌ في المسلمين ـ كما في أحد ـ؛ فالعاقبةُ لهم، قال سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هُود: ٤٩].

وبعد؛ أيُّها المسلمون:

فلئن خُذِلَ المسلمون فهم المنتصرون، ولئن قُتِلُوا فهم الغالبون، ولئن شُرِّدُوا فهم المؤيّدون، وما تعلَّق أحدٌ بالله فخُذِل، وما لجأ إليه أحدٌ إلا نُصِر.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القَصَص: ٥-٦]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمَّدُ لله على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِهِ وامتِنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

التَّاريخُ مليءٌ بالعظاتِ والعبر، زاخرٌ بالحوادثِ والقَصص، وفي معرفةِ أحوالِ الأممِ وعاقبةِ الظُّلمِ والظَّالمين عبرةٌ لأولي الألباب، والسَّعيدُ من وُعِظَ بغيره، وسِيَرُ المسرفين وعاقبةِ الظَّالمين ومآلاتِ المجرمين عبرةٌ لمن عرف الله حقَّ المعرفة، وآمن بأنَّه على كلِّ شيءٍ قدير ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العَنكبوت: ٤٠].

ونهايةُ كلِّ ظُلمٍ وإن طالت آتية، والنَّصرُ مع الصَّبر، والفَرَجُ مع الكرب، والعسرُ يَعْقُبُه يُسر، قال سبحانه: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشَّرح: ٥-٦].

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاةِ والسَّلامِ على نبيِّه ...

خطبةُ الاستسقاء

إنّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتّقوا الله حقَّ تُقاته، وتوبوا إليه واستغفِروه، وأخلِصوا له العبادةَ ووحِّدوه.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ الله الخْلقَ وتكفَّلَ بأرزاقهم، وأخبرَهم بضمانه منذ نَفْخِ أرواحِهم ليتوكَّلوا عليه فيطمئنُّوا في حياتهم، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِك عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِك مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِك، ثم يُرسِلُ المَلَكَ فينفُخُ فيه الرُّوحَ، ويُؤمَرُ بأربع كلماتٍ: بكَتْبِ رِزقِهِ، وأجلِهِ، وعملِهِ، وشقيٍّ أو سعيدٍ**» متفق عليه.

ولن تموتَ نفسٌ حتى تستوفِيَ رزقَها، ومن ضمانه لرِزقِهم جَعَلَ السَّماءَ تُمطِرُ عليهم من فوقِهم ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذّاريات: ٢٢]، وشقَّقَ الأرضَ من تحتهم فأخرجَ به مُختلَفَ الزُّروعِ والنَّباتِ لهم ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا

﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ * وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ * رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ﴾ [ق: ٩-١١].

ومِن كرمه سبحانه: جلْبُ الرِّزقِ لعباده من البحار؛ فالفُلكُ تَمْخُرُ في أعلاه، وما في بطنِهِ من الصَّيدِ والطَّعامِ بما فيه مَيتتُه حلالٌ لهم، وجواهِرُه من اللُّؤلؤ والمَرجانِ ونفائسَ أُخَرَ زينةٌ لهم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النّحل: ١٤]، وسخَّر لهم الأفلاكَ الجاريةَ والخانسة، منها المُضِيءُ وفيها ذاتُ اللَّهَب ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ﴾ [النّحل: ١٢]؛ بل كلُّ ما في السَّموات وما في الأرضِ وما بينهما من رِزقِ الله فهو للإنسان ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ [الجاثية: ١٣]. وتابَع عليهم سبحانه النِّعَمَ من السَّماء والأرض، منها ما وُجِد قبل خلقهم ـ كالأشجار والبحار ـ، ومنها ما هو بعدَ خلقِهم ولم يسألوه إيَّاها، ونِعَمٌ حادِثَةٌ لهم بعد سؤالِهم لها ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤]؛ فنوَّعَ النِّعمَ لخلقِه، وذكَّرهم بفضلِه فقال: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النّحل: ٥٣].

ومن جُوده: يُعطِي العبادَ ما يسألُونَه ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ومع كثرةِ النِّعَم وتدافُعها قلَّ من يشكُرُها، قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبإ: ١٣].

وإذا أسرفَ العبادُ في عصيانِهم منعَ عنهم بحكمته بعضَ أرزاقِهم ليرجِعُوا إليه، قال جلَّ وعلا: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ ـ أي: نقصُ الأرزاق ـ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الرُّوم: ٤١].

والمعاصِي تدفعُ نزولَ نِعَم نازِلةٍ كالقَطر، أو ترفعُ نعمةً حادِثةً كالغِنَى، وقد لا ترفعُها ولكن تُنزَعُ البركةُ منها، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ليست السَّنَةُ بألَّا تُمطَروا، ولكن السَّنَة أن تُمطَروا وتُمطَروا ولا تُنبِتُ الأرضُ شيئاً**» رواه مسلم.

واللهُ لا يظلِمُ العبادَ شيئاً؛ فلا يمنَع عنهم نزولَ نعمةٍ أو يرفعُ عنهم عافيةً إلا بسببِ ذنوبِهم، قال جلَّ شأنه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٥٣]. والعبادُ كلُّهم ـ قويُّهم وضعيفُهم، صغيرُهم وكبيرُهم ـ لا غِنَى لهم عن ربِّهم طرفةَ عين، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. وإن طغَى العبادُ بالعِصيانِ فاللهُ يُملِي لهم ويحلُمُ عليهم ولا يغفُلُ عنهم، قال جلَّ جلالُه: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا﴾ [الكهف: ٥٨].

وقد شمَلَ سبحانه الخلقَ برحمتِه ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. ومن رحمتِهِ بعباده أنهم إن رجَعوا إليه غيَّر حالَهم، ورزقَهم من حيث لا يحتسِبون، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۞ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطّلَاق: ٢-٣]. ومن رأفتِهِ بهم أنْ جعلَ التَّوبةَ بأمورٍ يسيرة؛ فالقلبُ بندَمٍ على ما بدَرَ من ذنب، وعزمٍ على عدم العودة إلى المعصية، وفي الجوارح بالبُعد عن اقترافِ العِصيان.

وإذا تواطَأَ اللِّسانُ بالاستغفار مع التَّوبة، وفارقتِ الجوارحُ العِصيانَ انهمَرَ المطر، وزادَتْ قوَّةُ الأبدان، ونَمَتِ الأموال، وكثُرَ الأولاد، ونبَتَتِ الزُّرُوع، وتمتَّعَ الإنسانُ في حياته متاعاً حسناً، قال سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ [هُود: ٣]، وقال جلَّ شأنُه: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ

رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هُود: ٥٢]، وقال نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نُــوح: ١٠-١٢]. وإذا صاحبَ التَّوبةَ والاستغفارَ إنابةٌ إلى الله بالتَّقوى حلَّت البركةُ في الأرزاق، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

فاللَّهُمَّ إنَّا نستغفرُك إنَّكَ كنت غفَّاراً، فأرسِل السَّماء علينا مِدراراً . . .

اللَّهُمَّ أنتَ اللهُ لا إله إلا أنت، أنتَ الغنيُّ ونحنُ الفقراء، أنزِلْ علينا الغيثَ ولا تجعلْنا من القانطين، اللَّهُمَّ أغِثْنا، اللَّهُمَّ أغِثْنا، اللَّهُمَّ أغِثْنا، اللَّهُمَّ أغِثْنا غيثاً مُغيثاً، هنيئاً مريئاً، سحّاً غَدَقاً، نافعاً غيرَ ضارٍّ، عاجِلاً غيرَ آجِل، اللَّهُمَّ سُقيا رحمة، لا سُقيا عذابٍ ولا بلاء، ولا هدمٍ ولا غرق ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

اللَّهُمَّ لا تحرِمْنا خيرَ ما عندك بسُوء ما عندنا، فإنك أنت الوهَّابُ الرزَّاقُ الحليمُ الرَّحيم، اللَّهُمَّ آتِنا في الدُّنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقِنا عذابَ النار.

عباد الله:

اِقْلِبُوا أَرْدِيَتَكُم تأسِّياً بسُنَّةِ نبيِّكُم؛ تَفاؤُلاً بتغيُّرِ حالِكم.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصَّافات: ١٨٠-١٨٢].

الفهرس

الموضوع	الصفحة